تاريخ بابر شاه

المعروف بـ

بابرنامه

وقائع فرغانة

تصنيف

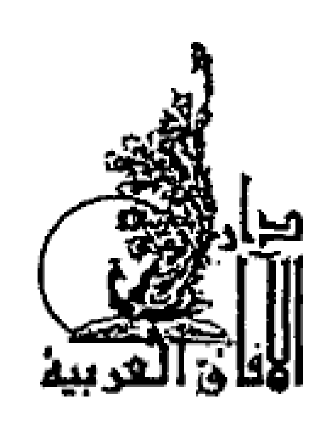
ظهير الدين محمد بابر شاه

مؤسس الدولة التيمورية في الهند

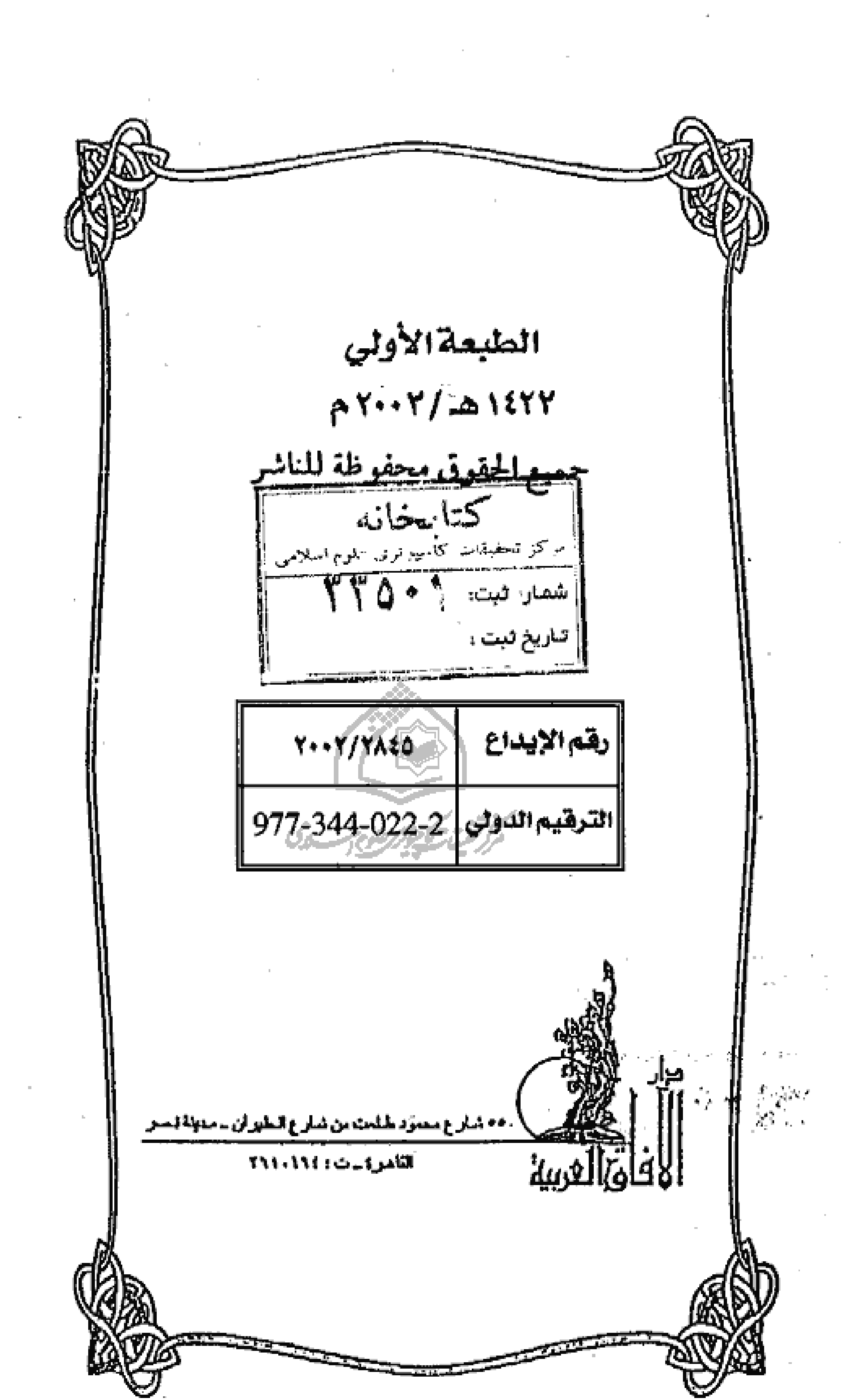
ترجمة وتقديم وتعليق

الدكتورة ماجدة مخلوف

أستاذ الدراسات التركية بجامعة عين شمس



دار الآفاق العربية



الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م

رقم الإيداع	٢٠٠٢/٢٨٤٥
الترقيم الدولي	977-344-022-2

٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران - مدينة نصر
القاهرة - ت: ٢٦١٠١٩٤

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

آل عمران : ٢٦


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تقديم

تزخر اللغات الشرقية الإسلامية بتراث إنساني ضخم في مجالات الفكر والأدب والتاريخ. والترجمة من هذه اللغات إلى اللغة العربية، يعتبر بلا شك إثراءً للثقافة الإسلامية والإنسانية.

ومن الآثار الفريدة في اللغة التركية بلهجتها الجغتائية، كتاب بابُر المعروف باسم "بابُر نامه". وقد أجمع المؤرخون من شرق وغرب على أن هذا الكتاب أثر فريد سواء من حيث المحتوى أو الأسلوب.

وكتاب بابُر هو السيرة الذاتية لظهير الدين محمد بابُر شاه مؤسس الدولة التيمورية التى يعرفها الأوربيون باسم "دولة المغول في الهند". وقد كتبه بابُر فى النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادى، العاشر الهجرى، بهدف تسجيل جهوده وجهاده فى سبيل تأسيس دولته. وبذلك المحتوى صار الكتاب نموذجا فريدا فيما يتعلق بتاريخ فارس والهند فى تلك الفترة لأنه الأصل فى هذا التاريخ.

وبسبب تفرد هذا الأثر تمت ترجمته أكثر من مرة إلى اللغات الفارسية والإنجليزية والفرنسية والأردية، وترجم أيضا إلى الألمانية والروسية والتركية الحديثة ولم يُترجم من قبل إلى اللغة العربية.

ولما كان بابُر نامه مصدرا أساسيا لكل من يتصدى للكتابة عن الإسلام فى شبه القارة الهندية، فقد أشار الدكتور أحمد محمود الساداتى – فى كتابه الذى يحمل عنوان تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم – إلى أهمية الترجمة العربية

لكتاب بـــابُر بقوله : "وقد نُقلت هذه السيرة إلى الفارسية، كما نقلت إلى اللغات الأوروبية الحديثة، ونرجو أن يتهيأ لهذه السيرة القيِّمة الممتعة مَن ينقلها بدوره إلى العربية ".

وقد وفقنا الله سبحانه وتعالى إلى ترجمةِ هذا الكتاب إلى اللغة العربية. ومهدنا لهذه الترجمة، بدراسة حول بابُر شاه والدولة التيمورية، والأوضاع السياسية فى عصره، ثم منهجه فى الكتابة التاريخية، وخصائص هذا المنهج. كما عرّفنا بالكتاب ومحتواه وأهميته التاريخية وأهم الترجمات التى تمت له إلى اللغات الفارسية والإنجليزية والفرنسية والتركية الحديثة، ثم التعريف بالترجمة العربية والنهج الذى اتبعناه فى الترجمة.

وسبق وأن مهدنا لهذه الترجمة، بدراسة مستقلة عن الجوانب الإنسانية والأدبية لشخصية بـــابُر شاه صدرت فى كتاب بعنوان " الجوانب الإنسانية والأدبية لدى بابر شاه " من خلال كتابه " بـــابُر نامـــه "، لتصبح إلى جانب هذه الدراسة – موضوع هذا الكتاب الذى بين أيديكم – دراستان تكمل بعضهما البعض لتشكل فهما واحدا وأساسيا للمصنف ولتصنيفه فى وقت واحد.

ومما هو جدير بالذكر أن بابر شاه وكتابه لم يظفرا بالدراسات الكافية فى اللغة التركية رغم أن بابر تركى وكتابه مكتوب باللغة التركية فى لهجتها الجغتائية، ويؤكد هذا التصور قوائم المراجع التى ذيلت مادة بابر، ومادة بابر نامه فى دوائر المعارف وإنما جرى تناول سيرة بابر شاه من خلال كتب التاريخ العام للهند أو تاريخ الإسلام العام أو تاريخ الترك العام، بما فى ذلك الدراسة التى مهّد بها حكمت بايور للترجمة

التركية لبابر نامه والتي جاءت في إطار تناول التاريخ العام للتيموريين. كما أن المكتبة العربية لم تفرد دراسة علمية مستقلة عن بابر شاه أوعن كتابه، باستثناء الدراسة التي انجزها الدكتور أحمد محمود الساداتي (رحمه الله) في رسالته للدكتوراه. لذا كانت الصعوبة كبيرة في إنجازهذه الدراسة التي آمل أن تملأ فراغا في المكتبة العربية.

والله من وراء القصد.

ماجدة مخلوف

مصر الجديدة / القاهرة

١/١٢/٢٠٠٠م



تنويه

نود الإشارة هنا إلى الآتي :

١) الكلمات الواردة في سياق الترجمة العربية والموضوعة بين قوسين (...) هي من وضعنا، وذلك حسبما يقتضى سياق الجملة العربية، لتوضيح بعض المعانى التى بدت غامضة فى العبارة التركية من النص.

٢) التزمنا مبدأ البناء على حركة الحكاية فى أسماء الأعلام، أى عزل اسم العلم عن سياق الجملة وبناءه على الحركة والحرف الذى هو عليه. مثال ذلك : قال " أبو سعيد " ، أو رأيت" أبو سعيد "، أو نظرت إلى " أبو سعيد ".



القسم الأول
الدراسة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تمهيد

الدولة التيمورية حتى نهاية القرن الخامس عشر

أسس الأمير تيمور الجرجاني ، المعروف باسم تيمورلنك (ت:٨٠٨هـ = ١٤٠٥م) دولة واسعة ، نُسبت إليه ، وضمت مناطق من الهند وأفغانستان الحالية وكل بلاد ما وراء النهر وخراسان والعراقين وجنوب القوقاز وأجزاء من الشام وشرق الأناضول وغيرها ، واتخذ مدينة سَمَرْقَنْد عاصمة لها . وتعرضت هذه الدولة التيمورية للانقسام بعد وفاة تيمورلنك سواء بسبب التمرد على السلطان أو الرغبة في الانفصال والاستقلال التي سادت بين أبنائه وأحفاده[1] .

ترك تيمور لنك أربعة أبناء يمثلون الأسرة التيمورية هم :

١- **غياث الدين جهانكير ميرزا** : وقد توفى أثناء حياة تيمور لنك، فأصبح ابنه بير محمد ميرزا وليا للعهد للأمير تيمور وكان يحكم في **كابل وغزنه والهند**[2] . وانتهت أسرته في أواخر القرن الخامس عشر .

٢- **معز الدين عمر شيخ ميرزا** : وقد توفى أثناء حياة تيمور لنك أيضا، وحكم أبناؤه **بير محمد رستم ميرزا، وإسكندر ميرزا، وبايقرا ميرزا، في شيراز وأصفهان وهمدان** وما حولها، واختص كل واحد منهم بمنطقة منها .

---

[1] Halis Bıyıktay, Timurlular Zamanında Hindistan Türk İmparatorluğu, İstanbul 1941, s.8

[2] انظر، حسن بيرنيا، تاريخ ايران از آغاز تا انقراض ساسانيان، از انتشارات كتابخانه خيام، بدون تاريخ طبع، ص٦٣٠.

وانتهى نسله في منتصف القرن السادس عشر.

٣- **جلال الدين ميرانشاه ميرزا**: وقد حَكَم هو وابنه **عمر ميرزا** في **خراسان والعراقين وآذربيجان وديار بكر**[٣]. وانتهت أسرته في مطلع القرن السابع عشر باستثناء **ظهير الدين بابُر شاه** الذي ظلت أسرته تحكم في **الهند** حتى منتصف القرن التاسع عشر.

٤- **مُعين الدين شاهرخ ميرزا**: وحَكَم في **هراة، وطوس، ومشهد، ومرو، ونيسابور، وسبزوار**[٤] من **خراسان** وانتهت أسرته في مطلع القرن السادس عشر[٥].

والتيموريون مثل السلاجقة، لم يسعَ أي منهما إلى إقامة حكومة مركزية، وساروا على نهج الأعراف التركية – حتى ذلك الوقت – في جعل كل أمير على رأس إمارة وهذا ما أثار بينهم الأطماع والنزاعات بشكل دائم[٦]. فلم يكن هناك قانون أو نظام يحكم انتقال الحكم من سلطان إلى آخر، إنما اعتمد الأمر كله على قوة الأمير وقدرته على التغلب على منافسيه وانتزاع العرش. وهو ما جعل الدولة التيمورية عرضة للنزاعات الداخلية والصراعات حول السلطنة عقب موت كل سلطان بدءً من تيمور لنك حتى نهاية الدولة التيمورية فيما وراء النهر وخراسان

---

[٣] انظر، منجم باشي، جامع الدول، ج٢، مخطوط، ٥٠٢٠ بايزيد، ورقه ٢٦٦.

[٤] سبزوار، مدينة تقع في في خراسان في الغرب من نيشابور.

[٥] Hikmet Bayur, Vekayi, tarihi özeti,(*Gazi Zahirüddin Muhammed Babur, Vekayi, Doğu türkçesiden çeviren, izahlı indeksi ve notları hazırlayan, Reşit Rahmeti Arat, önsözü ve tarihi özeti yazan Y. Hikmet Bayur, türk Tarih Kurumu Basımevi, ankara 1943-1946) 'de, s.28

وأيضا، حسن بيرنيا، المرجع السابق، ص ٦٣٠.

[6] Yılmaz öztuna, Büyük Türkiye Tarihi, ötüken Yayınevi, Istanbul 198, s.116.

على يد الأوزبك فى مطلع القرن السادس عشر الميلادى [7].

بعد تيمور لنك استطاع أصغر أبنائه الأربعة معين الدين شاهرخ ميرزا (ت: ٨٥١هـ = ١٤٤٧م) أن ينتزع العرش من يد ابن أخيه محمد بن جهانكيرميرزا، ويجمع كل أجزاء هذه الدولة الواسعة باستثناء سوريا والأناضول، وأن يحافظ عليها طوال تسع وأربعين سنة هى مدة حكمه. ترك شاهرخ سمرقند عاصمة أبيه واتخذ من هراة عاصمة له أنشأ فيها الآثار العظيمة. وكان شاهرخ ميرزا أكبر أمراء التيموريين الأحياء آنذاك وأكفأ بنى جلدته وأقدرهم، وراعيا للفنون والعلوم، كما كان بلاطه صورة صادقة لما بلغته الثقافة فى عصره الذى اعتبره المؤرخون بمثابة العصر الذهبى لهذه المنطقة، فقد تمتع فيه أهل ما وراء النهر بالأمن والرفاهية [8].

توزعت الدولة التيمورية عقب وفاة شاهرخ بين الأمراء التيموريين [9]، وكان أهمهم ابنه أولغ بك [10] (٨٥٠هـ = ١٤٤٦م) وكان أميرا فى حياة والده على سمرقند التى اتخذها عاصمة له كما فعل جده تيمورلنك [11].

وجه أولغ بك اهتمامه الأول إلى العلوم لكنه لم يهتم بالإدارة والحكم بنفس

---

[7] Hikmet Bayur, a.g.c ,s 56.

[8] انظر، حسن بيرنيا، المرجع السابق، ص ٦٣٤، وايضا، ارمينيوس فامبرى، تاريخ بخارا، ترجمة أحمد محمود الساداتى، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة ١٩٦٥، ص٢٦٣.

[9] حول كيفية هذا التقسيم، انظر، Hikmet Bayur,a.g.e.,s. 57.

[10] اسمه الأصلى محمد تورغاى، كان فى العشرين من عمره عند اعتلائه عرش سمرقند والاضطلاع بحكومة ما وراء النهر. انظر، ارمينيوس فامبرى، تاريخ بخارى، مرجع سبق ذكره، ص٢٦٥.

[11] حسن بيرنيا، المرجع السابق، ص٦٣٥.

القدر الذي وجهه إلى العلوم، وصرف اهتمامهن أحوال شعبه الذى يحيا على الأرض ويعيش عليها، ليشتغل بعلم الفلك ورصد النجوم"[12].

نجم عن فشل أولغ بك في إدارة وحكم بلاده أن انقض عليه ابنه عبد اللطيف وكان ذلك عام ٨٥٣ هـ = ١٤٤٩ م، لكن لم يتح لعبد اللطيف بن أولغ بك أن يبقى طويلا فى الحكم بعد قتله أبيه، إذ قتل بدوره بعد بضعة شهور من ذلك الحدث"[13].

تولى عبد الله ميرزا الحكم فى سمرقند بعد مقتل أولغ بك وعبد اللطيف. وعبد الله هذا إبن ابراهيم ميرزا وأحد أحفاد شاهرخ.

وفى الوقت الذى أعلن فيه عبد الله نفسه سلطانا فى سمرقند، أعلن أبو سعيد ميرزا بن محمد ميرزا بن ميرانشاه بن تيمورلنك، نفسه سلطانا فى بخارا[14].

تقدم أبو سعيد ميرزا هذا لينازع الأمير الجديد عبد الله السلطنة، لكن أبو سعيد هزم ولجأ إلى الأمير أبو الخير خان الأوزبك طلبا لمساعدته، فجاء أبو الخير على رأس جيش كبير من الأوزبك، لمساعدة أبو سعيد ميرزا. وهاجم بهذه القوة عبد الله وانتزع منه تاجه وحياته فى معركة واحدة"[15].

---

[12] يصف منجم باشي أولغ بك بأنه "كان ملكا عاقلا فاضلا له فضيلة باهرة فى الحكميات سيما فى الرياضة، وله مؤلفات جليلة مفيدة، ولم يجتمع فى مجلس أحد من الملوك ما اجتمع فى مجلسه من العلماء والحكماء، انظر، منجم باشي، جامع الدول، مرجع سبق ذكره، ج٢، ورقة ٢٥١أ.

[13] انظر، ظهير الدين محمد بابر شاه، بابر نامه، ورقة ٥٠أ.

[14] انظر، منجم باشي، جامع الدول، ج٢، ورقة ٢٥٢أ وانظر أيضا Hikmet Bayur,a.g.e.,s61

[15] انظر، فامبري،نفس المرجع،ص ٢٧١ـــ ٢٧٢. وانظر أيضا، منجم باشي، جامع الدول، ج٢، ورقة ٢٥٢ب.

بهذا النصر استطاع أبو سعيد ميرزا – فى أواخر عام ٨٥٥ هـ = ١٤٥٢م – أن يجمع كلا من سمرقند وبخارا مرة أخرى، وأن يحافظ على ما تبقى من الدولة التيمورية. وبعد أن تمكن السلطان أبو سعيد ميرزا من الاستيلاء على سمرقند بمساعدة الأوزبك، أراد أن يبعدهم عن عاصمته سمرقند لأسباب استراتيجية[١٦].

كان مقتل زعيم الأوزبك الشيخ حيدر بن أبو الخير خان (سنة ٨٣٧هـ = ١٤٦٨م) أثناء صراعه مع يونس خان، خان شعب المغول وجد بابر شاه، ضربة قوية أضعفت الأوزبك وشتتت أمرهم لفترة من الزمن، وبذلك استطاع أبو سعيد ميرزا والتيموريون عامة أن يتخلصوا من خطر الأوزبك مؤقتا، وأن تكون لأبو سعيد اليد العليا فى المناطق التى يحكمها[١٧].

استطاع محمد شيباني[١٨] (المعروف باسم شيباق خان) حفيد أبو الخير خان والمولود سنة ٨٥٥ هـ = ١٤٥١م أن ينج بنفسه بعد موت جده وأبيه، فهرب ببضع

---

[١٦] يقول فامبرى أن السلطان أبو سعيد ميرزا أراد أن يبعد الأوزبك فلجأ معهم إلى الحيلة تارة وإلى القوة تارة أخرى حتى ينجح فى مسعاه. ولم يكن صنيع أبو سعيد ميرزا هذا ليتفق يقينا مع ما كان يجب عليه من العرفان بالجميل نحوهم، فأورث التيموريين العداء الدائم بينهم وبين الأوزبك، انظر فامبرى، نفس المرجع، ص١/٢٧٢. ويقول منجم باشى فى وصف معاملة السلطان أبو سعيد ميرزا لأبى الخير غير ما قاله فامبرى ، فيقول إن السلطان أبو سعيد بعد مساعدة الأوزبك له "شرع فى ضيافة أبى الخير خان وأضافه ضيافة ملوكية وقدم إليه وإلى أمرائه هدايا جليلة من الجواهر الثمينة والملابس النفيسة والخيول الضامرة والسروج المذهبة وغير ذلك فرجع إلى بلاده" انظر منجم باشى ، ج٢، ورقة ٢٦٩أ.

[17] Hikmet Bayur, a.g.e.,s69.

[١٨] محمد شيباق خان ، هو خان الأوزبك الذى انتزع أملاك التيموريين وقضى على دولتهم فى بلاد ما وراء النهر وخراسان وخاض حروبا طويلة فى هذا السبيل ضد بابر وأبناء السلطان حسين بايقرا، حتى قتله الشاه إسماعيل الصفوى بعد ذلك سنة ٩١٦ هـ = ١٥١٠م. انظر، منجم باشى، ج٢، ورقة٢٦٥ب. وانظر أيضا عبد الحسين نوائى ، شاه اسماعيل صفوى ، اسناد ومكاتبات تاريخى همراه باياد داشتهاى تفصيلى، انتشارات بنياد فرهنك ايران، (٥٠)، جاب شد، ١٣٦٧، ص١٢٤

مئات من رجاله، ودخل في خدمة عبد العلى ترخان عامل السلطان أحمد ميرزا سلطان سمرقند في بخارا، وبلغ عنده مكانة رفيعة[١٩].

بعد مقتل السلطان أبو سعيد ميرزا[٢٠] على يد أوزون حسن زعيم تركمان الشاة البيضاء سنة ٨٧٣ هـ = ١٤٦٨ م[٢١]، انقسمت الدولة التيمورية فيما وراء النهر بين أبنائه وتنازعوا فيما بينهم، وملكهم الطمع وتسبب هذا في خراب الديار، فقد جلس إبنه الأكبر السلطان أحمد ميرزا في سمرقند وما يحول بخـــارا وكان والده قد تنازل له عن السلطنة أثناء حياته[٢٢]. أما ابنه الثاني السلطان محمود مـــيرزا له فقد حكم منطقة ما حول بدخشان ويدخل فيها المنطقة الواقعة بين هندكوش وجبال حصار[٢٣]. أما الإبن الثالث عمر شيخ ميرزا والد بابر، فكان له حكم بخارا وما حولها، وهؤلاء الأبناء الثلاثة كانوا مرتبطين برباط المصاهرة مع يونس خـــان، خان شعب المغول. أما الإبن الرابع وهو أولغ بك ميرزا فكان له كابل وغزنه[٢٤]. في ذلك الوقت كان السلطان حسين ميرزا بايقرا من أحفاد عمر شـــيخ مـــيرزا، يحكم باقتدار في كل من خراسان وما حولها ويتخذ من هراة عاصمة له، والجدير بالذكر أنه عندما تولى بابر عرش فرغانه سنة ٩٠٠ هـ = ١٤٩٤م، كان السلطان حســـين

---

19 Hikmet Bayur, a.g.e.,s69

٢٠ يقول منجم باشي في وصف السلطان أبو سعيد ميرزا، إنه كان ملكا عادلا عاقلا يحب العلماء والصلحـــاء والمشـــايخ ويعتقد فيهم لا سيما النقشبندية، انظر، منجم باشي، ج٢، ورقة ٢٧٠ب.

٢١ حسن بيرنيا، المرجع السابق، ص ٦٣٨.

٢٢ انظر، بابر شاه، بابر نامه، ورقة ٥ب.

٢٣ المنطقة الجبلية الواقعة في الجنوب الشرقي من سمرقند.

24 Hikmet Bayur, a.g.e.,s.68.

ميرزا يحكم منذ خمس وعشرين سنة، وكان يعتبر- آنذاك – أقوى حكام التيموريين وأكثرهم اقتدارا"[٢٥].

في ذلك الوقت كانت خانية المغول المنحدرة من نسل **جغتاي خان** مقسمة إلى ثلاث مناطق كبيرة. فبعد موت **يونس خان**، اقتسم ملكه أبناؤه الثلاثة على الوجه التالي : **محمود خان** وتولى حكم **سيرام وتاشكند**. وتولى **أحمد خان** حكم كل المنطقة الواقعة شرق "أوليا آطه " في "ترفان"[٢٦]، أما **أبو بكر** فقد تولى حكم منطقة **كاشغر** ونهر **تاريم**[٢٧] وكان يحكم باعتباره أميرا مستقلا. ومن الملاحظ أن منطقة **سيرام وتاشكند** التي تولى حكمها **محمود خان**، كانت انتقلت إلى **يونس خان** من السلطان **أحمد ميرزا** سلطان **سمرقند**[٢٨].

[25] Halis Biyiktay, a.g.e. s8.

[25] Halis Biyiktay, a.g.e. s8.

[٢٦] تقع ترفان هذه كما رأيتها في الأطلس العربي في شرق جبال تيان شان، في الشمال من تركستان الشرقية المعروفة لآن باسم مقاطعة سنكيانج في الصين. انظر، الأطلس العربي، أصدار وزارة التربية والتعليم المصرية، ط١، سنة ١٩٦٥، ص٥٤/ز/٢.

[٢٧] ويكتب أيضا تارم، وهو نهر كبير في تركستان الشرقية يتبع الصين الآن.. انظر، الأطلس العربي، ص٥٥/ز/٢.

[28] Halis Biyiktay, a.g.e. s8.

ظهير الدين محمد بابرشاه

(٨٨٨هـ – ٩٣٧ هـ =١٤٨٢م – ١٥٣٠م)

يعتبر **ظهير الدين محمد بابر شـــاه**[٢٩]، التركى التيمورى[٣٠] مؤسس الدولة التيمورية فى الهند، واحدا من أبرز الشخصيات التركية فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى)، سواء على المستوى السياسى أو المستوي الأدبى، ولا يختلف فى هذا عن معاصريه من السلاطين الأتراك الكبار وهم **السلطان بايزيد الثانى**، **والسلطان سليم الأول** (ت : ٩٢٧هـ =١٥٢٠م)، **والسلطان سليمان القانونى** (ت : ٩٧٤هـ = ١٥٦٦ م) العثمانيون، **والشاه إسماعيل الصفوى** (ت :٩٣١هـ = ١٥٢٤م)، **والسلطان حسين بايقرا** سلطان هراة التيمورى (ت : ٩١١هـ =١٥٠٤م).

اعتلى بابر عرش **فرغانه** عام ٨٩٩ هـ = ١٤٩٤ م وهو فى الثانية عشر من عمره خلفا لوالده **عمر شيخ ميرزا**. واضطر عقب اعتلائه العرش إلى خوض حروب طويلة ضد أقاربه فى سبيل استرداد كل ما فقده من ملك والده فى فرغانه

---

[٢٩] ولد بابر فى فرغانه فى ١٤ فبراير ١٤٨٢م (٨٨٨هـ) وقد أطلق عليه شيخ عربي يدعى نصر الدين عبيد الله اسم ظهير الدين محمد، بينما أطلق عليه أهله من الأتراك اسم "بابر" التزاما بالأعراف التركية، وبذلك أصبح اسمه ظهير الدين محمد بابر. انظر، Bilâl Yücel,Bâbür Divâni, Atatürk kültür Merkezi Yayini,sayi:81,ankara 1995,s.9.

[٣٠] يعتبر المؤرخون تيمور لنك تركيا على اعتبار أنه نشأ فى قبيلة مغولية متتركة هى قبيلة بارلاس، وكانت هذه القبيلة تحكم وقتذاك الأماكن الواقعة على نهر كشكة، ويحدثنا رشيد الدين بأن (قاراجار) وهو الأمير الجغتائي الذى اعتبر فيما بعد جدا لتيمور، كان منسوبا إلى قبيلة برلاس جده. انظر، بارتولد، تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان،الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦، ط٢، ص٢٣٦. كما أن المؤرخ التركي حكمت بايور يذكر بابر باعتباره تركي ويفرق بينه وبين المغول وبابر نفسه يذكر أنه تركي وليس مغولى، فى تفصيل أن بابر تركي وليس مغولى، انظر، Y.Hikmet Bayur,Hindistan Tarihi,c.2Ankara 1947,s.2-3.

وما حولها، وأيضا ضد أعدائه من الأوزبك فى محاولة منه للحفاظ على ما تبقى من الدولة التيمورية فيما وراء النهر وخراسان. استغرقت هذه الحروب الفترة الأولى من حكمه حتى عام ٩١٠ هـ = ١٥٠٤م، ولم يظفر فيها بشيء، بل ضاعت منه – فى هذه الفترة – فرغانه وكان بابر آنذاك فى الواحدة والعشرين من عمره، كما نجح **الأوزبك** فى طرد التيموريين من **تركستان وخراسان**. واتجه **بابر** بنظره جنوبا ففتح كابل فى العام نفسه، وأخذ غزنه واستطاع خلال فترة قصيرة أن يستولى على قسم كبير من **أفغانستان** ويأخذ **تاشكند وبخارا وسمرقند**. وبعد موت **السلطان حسين بايقرا** استولى **الأوزبك** على **هنواة** ونجحوا فى طرد بابر مرة أخرى من المناطق التى أخذها مما وراء النهر، وانتهت الدولة التيمورية فيما وراء النهر **وخراسان** وكادت أن تطوى صفحتها كما حدث مع السلاجقة من قبل. لكن بابر تمكن بعزيمته أن يفتح صفحة جديدة للتيموريين فى الهند كتب لها الاستمرار لعدة قرون. ذلك أن كابل كانت تقع على الطريق المؤدى إلى الهند مما شجع بابر على أن يتجه ببصره جنوبا ناحية اقليم البنجاب من بلاد الهند[٣١] بأمل أن يستعيد هناك ما كان للتيموريين من ملك ودولة[٣٢] فالاتجاه ناحية الهند كان الطريق المتاح أمامه، بعد أن أغلق الأوزبك طريق عودته إلى ما وراء النهر باستيلائهم على هراة، كما أن أمراء الأفغان استنجدوا ببابر شاه ليخلصهم من وطأة حكم ومظالم اللودهيين[٣٣]. فاجتمعت لدى بابر الأسباب الخارجية والطموح الذاتى لفتح الهند، وخاض بابر فى هذا

---

[٣١] Michael Edwardes, A History of India, farrar Straus and Cuddahy, New York, p.131.

[٣٢] انظر، Yilmaz öztuna, Büyük Türkiye Tarihi c2,s.150

[33] Anil çeçen, Türk Devletleri, inkilap kitapevi Istanbul 1986 s.239.

السبيل حروبا طويلة حتى استطاع أن يدخل الهند مظفرا بعد انتصاره على "ابراهيم اللودهى"[٣٤] فى بـانى بـت سنة ٩٣٢ هـ = ١٥٢٦ م، وأن يؤسس هناك دولة التيموريين التى يعرفها الأوربيون باسم دولة المغول العظام[٣٥]. اتخذ بـابر من دهلـى عاصمة له، واستمرت أسرته تحكم فى الهند أكثر من ثلاثة قـرون، حتى قضـى الإنكليز على الدولة التيمورية فى الهند سنة ١٢٧٥ هـ = ١٨٥٧م[٣٦].

علاقة بابر بالعالم الإسلامى(التركى) فى مطلع القرن السادس عشر

شهد مطلع القرن السادس عشر سيادة ونزاع الأسـر التركيـة الحاكمـة فـى المنطقة الممتدة من تركستان حتى نهاية أملاك الدولة العثمانيـة فـى البلقان. كان هذه الأسـر التركية الحاكمة هـى التيموريون والصفويون والعثمانيون والمماليك. فقد سـاد التيموريون فيما وراء النهر وخراسان، والصفويون، فى إيران والعراق، والعثمانيون فى

---

[٣٤] إبراهيم اللودهي، ويكتب أيضا اللودى، آخر حكام اللودهيين فى دهلى. لم يحسن إبراهيم تدبير ملكه، فقامت الثـورات ضده فى كل مكان، كما ثارت النزاعات بينه وبين دولت خان اللودهي حاكم لاهور، فلجأ هذا الأخير إلى بابر الذى كـان يسيطر على كابل وما حولها، فسار إليه بابر وقتله فى باني بت، ودخل دهلى واستولى على عرشها. انظر، ظهير الدين محمد بابر شاه بابر نامه، نشرا مصورا عن نسخة حيدر آباد، لندن ١٩٠٥، ورقة ٢٦١أ– ورقة٢٦٨ب.

[٣٥] يطلق المؤرخون الأوروبيون على الدولة التيمورية فى الهند اسم دولة المغول على اعتبار أن نسب بابر يمتد من ناحية أمه إلى جنكيز خان وأن نصف دمائه مغولية وأنه حظى بمساعدتهم أثناء فتوحاته. انظر،

Edward G. Browne, A Litrary History Of Persia, vol.3,Cambridge,1928,P.٣٩١

لكن بابر نفسه يؤكد أنه تركي من التيموريين ولا يبدى حبا أو تقديرا للمغول، انظر بابر نامه ورقة ٦ب، وما جاء فى هذا البحث عن رأى بابر فى المغول. وقد جرى ببلاد الهند إطلاق لفظ المغول على الغزاة القادمين من ناحيـة الشـمال الغـربى وذلك إبتداءا من عصر جنكيز خان، ولا تنصرف هذه التسمية على أى معنى دال على الجنس، إنما قصد بها الغازى القـوى، ومن هنا كان إطلاقها على أسرة بابر، انظر، أحمد محمود الساداتي، ظهير الدين محمد بابر مؤسس الدولة المغولية فى الهندستان، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٥٣ـــ ١٩٥٤، ص٨٠، نقلا محمد حيدر دوغـلات، تـاريخ رشـيدى، ص٨٨ـــ ٩٢.

[٣٦] انظر، على أكبر دهخدا، لغت نامه، چاپ سيروس، تهران ١٣٣٦هجرى شمسى، ج٩، ص ٩٥. وأيضا،
Edward G. Browne, P.393

الأناضول والروملى والبلقان، والمماليك، فى الشام ومصر والحجاز . وتعود هذه النزاعات إلى أسباب دينية وأخرى سياسية.

فقد ورث بابر فيما وراء النهر نزاع التيموريين فيما بينهم من ناحية، ونزاع التيموريين مع الشيبانيين من ناحية أخرى.

فى الوقت نفسه كانت الدولة الصفوية الناهضة فى الغرب تضع أسس عظمتها المقبلة على حساب التيموريين، وفى الجنوب كان السلطان التيمورى حسين ميرزا بايقرا يجلس قويا على عرش هراة ويعمل على بعث أمجاد خراسان[٣٧] . كما تعاظم أمر محمد الشيبانى الأوزبكى، واستطاع أن يرسى دعائم دولة قوية لعبت دورا هاما ليس فى تاريخ آسيا الوسطى فحسب بل فى تاريخ إيران لمدة قرن بأكمله، وهى دولة الأوزبك. وكانت سمرقند هى الهدف الطبيعى لشيبانى خان. وقد شهدت المنطقة حروبا متصلة بين التيموريين والأوزبك الشيبانيين فى زمن شيبق خان، بهدف السيادة على وسط آسيا . واستطاع شيباق خان الأوزبكى أن ينتزع هراة من السلطان حسين ميرزا بايقرا، وسعى فى الوقت نفسه لانتزاع سمرقند من يد بابر . وكان التيموريون وعلى رأسهم بابر يسعون لطلب المساعدة من المغول، وهم فى الوقت نفسه أخواله، لأنه يرى أن الأوزبك يمثلون خطرا على المغول والأتراك على حد سواء[٣٨]، لكن هذه الحروب انتهت بهزيمة بابر أمام شيباق خان فى سربول سنة ٩٠٦هـ = ١٥٠٠م، وبضياع فرغانة وسمرقند منه ومن البيت

---

[٣٧] انظر، فامبرى، تاريخ بخارا، مرجع سبق ذكره، ص٢٧٧.

[٣٨] انظر، بابر شاه، بابر نامه، ورقة ٨٨ب وما بعدها

التيموري[39].

كانت أبرز هذه الحروب التي أثرت على مسار الأحداث فيما وراء النهر وخراسان حرب **السلطان سليم الأول** العثماني السني، مع **الشاه اسماعيل الصفوى** الشيعي، والتي انتصر فيها العثمانيون ومنى فيها **الشاه اسماعيل** بهزيمة قاسية في جالديران سنة ٩٢٠ هـ = ١٥١٤ م. بينما دارت في تركستان حروب **الأوزبك** مع الصفويين من ناحية ومع التيموريين من ناحية أخرى، هذه الحروب شكلت مسار التحركات السياسية للصفويين والتيموريين في وقت واحد.

وقد أراد **الشاه اسماعيل الصفوى** أن يمهد لحربه مع **السلطان سليم** بتأمين جبهته الشرقية ليتفرغ لمواجهة العثمانيين ناحية الغرب[40] فحارب مع **شيباق خان**، حاكم **الأوزبك** سنة ٩١٦ هـ = ١٥١٠ م، وسعى في الوقت نفسه لكسب مودة **بابر**، فأرسل رسولا إلى **بابر** سنة ١٥١١ م، ومعه **البيكم خوانزاده** شقيقة **بابر** التي وقعت في يد **شيباق خان** أثنا استيلائه على **سمرقند** سنة ٩٠٦ هـ = ١٥٠٠م، وقد أعادها **الشاه إسماعيل** الصفوى إلى **بابر** ومعها كل متاعها وأموالها وخدمها في موكب يليق بها وكان لهذا التصرف من جانب الشاه أثره الطيب في نفس **بابر**. وخرج **بابر** لاستقبالها أثناء وجوده في **قوندوز**، وسعد جدا بالمعاملة التي لقيتها عند الشاه[41].

في الوقت نفسه كان **بابر** يسعى لإيجاد حليف قوي له ضد **الأوزبك** ووجد

---

[39] انظر، بابر نامه ،ورقة ١٨٨أ–ب.

[40] Fernand Grenard, Bâbur, Orhan yüksek tercümesi, s. 106.

[41] انظر بابر شاه، بابرنامه، ورقة ٩أ.

هذا الحليف ممثلا فى الشاه إسماعيل الصفوى. وأعرب بابر عن رغبته فى إقامة علاقات طيبة معه عندما انتصر **الشاه إسماعيل الصفوى** على **شيباق خان** فى مرو سنة ٩١٦ هـ = ١٥١٠ م، ودخل **هراة** منتصرا [٤٢]، أرسل **بابر** رسولا إلى الشاه **إسماعيل الصفوى** فى هراة محملا بالهدايا القيمة فى العام نفسه، ليهنئه بفتح مرو، ويسأله العون والمساعدة [٤٣] والتحالف ضد الأوزبك عدوهما المشترك [٤٤]. فقد كان **بابر** يدرك عدم قدرته على التصدي بمفرده للأوزبك بعد أن استولوا على هراة وانتزعوها من يد **السلطان حسين بايقرا** أقوى الحكام التيموريين فى ذلك الوقت. وقد أحسن الشاه إستقبال هذا الرسول ووعده بتقديم المساعدة [٤٥]، وبهذا التحالف استرد **بابر بخارا**، **وسمرقند**، **وتاشكند**، **وفرغانه** وغيرها من الأقاليم من يد الأوزبك، وجلس على عرش التيموريين فى **سمرقند** للمرة الثالثة سنة ٩١٧هـ = ١٥١١م قبل أن ينتزعها الأوزبك منه نهائيا [٤٦].

وجدير بالذكر أن معظم تفاصيل علاقات التعاون بين التيموريين والصفويين فى هذه المرحلة، تقع ضمن الأجزاء المفقودة من كتاب بابر [٤٧] وهى الفترة من ٩١٤هـ -

---

[42] Fernand Grenard. a.g.e..s.97.

[٤٣] انظر. محمد حيدر دوغلات، تاريخ رشيدى، طبع هارفارد ١٩٩٦، ص ٢٠٧.

[44] Y Hikmet Bayur.Hindistan Tarihi.c.2.s.15

[٤٥] منوجهر پارسادوست، شاه اسماعيل اول پادشاهي با اثرهاى دير باى در ايران وايرانى، چاپ اول ١٣٧٥، ص ٣٣٠

[٤٦] انظر Gülbeden, Hümayunnâme, farçadan çeviren Abdürrab Yelgar Türk Tarih Kurumu Basımevi, Ankara 1987.s.122.

[٤٧] الأجزاء المفقودة من وقائع بابر هي الفترة من بقية عام ٩٠٨هـ إلى غاية عام ٩٠٨هـ (يوليو ١٥٠٣ إلى مايو ١٥٠٤م)، ومن عام ٩١٤هـ إلى المحرم من عام ٩٢٥هـ وهى أكبر الأجزاء المفقودة من هذا الكتاب وتبلغ حوالى أحد عشر عاما تقابل الفترة من مايو ١٥٠٨ إلى يناير ١٥١٩م. والفترة الثالثة من ٩٢٦هـ إلى ٩٣٢هـ (ديسمبر ١٥٢٠ إلى ديسمبر ١٥٢٥.. أنظر. بابر شاه، بابر نامه.

٩٢٥هـ = ١٥٠٩م – ١٥١٩م [٤٨]. لكن ما تذكره المراجع التاريخية الفارسية تفيد أن بابر اتبع سياسة الوفاق مع الشاه اسماعيل الصفوى للتحالف معه ضد الأوزبك [٤٩] فى الوقت نفسه أراد الشاه اسماعيل أن يستفيد من نفوذ هذا الأمير التيمورى بابر، بأمل أن يبسط نفوذه على منطقة تركستان.

كان تفاوض بابر مع الشاه اسماعيل الصفوى لمساندته عسكريا يبدو أمرا صعبا بالنسبة لبابر، لأن الأخير كان سنيا. وكان قبول الشاه يتطلب أن يقوم بابر بسك عملة باسم الشاه الصفوى الشيعى [٥٠]، وأن تقام الصلاة أيضا باسم أئمة الشيعة. وقد اضطر بابر إلى قبول هذه الشروط لأن سمرقند كانت تستحق أن يتعاون مع الشاه اسماعيل الصفوى [٥١]. وفى سبيل استرداد سمرقند اضطر بابر إلى اعتناق المذهب الشيعى لفترة رغم خروجه فى هذا على مذهب أتراك تركستان وهم من أهل السنة [٥٢].

أمر بابر بقراءة الخطبة باسم الشاه إسماعيل الصفوى وحسب المراسم

---

48 يقول حكمت بايور فى مقدمة الترجمة التركية لوقائع بابر نامه، إن البعض يدعى البعض أن هذه الأجزاء المفقودة تتصل بالفترة التى تخجل بابر منها ولا يريد الخوض فيها وهى الفترة التى اعتنق فى هذه الفترة المذهب الشيعى لمدة أربع سنوات أو أقل، وأنه لم يكتب وقائعها وتركها تبدو وكأنها قد فقدت. ويعلق على هذا الادعاء بأن أحد لم يقدم دليل على صدقه، كما أن هذه السنوات الأربع التى أعتنق فيها المذهب الشيعى ليست مبررا كافيا لأن يخفى بابر وقائع أحد عشر عاما كاملة من مذكراته، ثم يسوق الجمع عددا من الأدلة التى تبين خطأ ذلك التوقع، والتى تفيد أن هذه الأجزاء فقدت بالفعل، أنظر Hikmet Bayur, Vekayi, tarihi özeti ‹s, 18-19.

٤٩ منوجهر بارسادوست، ص ٣٣١.

٥٠ يضم المتحف البريطانى عملة تحمل إسم السلطان بابر بهادر تحيط به أسماء أئمة الشيعة الإثنى عشر، وعلى الوجه الآخر عبارة لاإله إلا الله على ولى الله. انظر، Y.Hikmet Bayur,Hindistan Tarihi,c.2, s.2/15.

51 Le Livre De BABUR , Memoires du premier Grand Mogol des Indes,presente et traduit du turc tchagatay par JeanÜ Louis BACQEÜ GRAMMONT, paris1985. p.17-18.

52 Anll çeçen, a.g.e.,s.238.

الشيعية. كما سك عملة من الفضة تحمل على أحد وجهيها عبارة "لا إله إلا الله محمد رسول الله، على ولى الله"، وعلى الوجه الآخر إسم السلطان " بابر بهادر" ولم يبن عليها تاريخ أو مكان السك. وله عملة أخرى تحمل على أحد وجهيها أسماء الأئمة الإثنى عشر للشيعة، وليس عليها تاريخ أو مكان سكها أيضا. والجدير بالملاحظة أن العملتين لا تحملان اسم الشاه اسماعيل الصفوى[53]. كما اضطر إلى أن يجعل جنده يلبسون غطاء رأس القزلباش [54]، وذلك ليبرهن على مساندته وتبعيته أحيانا للشاه اسماعيل الصفوى[55] رغم اعتقاد بابر أن عقيدة أهل الشيعة "عقيدة فاسدة"[56]، بما يجعلنا نرجح أنه كان تكتيكا سياسيا من جانب بـــابر ليستفيد من مساندة الشاه اسماعيل له.

حمل بابر والقزلباش على بخارا وسمرقند، وأخذهما من ولاتهما الشيبانيين (عبيد خان حاكم بخارا وتيمور سلطان حاكم سمرقند) وأصبح بـابر المتصرف فيهما[57]. لكن هزيمة الشاه أمام السلطان سليم الأول سنة ٩٢٠هـ = ١٥١٤م، بددت آمال بابر فى تركستان، خاصة بعد ضياع هراة وسمرقند وبخــارا وانتقالهم مرة أخرى إلى يد الأوزبك، فولى بابر وجهه شطر الجنوب ناحية الهند وكان يتوق أن يفتحها[58]. ومع ذلك ظل على علاقة طيبة بالصفويين من أبناء الشاه إسماعيل إذ كان

---

53 Hikmet Bayur, Vekayi, tarihi özeti,s.103

54 M.F.Köprülü,a.g.e., c .2, s.181/1.

55 Y.Hikmet Bayur,Hindistan Tarihi,c.2,7,s.15.

٥٦ انظر، بابر شاه، بابرنامه، ورقة ٦٨ب.

٥٧ منوجهر بارسادوست ، ص ٣٣١.

٥٨ انظر، Gülbeden,a.g.e.,s.123

يتبادل الرسل مع الأمير طهماسب إبن الشاه اسماعيل فى فارس ويسعد لانتصاره على الأوزبك[59].

ولم تكن علاقة بابر بالعثمانيين بمثل ما كانت عليه مع الصفويين. والسبب فى ذلك هو تعرض بابر لخطر شيباق خان الأوزبكى الذى قضى على دولة التيموريين فى ما وراء النهر، وفى الوقت نفسه كان العثمانيون يعملون على تدعيم الأوزبك فى موقفهم العدائى من الصفويين[60]. وقد عاصر من العثمانيين سلاطين ثلاث، أولهم السلطان بايزيد الثانى (٨٨٦- ٩١٨هـ = ١٤٨١-١٥١٢م)، وكان مشغولا بنزاعه من أخيه الأمير جم وما يجرى فى الشمال الأفريقى والتحالف الأوربى الصليبى ضد الدولة العثمانية. والثانى هو السلطان سليم الأول (٩١٨-٩٢٧هـ =١٥١٢-١٥٢٠م)، وكان مشغولا بالحرب مع الصفويين لوقف الدعاية الشيعية فى الأناضول[61]، والحرب مع الدولة المملوكية فى مصر من ناحية أخرى، والثالث هو السلطان

---

[59] انظر بابر شاه، بابر نامه ورقة ٣٤٧أ.

[60] ونرى أن السبب فى هذا الدعم أن الأوزبك كالعثمانيين كانوا من أهل السنة وكانوا يمثلون القوة المؤهلة فى ما وراء النهر للتصدى للشاه اسماعيل الصفوى العدو المشترك لهما. وكان السلطان سليم الأول يتبادل الرسائل مع عبيد خان الأوزبك أثناء صراع السلطان سليم مع الشاه اسماعيل الصفوى عدو العثمانيين والأوزبك المشترك. فيصف السلطان سليم الأول عبيد خان الأوزبك بأنه (باسط الأمن والأمان. ناشر العدل والإحسان) كما يصف عبيد خان الأوزبك السلطان سليم الأول بأنه (السلطان المظفر. كهف الغزاة والمسلمين، قاتل الكفرة والمشركين قامع الفجرة والملحدين) أنظر. وانظر أيضا. عبد الحسين نوائى، شاه اسماعيل صفوى، ص١١٥-١٢٧. ولعل هذا التعاون بين الأوزبك والعثمانيين هو الذى دفع بابر إلى التعاون مع الشاه اسماعيل الصفوى ليحمى دولته الناشئة من خطر الأوزبك.

[61] جدير بالذكر هنا أن السلطان سليم الأول كان حريصا على الاحتفاظ بعلاقة طيبة مع الأمراء التيموريين باعتبارهم من الأتراك أهل السنة، و يقول منجم باشى إن بديع الزمان ميرزا. إبن السلطان حسين بايقرا سلطان هراة. بعد ضياع هراة و قتل الأوزبك أكثر أخوته. هرب خوفا على حياته من الأوزبك ولجأ إلى الشاه اسماعيل الصفوى.وكان موجودا لدى الشاه اسماعيل الصفوى أثناء موقعة جالديران التى دارت بين الشاه إسماعيل والسلطان سليم الأول سنة ١٥١٤م، وعندما انهزم الشاه اسماعيل "حضر بديع الزمان ميرزا عند السلطان سليم. فبالغ السلطان فى إكرامه وطيب قلبه بالمواعيد الجميلة. فحمله معه إلى الروم "وظل هناك حتى توفى ودفن بقرب إلى أيوب الأنصارى". انظر. منجم باشى. جامع الدول. ج٢. ورقة ٢٦٥ب، ٢٦٦أ. وانظر أيضا. عبد الحسين نوائى. المرجع السابق. ص ٣٦٧.

سليمـــــان القــــانونى (٩٢٧-٩٧٤هـ = ١٥٢٠- ١٥٦٦م)، الذى ورث الدولة بجبهتين شيعية وأوروبية صليبية استنفذتا عصره الذهبى فى قتال دائم ورغم هذا مد يد العون لبــابر شــاه فى تحركه لفتح الهند، فأمده بفرقة من المدفعيين العثمانيين بقيادة مصطفى بك الرومى، مكنت بـابر من الانتصار على ابراهيــم اللودهى فى بنى بت سنة ١٥٢٧[٦٢] . كما كان بابر يرسل الهدايا والنذور، إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة وهما فى حوزة العثمانيين[٦٣] .

بابر نامه

كتاب بابر المعروف باسم بابرنامه. كتبه بابر فى العقد الثالث من القرن السادس عشر الميلادى باللغة التركية فى لهجتها الجغتائية. سجل بابر فى كتابه هذا جهوده وجهاده فى سبيل تأسيس دولته، والحروب التى خاضها ضد أقاربه والأوزبك فى سبيل الحفاظ على ما تبقى من الدولة التيمورية فى بلاد ما وراء النهر وخراسان قبل أن ينتزعها الأوزبــك، ثم انتصاره على اللودهيين، ونجاحه فى الحفاظ على ما تبقى من سلطان الدولة التيمورية ليكتب لها عمرا جديدا فى بلاد الهند .

تخلل هذا التسجيل، وصف تاريخى وحضارى وجغرافى للمدن الهامة التى رآها أثناء فتوحاته وانطوت تحت لواء دولته ؛ وهى فرغانه، وكابل، وبخسارا،

---

[٦٢] انظر بابر شاه، بابر نامه ورقة ٣٢١ب عبد الحسين نوالى ، المرجع السابق ، ص ٣٨٠ رأيضا ،
Yilmaz Öztuna,a.g.e,s.151.

[٦٣] انظر بابر شاه، بابر نامه، ورقة ٢٩٤أ.

وسَمَرقَند، والهند .

كتب بابُر كتابه هذا فى السنوات الأخيرة من عمره، بعد أن تجاوز المحن التى خاضها طوال حياته. وفيه يظهر بـــابُر شاعرا وسياسيا وفيلسوفا فذا ممتازا بين فلاسفة العصر الوسيط"[٦٤] .

ولهذه المذكرات أسماء عدة اشتهرت بها ؛ هى " وقايع "، " وقايع نامـه "، " واقعات بـابرى"، " وقايع نامـهء بادشـاهى "، " بابريـه "، وأطلق على ترجمتـها الفارسية إسم " توزك بابرى "، لكن أشهرها جميعا هو اسم " بابُر نامه"[٦٥] .

بدأ بـــابُر مذكراته بدون تقديم أو تمهيد بذكر جلوسه علـى عـرش فرغانــه وهو فى الثانية عشر من عمره، واستمر فى تسجيل الأحـداث التى مرت بـه حتـى قبيل وفاتـه بعام واحـد. أى مـن عـام ٨٩٩ هـ = ١٤٩٤م، إلى عام ٩٣٦هـ = ١٥٢٩م. باستثناء بعض السنوات التى لم تصل إلينا وتشمل أربع فترات هى :

- من صَفَر ٩٠٩هـ = يوليو ١٥٠٣م إلى ذى الحجة ٩١٠هـ = مايو ١٥٠٤م.
- من صَفَر ٩١٥هـ = مايو ١٥٠٩م إلى ٥ محرم ٩٢٥هـ = ٢ يناير ١٥١٩م.
- من ٢٥ محرم ٩٢٧هـ = ١٣ديسمبر ١٥٢٠ م إلى ٦ صَفَر٩٣٢هـ= ١٧أكتوبر ١٥٢٥م باستثناء عدة أيام من عام ١٥٢١م.
- من محرم ٩٣٦هـ = سبتمبر ١٥٢٩م إلى ٩٣٧هـ = ١٥٣٠م[٦٦] .

---

[٦٤] فامبرى، نفس المرجع، ص ٢٨٦.

[65] ükA kuraF rem_en..Babur náme Maddesi.I.A.T.D.V..c.4..s.404/2.

[٦٦] انظر، بابُر نامه ورقة ١١٩ب، ١٢٠أ، ٢١٦أ، ٢١٦أ-ب، ٢٥١أ-ب، ٣٨٢أ، وأيضا Ömer Faruk Akün a.g.e..s.404

وقد دون بـــابر وقائعه على شكل الحوليات، فذكر الوقـائع تبعا لسـنوات جريانها، وهى الطريقة التقليدية المتبعة فى تدوين الوقائع فى الأدب الإسلامى فى عصره. وإن كانت الأجزاء الأولى من كتابه هذا أكثر حيوية فى التسجيل، وأكثر ميلا إلى التفسير من الأجزاء الأخيرة منه والتى جاءت أشبه باليوميات.

القيمة التاريخية لبابر نامه

وصف بابر كتابه هذا فى أكثر من موضع بأنه "تاريخ" ووصفه أيضا بأنه " وقائع "، وذكر أن الهدف من هذه الوقائع هو ذكر الحقائق.

وقدكتبه بـــابر فى السنوات الأخيرة من عمره، بعد أن تجاوز المحن التى خاضها طوال حياته، فتضمن الكتـاب خلاصة فكره ورؤيته وتفسيره وتحليله لوقائع وأحداث عاشها وعاصرها، بعد أن صار بإمكانه فهمها وتفسير مغزاها، وبالتالى فالكتاب يعبر عن ثقافة بــابر وفكره وخلقه، ويحمل الكثير من سماته الإنسانية.

ولا يوجد فى كل كتب الأدب التركية والفارسية على السواء كتاب مثل بـابر نامه يحوى مثل هذه الأخبار الغزيرة[٦٧] التى تضمنها كتابه هذا فيما يتعلق بتاريخ الهند وبلاد ما وراء النهر فى نهاية حكم الدولة التيمورية هناك والكتاب بهذه الكيفية يصلح لأن يكون ميدانا لعدد من الدراسات التاريخية والحضارية فيما يتعلق بالأتراك والمغول وشبه القارة الهندية وبلاد ما وراء النهر.

---

[٦٧] انظر، فامبرى، نفس المرجع، ص٢٨٧.

ويعتبر بابُر نامه مصدرا أساسيا في معرفة التاريخ الاجتماعي والحضاري لمنطقة وسط آسيا في مطلع القرن السادس عشر. ذلك لأن بابُر أحاط بكل ما يدور حوله، ووصف كل ما يحيط به من عادات أهله. والنظم السياسية والإدارية والعسكرية، والأوضاع والاجتماعية والأعراف والنظم السائدة في عصره. هذا فضلا عن معلوماته عن الجغرافيا والمناخ والحيوان والنبات وخصائص كل منها. رغم أننا لانستطيع أن نحدد على وجه الدقة المصادر التي استقى منها بابُر الأوصاف الجغرافية الدقيقة التي تضمنتها وقائعه[68].

وقد حدثنا بابُر أكثر من مرة عن أعراف الأتراك والمغول في دواوين الحكم والمجالس، ومآدبهم، وعند الخروج للقتال[69]. وأزيائهم[70]، وأخلاقهم[71]، وكيف

---

[68] Le Livre De BABUR. p.21

[69] مثال ذلك وصفه لاستعداد الجيش المغولي عند الخروج للقتال. فيقول بابُر "نظموا صفوف جناحي اليمين والشمال تنظيما جيدا. وفتحوا الطوغ وفق عادة المغول. وترجل الخان من فوق جواده وعرض أحد المغول أمام الخان تسعة طوغات وأمسك في يده قطعة قماش بيضاء طويلة مربوطة بعظمة ساق ثور أمامية. كما ربط إلى أسفل قليلا ثلاث قطع طويلة من القماش بطرف طوغات ثلاثة ومرّ بها أسفل صاري الطوغ. ووطأ الخان بقدمه على طرف إحدى هذه القطع الثلاثة، وأنا على طرف القطعة الثانية المربوطة بأحد الطوغات كما داس السلطان محمد خانيكه على طرف القطعة الثالثة وأمسك ذلك المغولي في يده عظمة ساق الثور الأمامية المربوطة وقال أشياء بالمغولية وهو يشير وينظر إلى الطوغ. وكان الخان وكل الواقفين في الأطراف ينثرون القميز على الطوغ بينما الأبواق والطبول تعزف نغمة واحدة. وأطلق الجند المصطفون وكل الموجودين صيحة الحرب سويا وكرروها ثلاث مرات. وكان الجنود يجوبون حولنا فوق الجياد ويطلقون صيحة الحرب. وهذه النظم التي وضعها جنكيز خان للمغول، ما زالت مرعية حتى الآن كما وضعها. واصطفت أجنحة الميمنة والميسرة والقلب كل في مكانه كما كان يفعل آباؤهم ووقف على رأس جناحي الميمنة والميسرة أصحاب المكانة الأرفع". انظر، بابُر شاه، بابُرنامه، ورقة ١٠٠أ–ب.

[70] يقول بابُر في وصف ملابس المغول: "في صباح اليوم التالي أنعم على الخان الصغير، وحسب العادات المغولية، بطاقم كامل من الرأس إلى القدم، كما أعطاني حزامه، وجواد خاص مسرج. كان الطاقم عبارة عن غطاء رأس مغولي موشى. والملابس كانت من الأطلس الصيني الموشى أيضا. كذلك الحزام كان حزاما صينيا وقد علقت في طرفه الشمالي ثلاث أو أربع وحدات من العنبر تشبه الكيس الذي تعلقه النساء في رقبتهن كذلك في الطرف الأيمن ثلاث أو أربع وحدات تشبهها. وقد تم تجهيزها كلها حسب الأصول القديمة". "كان رجال الخان الصغير يلبسون حسب عادة المغول تماما. كانوا يضعون أغطية الرأس بالشكل المغولي وملابسهم من الأطلس الصيني وموشاة وكنانة السهام من الجلد الأخضر القاهر بالشكل المغولي، وسروجهم وجيادهم المغولية كان مزينة بشكل لم أر مثله من قبل. انظر بابُر شاه، بابُر نامه ورقة ١٠٣أ.

يتداوون[٧٢]، وماذا يأكلون. وعرفنا من عادات الأتراك فى تلك الفترة أن ألذ ما يأكلون هو الشواء من لحم الخيل، وألذ الفواكه البطيخ والعنب. كما عرض بابُر للآداب المرعية عند اللقاء والتحية والهدايا وأعلاها ما يكون من تسع وحدات فأعظم مراتب التحية الانحناء تسع مرات وأعظم الهدايا تسع هدايا. وكما وصف آداب الطعام ومجالس اللهو، وأزياء عصره وطريقة لف العمامة وأنواع الرياضات التى يمارسها الناس آنذاك وأهمها الصيد، والمصارعة، وسباق الخيل، ومبارزة السيف، والسباحة، وكلها رياضات وثيقة الصلة بطبيعة حياتهم القبائلية فى هذه البيئة الجغرافية الصعبة. فقدم لنا بابُر صورة لا مغالاة فيها للأحوال الإجتماعية والأخلاقية والحضارية التى كانت تسود بلاد ما وراء النهر فى أخريات عهد الدولة التيمورية هناك.

وتبين من الكتاب أن التيموريين عرفوا تنظيم الجيوش وكان تنظيمها

---

[٧١] من هذه الأخلاق التى شاعت بين الترك والمغول فى ذلك الوقت وأشار إليها بابُر أكثر من مرة، هى الثأر ممن اعتدى أو أساء إليهم ويقول بابُر فى ذلك: "كانت بيشكينت أثناء ذلك فى يد عبد المنان بن المولى حيدر. وكان للمولى ابن آخر أصغر من هذا اسمه مؤمن، عديم الاكتراث لا ترجى منه فائدة، وقد زارنى أثناء وجودى فى "سمرقند وأبديت له رعاية فائقة. ولا أعرف إن كان نويان كوكلداش قد أساء معاملته فى سمرقند أم لا، فملأته هذه المعاملة غير اللائقة بغضا. وعندما علمنا بعودة مهاجمى الأوزبك أرسلنا رجلا إلى الخان ثم غادرنا بيشكينت وأقمنا لمدة ثلاثة أو أربعة أيام فى قرى آهنكران. ودعا مؤمن ابن المولى حيدر، نويان كوكلداش وأحمد قاسم وآخرين إلى وليمة طعام بناء على تعارفهما السابق فى سمرقند. وكانوا فى بيشكينت عندما غادرنا. وأقام لهم مؤمن هذه المأدبة على حافة جرف هاو. ونزلنا نحن بإحدى قرى آهنكران اسمها سام سيرك. وفى الصباح علمنا بوفاة نويان كوكلداش على أثر سقوطه من شفا الجرف الهاو وهو ثمل. وذهب "حاك تزار" خال نويان وعدة أشخاص للبحث عن جثمانه حيث سقط. وعثروا على جثته ودفنوها فى بيشكنت ورجعوا. وقد عثروا على جثته أسفل المكان الذى أقيمت فيه المأدبة، والذى يرتفع عن الأرض بمقدار رمية سهم. وجال بخاطر البعض أن مؤمن لم ينس ثأره منذ أيام سمرقند، وأنه فعل هذا بنويان عمدا، ولا أحد يعرف حقيقة الأمر" انظر بابُر شاه، بابُر نامه ورقة ٩٨أ-ب.

[٧٢] يصف لنا بابُر بعض أساليب العلاج المتبعة بين المغول فى ذلك الوقت فيقول: "أرسل لى الخان جرّاحه المغولى واسمه "اتكه بخش" للعناية بجرحى. والمغول يطلقون على الجراح الماهر اسم "بخش". وقد كان جراحا حاذقا. فكان يداوى مخ الإنسان وإن خرج من موضعه. ويضع دواء يشبه المرهم فوق بعض الجروح، كما يصف لبعضها الآخر دواء يؤكل. وقد أمر بحرق المضغ للجرح الذى فى ساقى ولم يضع الفتيل. كما أطعمنى ذات مرة شيئا يشبه الجذر. وقد حكوا عنه إنه ذات مرة انكسرت عظمة دقيقة فى ساق احدهم، وتمزق مكانها تماما بمقدار أربعة أصابع وصار مهترئا. فشق اللحم وأخرج العظام تماما، ووضع مكانها دواء على هيئة التراب، فقام هذا الدواء مقام العظام. وقالوا أشياء كثيرة بهذه الغرابة وكلها تثير العجب. وقد عجز الجراحون فى الولاية عن القيام بمثل هذه العلاجات. أنظر بابُر شاه، بابُر نامه، ورقة ١٠٨ب-١٠٩أ.

عبارة عن صفوف اليمين والشمال والقلب والمقدمة[٧٣]، وعرفوا ما يسمى الآن بحرب الاستنزاف[٧٤]، وتكتيك القتال، والالتفاف من خلف العدو، والكر والفر بشكل مفاجئ[٧٥].

ويمكن الاستفادة أيضا من هذا الكتاب فى فهم التاريخ الاجتماعى وتقاليد الشعوب فى زمن كتابته. فمن العادات التى ذكرها بابُر فى كتابه أن المقاتل التركى عندما يرغب فى الاستسلام "علق السيف وكنانة السهام فى رقبته[٧٦]" ويذهب إلى عدوه بهذا الشكل، أما عند الأفغان، فإن المقاتل عندما يعجز عن مقاومة خصمه يذهب إليه واضعا الحشائش بين أسنانه ويقول لخصمه: "أنا ثور لك"، وهى من العادات الغريبة التى شاهدها بابُر فى بلاد الأفغان[٧٧].

وتعتبر بابُر نامه أحد المصادر الأساسية بالنسبة لسيرة شيباق خان الأوزبكى، وتسجل سعيه لانتزاع بلاد ما وراء النهر من يد التيموريين وفى الوقت نفسه تضع بابُر نامه أيدينا على الأسباب التى أطاحت بملك التيموريين هناك، وما كان يدور بينهم من نزاعات وشتات أمرهم بصورة أعجزتهم عن المحافظة على دولة آبائهم التيموريين.

---

[٧٣] انظر، بابُر شاه، بابُر نامه، ورقة ٨٩أ.

[٧٤] انظر، بابُر شاه، بابُرنامه، ورقة ٧١أ ـــ ب.

[٧٥] يقول بابُر فى وصف مثل هذه الخطط القتالية "كانت حركة الالتفاف مهارة كبيرة يمتاز بها الأوزبك فى معاركهم، فلا تكون الحرب عندهم أبدا بغير التفاف، ومن خطط الحرب أيضا عندهم أن يطلق كل الأمراء والجنود الذين فى المقدمة والمؤخرة السهام دفعة واحدة، ثم يرجعوا مدبرين بسرعة ثم يعودوا فينقضوا مرة أخرى دفعة واحدة". انظر، بابُر شاه، بابُر نامه،ورقة ٩٠أ.

[٧٦] انظر،بابُر شاه، بابُرنامه ورقة ٦١ب.

[٧٧] انظر،بابُر شاه، بابُر نامه ورقة ١٤٧أ.

ومما يزيد من أهمية بابُر نامــــه، هذه التراجم التى كتبها بــابُر لعدد من الشخصيات التاريخية الهامة التى عرفها، مثل ترجمة والده الشيخ عمــر ميــرزا، والسلطان محمود ميرزا، وابنه السلطان باى سنقر ميرزا، والسلطــان أحمــد ميرزا، والسلطان حسين بايقرا وعصره، ومير على شـــير نوالـــى. فأحاط بنسب كل واحــد منهم ومولـده، وشـكله وشمائله، وأخلاقه وأطواره، ومعاركه وولايته، وأولاده ونسائه، وجواريه وأمرائـه. وتتميز من بين هـذه التراجم ترجمته للسلطان حسين بــايقرا وعصره قبل أن يستولى عليها الشيبانيـون، فقد رسم لنا صورة تنبض بالحياة تعبر عن المكانة الرفيعة التى بلغتها هراة فى ذلك الوقت وثرائها برجالات الأدب والعلم والفن.

كذلك حرص بــابُر فى مذكراته هذه على وصف المدن الهامة التى رآها وعاش فيها أثناء فتوحاته، وحرص أن يصف موقعها، وجبالها ووديانها ومناخها، وما بها من أنهار وأودية وقلاع، ومحاصيل وثمار ونبات، وحيوان وطير، وخصائص أهلها، وعاداتهم، وبعض المظاهر الحضارية التى شاهدها فى تلك المناطق.

لهذا كله يُعتبر كتاب بابُــر" بــابُر نامـــه "، عملا فريدا فى اللغة التركية الجغتائية فيما يتعلق بتاريخ فــارس والهنــد[78]. كما يعتبر بـــابُر نامــه مصدرا أساسيا فى معرفة التاريخ الاجتماعى والحضارى لمنطقة وسط آسيا فى مطلع القرن السادس عشر.

[78] Edward G. Browne.ibid, p.453.454

منهج بابُر في الكتابة التاريخية

قد تدفع كتابة السيرة الذاتية، صاحبها أحيانا للمبالغة والزهو، لأنها ستكون حديثا عن النفس والزهو بها وإعلاء لقيمتها، ولكن إذا كان صاحبها معتدلا وكان الصدق ديدنه فستكون سيرته الذاتية أكثر انطباقا على حياته، لأنها - في هذه الحالة - لن تكون مجال تخمين أوافتراض، لكنها ستكون - بالضرورة - مجال تحقيق وتثبت.

وهناك بعض الشخصيات المؤثرة في التاريخ تنهض لكتابة مذكراتها، فتميل أحيانا إلى عدم الالتزام الدقيق بالحقائق تبريرا لأخطائها أو درءً للمسؤولية، أو تأكيدا لنجاحها ومن ثم الإساءة إلى أعدائها أو غير ذلك من مظاهر عدم الالتزام بالحقائق. وفي هذه الحالة تضعف الثقة في قيمتها المرجعية - ولو أحيانا لافتقارها إلى الصدق والواقعية، وتكون بذلك أقرب إلى كونها رسالة للدفاع عن النفس.

أما كتاب بابُر فيتميز - كما يرى الكثير من المؤرخين المشتغلين ببابُر وتاريخ آسيا الوسطى - بالصدق الكامل والموضوعية وتصوير الوقائع حسبما جرت دون إغفال لأوجه النقص أو التقصير أوالإهمال أو غير ذلك من مظاهر الضعف الإنساني، مما جعل بابُر يبدو فيها بطلا إنسانيا وليس بطلا أسطوريا[79]. وإذا قورنت مذكرات بابُر هذه بما كتبه المؤرخون الذين عاشوا نفس الفترة و شهدوا نفس الأحداث نرى أن بابُر قد أحسن عرض جهوده، كما أنه لم يتعمد إخفاء أي تصرف

---

[79] M.F.Köprülü,a.g.e.,s.184..

قد يسيئ إليه، ولم يغير فى الوقائع التى سجلها لكى يبالغ فى نجاحه[80] فالموضوعية التى دون بها بابر وقائعه لها دلالة حضارية، وهذه الموضوعية هى ما تفتقده الكتابات التاريخية لتلك الفترة"[81].

وسبب اهتمام بابر بكتابة هذا "التاريخ" ترجع بالدرجة الأولى إلى أنه كان جزءا من الوقائع التى سجلها، كما كان وثيق الصلة بأطراف هذه الوقائع، فضلا عن ثقافته الواسعة التى تبدو لنا من خلال كتابه بابر نامه"[82]، والتى يمكن من خلالها أن يضع ما هو ضرورى وهام من الأحداث فى اطاره الصحيح، وهذه الثقافة مكنته من إبداء الرأى والتعليق على بعض ما جاء به.

وقد وضع بابر لنفسه منهجا التزم به فى كتابة " وقائعه " التى هى مذكراته. هذا المنهج يعتمد على :

أولا : الصدق والموضوعية فى سرد الوقائع :

التزم بابر بالصدق والموضوعية فيما يكتب من وقائع [83]، وهما اثنان من السمات التى يجب أن يتحلى بها كل من يتصدى لكتابة التاريخ. وقد التزم بابر بهذا

---

[80] هذا ما يذهب إليه كاتب مقدمة المجمع التاريخى التركى فى تقديمه لترجمة بابر نامه إلى اللغة التركية الحديثة وإن كان لنا تحفظ طفيف فى هذا الشأن سنذكره فى حينه .انظر.
Hikmet Bayur. Vekayi. tarihi özeti s.7.

[81] Le Livre De BABUR.p.21

[82] مثال ذلك إلمامه بتاريخ سمرقند وكذلك إلمامه بتاريخ من سبقه لفتح الهند من الفاتحين المسلمين انظر بابر نامه، ص٢٦٩أ، وعن ثقافة بابر انظر ما كتباه فى هذا الجانب من شخصيت أنظر، ماجده مخلوف، نفس المرجع، ص٢٦-٣٤.

[83] وعبر عن هذا بقوله : "إن الهدف مما ذكرت ــ من وقائع ــ ليس قذف الآخرين بالحجارة، بل ذكر الواقع بحالته. كما لا أهدف من وراء هذا الإعلاء من شأنى. وإنما ذكر الحقيقة". بابر نامه، ص ٨٩أ. ويقول أيضا: "إنى ملتزم بذكر حقيقة كل كلمة وكل واقعة كما حدثت: بابر شاه، بابر نامه ورقة ٢٠٦أ.

الجانب من منهجه بسبب إدراكه للقيمة التاريخية لما يسجله من وقائع وصفها بأنها "تاريخ"[٨٤]، فلم يخف شيئا يمكن أن يؤخذ عليه، كما لم يعمل على اختلاق بطولات وأعمال ليست له من باب الزهو والفخر. وإذا ما قورنت مذكراته بما كتبه المؤرخون المعاصرون له، نجد أن بابُر، لم يغير فى ذكر الوقائع، بالمبالغة أوالنقصان، سواءبالنسبة لنفسه، أو لمن ورد ذكرهم من شخصيات تاريخية عاصرها واحتك بها [٨٥]. وتبدو هذه الموضوعية أيضا فى تعريفه بعدد كبير من الشخصيات التى ورد ذِكرها فى كتابه، ولا تحول رابطة دمٍ أو رحمٍ بينه وبين الحقيقة، سواء كانت هذه الحقيقة مزية أو نقيصة[٨٦].

ما حرص بابُر على حجبه وأسبابه :

ورغم هذا الصدق والواقعية التى اتصف بها بابُر، إلا أن للنفس الإنسانية ضعفها، فنرى أن بابُر قد حجب جانبا من بعض الوقائع التى تعلق بشيباق خان والتى وردت فى مصادر تاريخية أخرى معاصرة له بشيء من التفصيل.

مثال ذلك ما ذكره بابُر فى واقعة وقوع أخته خوانزاده بيكم فى يد شيباق خان أثناء خروج بابُر من سَمَرقَنْد للمرة الثانية عام ٩٠٧هـ =١٥٠١م، وقد ذكرها بابُر بشكل مختصر فى عبارة عارضة قال فيها : "وأثناء خروجنا هذه المرة وقعت

---

[٨٤] انظر، بابُر شاه، بابُر نامه، ورقة ٢٧أ، ورقة ٥٠ب.

[85] Hikmet Bayur, Vekayi, tarihi özeti ،s,7.

[٨٦] انظر بابُر نامه ورقة ٢٠١أ و أيضا ما ذكره بابُر عن بعض أقاربه مثل السلطان محمود ميرزا، ولم يمنعه عداؤه لشيباق خان عن إبداء إعجابه بمهارته القتالية وتحركاته العسكرية.

أختى الكبرى خوانزاده بيكم فى يد شيباق خان"[٨٧].

وقد ذكر محمد حيدر دوغلات ابن اخت بابُر هذه الواقعة تفصيلا فى كتابه المعروف باسم "تاريخ رشيدى" حيث يقول: إن "بابُر شـاه كان قد زوّج أخته خوانزاده بيكم لشيباق خـان أثناء محاصرته لسَمَرقَنْد، فداءً لنفسه، وقد سُرَّ شيباق خـان لهذا، وبعد ذلك خشى أن تؤذيه البيكم لمصلحة أخيها، فطلقها وزوّجها إلى سيد هادى أحد رجال الأوزبك العظام، وكان مرموق المكانة لدى الخان والسلاطين وكل الأوزبك "[٨٨].

كذلك ذكرت كلبدن إبنة بـابُر فى همايون نامه[٨٩] وهى بصدد الحديث عن محاصرة شيباق خان لسمرقند وبداخلها بـابُر شـاه الذى لم يصله لأى عون من أقاربه، ثم قالت: "وفى هذه الأثناء أرسل شيباق خان إلى بابُر شـاه قائلا (إذا أعطيتنى أختك خوانزاده بيكـم ، يعود السلام بيننا، وتقوم بيننا أواصر الاتحاد) فاضطر (بابُر) تحت وطأة الضرورة أن يزوج خوانزاده بيكم إلى شيباق خـان، ثم خرج من سمرقند"[٩٠].

والواقع أننا أميلُ إلى الأخذ بهذين القولين، وذلك إذا نظرنا إلى شعور بـابُر وإحساسه بالنجاة بعد خروجه من سَمَرقَنْد رغم ضياعها منه.

---

[٨٧] انظر، بابُرنامه، ورقة ٩٥أ.

[٨٨] انظر، محمد حيدر دوغلات، نفس المرجع، ص ٢٧٠

[٨٩] كلبدن هي إبنة بابُر شاه ، وهذا الكتاب "همايون نامه" هو سيرة همايون الابن الأكبر لبابُر شاه بقلم شقيقته كُلبدن، وهو مكتوب في أصله بالفارسية ، وتمت ترجمته إلى اللغة التركية وأصدرة مجمع التاريخ التركي عام ١٩٨٧، وهي الترجمة التي رجعنا إليها .

[٩٠] انظر Gülbeden,Hümayunnâme,s.116.

كما يبدو بابُر وكأنه غير ملتزم بالواقع كما كنا نتوقع منه، ففي ذكره لواقعة محاصرة شيباق خان له في سمرقند للمرة الثانية (ضمن وقائع سنة ٩٠٦ هـ = ١٥٠٠م، وسنة ٩٠٧ هـ = ١٥٠١م)، يصور وطأة هذه المحاصرة ووقعها عليه هو شخصيا وعلى جنوده وكذلك على أهل سمرقند، ثم يذكر فجأة وبلا مقدمات واقعة قيام شيباق خان بعرض الصلح عليه، فيقبل. ويُرجع قبوله هذا إلى يأسه من وصول أي نجدة له[91]. ويبدو أن حادثة طلب شيباق خان الصلح مع بابُر – رغم تفوقه – حادثة غير منطقية، ولا تستند إلى الواقع، ولم يلتزم فيها بمنهجه العام. فما الدافع لأن يعرض شيباق الصلح وهو في الموقف الأقوى، بينما بابُر محاصر وقد انفض من حوله رجاله وملأه اليأس كما يقول. مما يجعلنا نتصور أنه فرح بهذا الصلح وكتبت له النجاة بخروجه من سمرقند، ويؤكد نظرتنا هذه – وهذا حسب رؤيتنا – وصفه هو شخصيا لحاله بعد هذا الصلح[92]. وهذا حسب تصورنا يشير إلى أن خروجه من سمرقند كان يغلفه الإحساس بالخطر والموت وليس خروجا بناء على مصالحة من عدوه الأوزبكي[93].

---

[91] يقول بابُر في هذا الموقف ما ملخصه : "طالت فترة الحصار ولم تصلنا بعد المؤونة، وبدأ الناس والجند في مغادرة القلعة والهرب منها بعد أن ملأهم اليأس، وجاء شيباق خان وهو يعلم تماما حال أهل القلعة وعجزهم ونزل بجوار غار العشاق. واشتدت الأزمة واستبد الضيق بالجند وأهل المدينة وبدأ رجالي المقربون وذوو المكانة في الهروب قفزا من فوق الأسوار، واستبد اليأس بي وبمن معي. وبينما نحن على هذا النحو أبدى شيباق خان الرغبة في الصلح. وعقدنا الصلح" انظر بابُرنامه ورقة ٩٤أ – ٩٥ب.

[92] يصف بابُر شعوره بعد خروجه من سمرقند هذه المرة بقوله: "وزالت من القلب رهبة الموت ومن الناس وطأة الجوع، ولم تكن قد لقينا في حياتنا مثل هذه الراحة ... فقد أحسسنا بالراحة والرخاء ونجونا من بلاء العدو ووطأة الجوع" انظر بابُرنامه ورقة ٩٥ب.

[93] هذا يبدو ماذكره فامبري في هذه الواقعة من أن "بابُر وجد نفسه أشبه بمعزول في حصونه المهجورة، هنالك اتخذ سبيله هربا في الليل ! فقد من بوابه شيخ زاده ونجا بحياته" هو الأقرب للتصور انظر. فامبري، تاريخ بُخارا، ص٢٠٧. وأظن أن هذا الرأي مستقى من شيباني نامه التي يرجع إليها فامبري كثيرا فيما يتصل بتاريخ شيباني خان وقد حاولت الاطلاع عليها ولم أستطع.

وباستثناء ما يتعلق بشيباق خان – عدوه وعدو أسرته اللدود – تناول بابر بصدق وواقعية ملامح حياته الخاصة والسياسية والعسكرية والفكرية والأدبية. كما تناول بنفس الصدق والواقعية حظ هذه الحياة من النقص والكمال والإخفاق والنجاح، ولم يخجل من شرح أسباب هزائمه وأخطائه ونقاط ضعفه. وقد شرح كل هذا بهدوء وبشكل طبيعي، وتكلم عن ذاته باعتباره إنسان فى المقام الأول وليس بطلا أو مؤسس دولة.

ثانيا : ربط النتائج بالأسباب :

تميز منهج بابر بالحرص على ربط النتائج بالأسباب، فهو لا يدون الوقائع فحسب إنما يعبر عن فكره الخاص تجاهها[٦٤]. ومرجع هذا أن بابر كان جزءً أساسيا فى هذه الوقائع وليس مجرد راوٍ أو مسجل لها. وكان بابر بهذه الرؤية -كما نرى- متميزا بهذا المنهج الموضوعى. وهذه الرؤية التى استخدمها بابر تدخل فيها عوامل إيمانية وعقدية تمثل لديه إطارا لتفسير الأحداث. وهذه العوامل الإيمانية تعبر عن جانب بارز فى شخصية بابر، وهذا ما يشير إليه دائما فى مواضع النصر، فنراه يفسر الإنتصارات فى مواقف كثيرة بأن مرجعها توفيق الله وقدرته، أو حسن طالعه. أما فى مواضع الإخفاق فيرجعها دائما إلى أسباب موضوعية، مثل الإهمال الناتج عن

---

[٦٤] مثال ذلك ما كتبه بابر عن اختلافه عن السلطانين محمود الغزنوى وشهاب الدين الغورى اللذين سبقاه لفتح الهند فيتناول أوجه الاختلاف بينه وبينهما قائلا: "إن ما قمت به يختلف عما قام به هذين السلطانين. ذلك لأنه عندما استولى السلطان محمود الغزنوى على بلاد الهند، كان عرشه فى خراسان، وسلاطين خوارزم خاضعون له، كما بسط جناحه أيضا على سلطان سمرقند. وكان جنده يزيدون على المائة ألف." كما يشير أيضا إلى انقسام الهند لعدد من الإمارات كل منها يخضع لأمير مستقل. ثم أن السلطان شهاب الدين الغورى، جاء إلى الهند بمائة وعشرين ألف فارس كذلك كانت الهند لا تخضع لسلطان واحد وكان خراسان فى يد أخيه الأكبر غياث الدين الغورى". أنظر، بابر نامه، ورقة ٢٦٩أ- ب.

عدم التجربة [95]، أو قطع الرأى على عجل وبدون إمعانِ فِكر، خاصة فى وقت الحرب، أو عدم توخى الدقة والتروى فى اتخاذ القرارات [96].

أما رؤيته التأملية فمرجعها – فى تصورنا – تنوع ثقافة بابُر وثرائها. فقد كان ملما إلماما جيدا بتاريخ المنطقة التى يتحرك فيها وتاريخ آبائه وأجداده التيموريين وتاريخ الفاتحين السابقين له الذين تحركوا فى الرقعة التى تحرك فيها مثل **السلطان محمود الغزنوى** [97] والسلطان **شهاب الدين الغورى** [98] وهما من بين الأمراء الأتراك، الذين سبقوه لفتح الهند. كذلك كان بابُر يتمتع بثقافة إسلامية وفقهية واسعة لعبت دورا كبيرا فى تحديد أولويات اهتماماته عند فتحه البلدان وإدارتها وبالتالى يستطيع – فى اطار هذه الثقافة – أن يضع لها تصورا عمليا ناجحا [99].

ثالثا: الاهتمام بالتفاصيل:

تمثل السمة الثالثة لمنهج بابُر فى كتابة التاريخ فى الاهتمام بدقائق وتفاصيل ما يحيط به من أحداث ومظاهر حضارية ولكل من هذه العناصر صلة قوية بفهم

---

[95] بابُر نامه، ورقة ١١١أ.

[96] انظر، بابُر نامه، ورقة ٦٤أ.

[97] **السلطان محمود الغزنوى**، هو السلطان محمود بن سبكتكين والملقب بيمين الدولة وأمين الملة، واحد من أكبر رجالات الإسلام، وجه غزواته نحو الهند فهبط على وديانها خمس عشرة أو سبع عشرة مره فى الفترة بين ٣٩١-٤١٧هـ (١٠٠١-١٠٢٦م). وعرف باسم فاتح الهند. لأنه أول من استطاع أن يقيم فيها حكما إسلاميا. وتوفى سنة ٤٢١هـ ١٠٣٠م. انظر، أحمد السعيد سليمان، تاريخ الأسر الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، دار المعارف بمصر ١٩٦٩، ص ٥٨٩، ٥٩٠.

[98] **السلطان شهاب الدين الغورى**، مؤسس دولة الغوريين فى الهند. فقد استطاع أن يدخل الهند ويستولى على لاهور من يد الغزنويين سنة ٥٨٢هـ= ١١٨٦م، ولم يطل حكم الغوريين هناك اذ سرعان ما انتهى حكمهم بعد ما يناهز عقدين من الزمان. انظر، عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام فى الهند، ط ٣، القاهرة ١٩٩٠ ص ٩٨ وما بعدها.

[99] فى هذا انظر رسالة بابُر إلى عامله على كابل، بابُر نامه، ورقة ٣٥٩أ وما بعدها.

وتفسير أحداث التاريخ، وهذا الاهتمام الدقيق من جانب بابر، بكل ما يدور حوله ويشاهده مرجعه معرفته الجيدة بالتاريخ، هذه المعرفة التى تتجلى واضحة فى كتابه بابُر نامه فضلا عن فهمه العميق للأحداث التى عرض لها[١٠٠].

وهذا الولع بالتفاصيل دفعه إلى العناية بوصف ما يراه وصفا دقيقا. فيذكر مثلا ترتيب الجيش عند الخروج إلى القتال ثم يذكر أسماء القادة فى كل جناح من أجنحته[١٠١]، ولا يفوته أن يذكر أبرز ما قام به أي واحد منهم من أعمال أثناء القتال[١٠٢]، وكيف قُتل أحدهم أثناء المعركة مثلا[١٠٣].

والأمر المثير للدهشة أن بابُر بدأ فى تسجيل وقائعه هذه بعد عام ١٥٢٧م، وكانت بداية كتابته للأحداث بدأ من عام توليه عرش فرغانه أيعام ١٤٩٤م ومعنى هذا أنه سجلهابعد حدوثها بأكثر من ثلاثين عام، ومع هذا ذكر تفاصيل دقيقة قلت أم كثرت أهميتها وكأنها حدثت توا[١٠٤].

كما التزم أيضا بتقديم وصف تفصلى لجغرافية المنطقة التى تحرك فيها وما فيها من جبال وأنهار وسهول ووديان وهذه العناصر صلة قوية بفهم وتفسير تحركات بابُر،

---

[١٠٠] تأكيدا لهذا الاهتمام، انظر ما كتبه بابر عن سيرة جده يونس خان، انظر، بابُر نامه ورقة ٩أ وما بعدها، وما كتبه عن تاريخ سمرقند،انظر، بابُر نامه ورقة ٤٤ب وما بعدها.

[١٠١] مثال ذلك، انظر بابُر نامه،ورقة ٢٠٩ب وما بعدها.

[١٠٢] مثال ذلك أن بابُر لا يفوته وهو يصف معركته مع تنبل حول أنديجان أن يذكر أسماء من أجادوا فى استخدام السيف، بابُر نامه ص٧٠أ، وأن آخرين أبلوا بلاء حسنا، أو صمدوا فى مواجهة العدو، انظر بابُر نامه ورقة٩٣أ–ب.

[١٠٣] أنظر ما قاله حول موت أحد رجاله، بابُر نامه ورقة ٦٥ب.

[١٠٤] مثال ذلك أنظر ما ذكره بابر عن توليه عرش فرغانه عقب موت والده وما دار هذه الأثناء من وقائع، انظر، بابُر نامه، ورقة ٥ب، ٦أ.

فالجغرافيا كما يقولون هى ساحة التاريخ"[١٠٥].

رابعا : تدوين كل ما يراه أو يتناهى الى سمعه :

التزم بابُر بتدوين كل ما يراه أو يتناهى الى سمعه[١٠٦]، وهذا ما جعل كتابه غنيا بشتى أنواع المعلومات الشخصية والعامة وفى موضوعات متفرقه. وهذه الرغبة في تدوين كل ما يراه أو يسمعه،كانت تدفعه أحيانا إلى ترك الموضوع الأساسى الذى يسجله، ليذكر موضوعات فرعية وقد ينتقل من هذه الفرعيات إلى موضوعات أخرى تتفرع عنها، ثم يعود مرة أخرى للحديث عن الموضوع الأساسى[١٠٧]. ويحرص على يسجل فورا كل ما يتذكره أو يعرفه[١٠٨]. ولا تفسير لهذا - فى تصورنا - سوى حرص بابُرعلى وصف كل ما تقع عليه عيناه وما يعرفه أو يجول بخاطره.

---

[١٠٥] مثال ذلك، انظر وصف بابر لجغرافية فرغانه، بابُر نامه،ورقة ١ب و ١ بعدها.

[١٠٦] يقول بابُر:"لقد ذكرت من قبل، ما أعرفه عن ولايات الهند وخصائص الهنود. وإذا بدى للعين بعد ذلك شيء سأكتبه، وإذا تناهى للسمع شيء سأعلنه". انظر، بابُر نامه، ورقة ٢٩٣أ.

[١٠٧] مثال ذلك، عندما كان بابُر يتحدث عن قراره الذهاب إلى خاله السلطان محمود خان فى تاشكند، بعد أن تمكن من الخروج من سمرقند بصعوبة وتركها لشيباق خان، يذكر انه أثناء سيره نزل بولاية "مسيخا"وهنا يقطع الحديث عن الموضوع الأساس ليصف هذه الولاية وأهلها وما لها من أغنام وخيل، ثم يحدثنا عن كبير هذه القرية ثم يحدثنا عن أم هذا الرجل التى تجاوزت الواحد والعشرين بعد المائة وأحفادها ويسترسل فى التفاصيل فيقول أن أحد أحفاد أحفاد هذه المرأة العجوز، كان ذو لحية حالكة السواد. ثم يعود مرة أخرى ليستأنف الموضوع الأساسى الذى كان يتحدث عنه. وهنا الاسترسال فى التفاصيل إنما يدلل على رغبة بابُر فى تدوين كل ما تقع عليه عيناه أو يرد بخاطره مهما قل شأنه أو قلت أهميته. انظر، بابُر نامه، ورقة ٩٧أ.

[١٠٨] كثيرا ما قطع بابُرتسجيله لأحد المواقف الصعبة التى اعترضته ليصف لنا نوع من البطيخ. ثم يستأنف ما انقطع من تسجيل مثال ذلك يحدثنا بابُر عن ضرورة إصرار المرء على بلوغ الهدف ثم توجهه إلى خاله الخان لطلب العون، وتحركه لاقتحام قلعة "نسوخ" إحدى قلاع خوجند، وفجأة يقول:" وفى المساء وضعنا السلالم (على جدران القلعة) وشرعنا فى الهجوم. وكان الوقت أوان البطيخ. وينمو فى "نسوخ" نوع من البطيخ اسمه بطيخ "إسماعيل شيخي". قشرته صفراء، وقليل البذر. وهو نوع ممتاز. وبذره يشبه بذر التفاح. وله قشرة سميكة بمقدار أربعة أصابع. وطعمه لذيذ جدا. ولا يوجد بطيخ مثله فى تلك الأنحاء "ثم يستأنف حديثه بنفس الاهتمام ويقول "وفى صباح اليوم التالى أثار أمراء المغول مسألة قلة عدد رجالنا، بما لا يكفى لتحقيق الاستيلاء على القلعة".انظر بابُر نامه ورقة ٥٦أ وهنا نلاحظ النقلة فى حديثه عن الشروع فى الهجوم، ويتلوه فورا الحديث عن البطيخ.

خامسا : بساطة العرض ودقته :

استخدم بابر فى كتابة وقائع كتابه أسلوبا، يعتمد على سرد الوقائع بتفاصيلها، ووصف ما يستحق الوصف من مشاهدات أو معارك وصفا دقيقا دون محسنات لفظية أو بلاغية قد تطغى على المعنى أو تستأثر باهتمام القارئ، وهو بهذه البساطة الأسلوبية يبدو متميزا على كتاب التواريخ والوقائع فى عصره. فإذا قارنا ما كتبه بابر فى وصفه لفتح الهند، بما كتبه المؤرخ العثمانى خواجه سعد الدين[١٠٩] فى القرن السابع عشر، وهو يصف فتح استانبول فى عهد السلطان محمد الفاتح، لأدركنا الفارق الكبير بين الأسلوبين وما تميز به بابر نامه من حيث بساطة التعبير وجمال العبارة فى الوقت نفسه[١١٠].

سادسا : تناول الفترة الزمنية التى يؤرخ لها بشكل مباشر ودون تمهيد :

اختص منهج بابر بمزية تجعله مختلفا عن معظم كتاب التاريخ المعاصرين له،هذه المزية هى تناوله موضوع كتابه بشكل مباشر دون تمهيد، فبدأ كتابه بالحديث عن توليه عرش فرغانه، دون كتابة أى مقدمات[١١١]. وهو بهذا يختلف عن كثير من المؤرخين

---

[١٠٩] خواجه سعد الدين، هو المؤرخ العثمانى سعد الدين صاحب المصنف المعروف باسم تاج التواريخ، وهذا الكتاب المشار إليه يتضمن تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها إلى وفاة السلطان سليم. انظر، خواجه سعد الدين، تاج التواريخ، استانبول ١٢٧٩هـ. ومما هو جدير بالذكر أن خواجه سعد الدين من كبار المؤرخين العثمانيين ومن أشهرهم، وجاء بعد بابر بحوالى قرن من الزمان، ومع ذلك يبدو أسلوب بابر أكثر بساطة ووضوحا وعبارته أكثر جمالا.

[١١٠] يصف الدكتور حسين مجيب المصرى أسلوب سعد الدين بقوله:"وهذا المؤرخ يحس عنايته على تزويق العبارة، ويستعرض تمكنه من ناصية اللغة، وتفقهه فى أساليبها". انظر، حسين مجيب المصرى ،تاريخ الأدب التركي، ط١، دار الفكرة، القاهرة ١٩٥٠، ص٢٨٦.

[١١١] بدأ بابر تسجيل وقائعه بقوله: "اعتليت عرش السلطنة فى ولاية فرغانة فى يوم الثلاثاء الخامس من رمضان من عام ثمانمائة وتسع وتسعين وأنا فى الثالثة عشر من عمرى". انظر، بابر نامه، ص ١ب.

المسلمين الذين درجوا على التمهيد لكتبهم بذكر تاريخ البشرية منذ آدم عليه السلام مرورا بتواريخ الأنبياء والرسل حتى يصل إلى الفترة التى يود الكتابة عنها، مثلما فعل جنابى فى تاريخه المعروف باسم "العيلم الزاخر فى أخبار الأوائل والأواخر"، وغياث الدين خواندمير فى كتابه "حبيب السير فى أخبار أفراد البشر"[١١٢]. كما يختلف بابر فى منهجه الزمنى عن بعض المؤرخين المسلمين الذين أرخوا لدولة واحدة مثلما فعل سعد الدين فى كتابه تاج التواريخ فقد أرخ منذ قيام الدولة العثمانية حتى زمن السلطان سليمان القانونى، أو كما فعل المؤرخ المصرى إبن أبى السرورالبكرى الذى كان يبدأ تواريخه دائما من بداية الخليقة كالمؤرخين التقليديين[١١٣].

سابعا : الحرص على إبداء الرأى فى الوقائع :

لم يستغرق بابر فى ذكر وقائعه أو تدوين سيرته كما هى فقط، إنما عرض لنا عرضا شاملا لمجريات الأحداث فى منطقته خاصة تلك التى تتعلق بالبيت التيمورى. وهذه الأحداث كتبها بابر ولم يغفل إبداء رأيه فيها بما يعبر عن فلسفة التاريخ عنده ورؤيته التاريخية. فقد عاصر بابر إنحسار سلطة التيموريين عن بلاد ما وراء النهر وخراسان وضياع ملكهم هناك وانتقاله إلى يد الأوزبك، لهذا حرص أن يفسر هذه الوقائع بذكر أسبابها وربط بينها وبين انهيار الدولة التيمورية.

[١١٢] انظر، حربي أمين سليمان، المؤرخ الإيراني الكبير غياث الدين خواندمير كما يبدو في كتابه دستور الوزراء، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠، ص٥٠ ، ٥٦.

[١١٣] ابن إبي السرور البكرى مؤرخ مصرى عاش في النصف الأول من القرن السابع عشر(١٥٩٦–١٦٥٠م)، صاحب المصنف المعروف باسم "الكواكب السائرة في أخبار مصر القاهرة". انظر، ليلي عبد اللطيف أحمد، دراسات في تاريخ ومؤرخي مصر والشام إبان العصر العثماني، القاهرة ١٩٧٩، ص١٣١.

من هذه الأسباب :

١) انهيار الجانب الأخلاقى لدى الأمراء التيموريين فى أواخر عهدهم[١١٤] .

٢) شتات أمر التيموريين وعدم توحدهم أمام الأوزبك[١١٥] .

٣) تفشى المظالم فى بلاط بعض الأمراء التيموريين مما عجل بانهيار فى بعض الولايات[١١٦] .

٤) تنازع الأمراء التيموريين فيما بينهم[١١٧] .

٥) عدم معرفة السلاطين التيموريين أو خانات المغول بما يقوم به بعض أمرائهم من أفعال تذهب بهيبة واحترام السلاطين والخانات[١١٨] .

٦) إرجاع كل الأمور إلى الله بعد ذكره الأسباب[١١٩] .

---

[١١٤] ، ويقول بابر فى وصفة للحياة الأخلاقية عند الأمراء التيموريين فى أخريات أيام الدولة التيمورية : "أطلق هؤلاء الأمراء العنان لشهواتهم ومتعتهم، فلم يردعهم القراب سلطان عاقل ومجرب مثل والدهم، إلى مسافة نصف يوم منهم، أو دخول شهر عزيز مبارك كشهر رمضان، من الانغماس فى الخمر والمتعة واللهو بغير حياء من والدهم أو خوف من الله. وبلا شك فإن رجال هذا دأبهم لابد وأن تحل بهم هزيمة كهذه، وأن تنزل بكل من على شاكلتهم "انظر بابرنامه، ورقة٩٤ب.

[١١٥] "يصف بابر تخلى الأمراء التيموريين عن مساعدته أثناء محاصرة الأوزبك له فى سمرقند عاصمة التيموريين العريقة بقوله:"أرسلنا السفراء والرجال مرارا إلى الأطراف والجوار دون جدوى، فلم نتلق من أحدهم مساعدة أو عونا. فأولئك الذين امتنعوا عن مساعدتنا فى أوقات الرخاء والقوة، كيف لهم أن يساعدونا فى هذا الوقت العصيب ... ونحن ننتظر العون والمساعدة من الأطراف والجوار، بينما كل واحد منهم فى واد. "،"أما السلطان حسين ميرزا (بايقرا) وهو سلطان مجرب، فلم يأت أحد من عنده قط، رغم أنه خبير من يعرف أفعال وأطوار شيبانى خان،... بل لم يرسل لنا سفيرا ليشد من أزرنا وهى مساعدة معنوية، كذلك لم يأت أحد من عند بديع الزمان ميرزا "انظر بابرنامه، ورقة ٨٨أ،٩٤أ.

[١١٦] يقول بابر فى هذا أن حكم السلطان محمود ميرزا فى سمرقند لم يستمر لأكثر من خمسة شهور من جرّاء ظلمه وفساده. خاصة وأن أمراءه وكل رجاله ساروا على نفس منواله ظلما وفسوقا، فاختل ميزان العدالة مما عجل بزوال حكمه. انظر بابرنامه، ورقة٢٣ب–٢٤أ.

[١١٧] يعبر بابر عن رؤيته أن بعض صغائر الأمور قد تثير الخلافات بين أمراء الأسرة الحاكمة الواحدة إلى الحد الذى يصرفهم من التصدى للخطر الحقيقى الذى يتربص بهم الذى يتمثل فى الأعداء الغرباء، كما حدث بينه وبين أبناء السلطان حسين بايقرا. ويقول فى هذا الصدد بقوله: "إن النزاع يذهب بالأسر العريقة "انظر، بابر نامه، ورقة٢٠٨أ.

[١١٨] انظر، بابر نامه، ورقة ٨١أ.

[١١٩] اهتمام بابر بالنظر فى الأسباب لا يحول دون تعبيره عن يقينه بأن الأمر كله، وزوال المُلك والقوة بيد الله . ويفسر ما ألم ببعض رجال التيموريين الأشداء وانكسارهم أمامه وهو فى الموقف الضعيف، تفسيرا إيمانيا ويردد الآية

ترجمة بابُر نامة إلى اللغات الشرقية والأوروبية

تُرجمت بابُر نامة إلى الإنجليزية والألمانية والفرنسية والفارسية والأوردية وإلى التركية الحديثة عن التركية الجغتائية وإلى الروسية والالمانية. وأقدم هذه الترجمات هى الترجمة الفارسية.

أولا : ترجمة بابر نامه إلى اللغة الفارسية :

١) أقدم الترجمات إلى الفارسية هى الترجمة الموجودة فى المكتبة الوطنية فى طهران تحت رقم ٦٧٩ ضمن كليات بابُر ومدون عليها ما يفيد أن ترجمتها تمت أثناء حياة بابُر. وهذه الترجمة تكرر طبعها الآن باللغة الفارسية وهى الأساس للترجمات التى تمت إلى اللغات الأوروبية[120].

٢) الترجمة الفارسية التى قام بها بايندہ حسن الغزنوى ومحمد قولى مغول الحصارى بأمر من بهروز خان وبدأت ترجمتها سنة ١٥٨٦م.

٣) الترجمة الفارسية التى قام بها عبد الرحيم خان بن بايرام خان سنة ١٥٩٠م بأمر أكبر شاه حفيد بابُر والتى يُعتقد أنها ترجمة طبق الأصل لنسخة

--- القرآنية "قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير"(سورة آل عمران الآية رقم ٢٦). يقول بابُر "إن الله لقوى قدير. فهذا الرجل (خسرو شاه) كان له من الأتباع حوالى عشرين أو ثلاثين ألفا وكانت له السيادة الكاملة على ولايات السلطان محمود ميرزا وكانت شقاشقة رجاله تدفعنا للارتحال من مكان إلى مكان، وها هو ذا فى يوم ونصف اليوم، يصبح فى موقف ذليل وحقير وعاجز أمام مالق أو مالق وحسين رجلا فقراء مهزومين مثلنا"انظر، بابُر نامه، ورقة ١٢٤ب.

[120] Reşit RahmetiArat,(Gazi Zahiriddin Muhammed Babur,Vekayı, Doğu türkçesiden çeviren,izahlı indeksi ve notları hazırlayan Reşit Rahmeti Arat önsözü ve tarihi özeti yazan Y.Hikmet Bayur, türk Tarih Kurumu Basımevi,ankara 1943-1946,1'de s.141,

حيدر آباد التى نشرتها السيدة بفريدج بعد ذلك[١٢١] . وهذه الترجمة مزودة بمتممات فى بعض أجزائها وطبعت فى بمباى سنة ١٨٩٠ م = ١٣٠٨هـ باسم "بابر نامه موسوم به توزك بابرى وفتوحات بابرى ". وهى الترجمة التى اعتمد عليها وليم ارسكين وجوهان ليدن فى ترجمتهما للنص إلى اللغة الإنجليزية سنة ١٨٢٦م[١٢٢] .

وهذه الترجمة الفارسية الأخيرة التى تمت فى عهد أكبر خان[١٢٣] وهى الترجمة التى اطلعت عليها وحسبما تبين لى بعد النظر فيها أنها ليست مطابقة تماما للنص الجغتائى الأصلى فى بعض أجزائها، مثال ذلك قول بابر : " عندما حاصر السلطان حسين ميرزا قوندوز"[١٢٤] فقدجاءت في الترجمة الفارسية " وعندما أمعن السلطان حسين ميرزا القتل فى قوندوز "[١٢٥] . كما أغفلت الترجمة الفارسية أيضا ترجمة الأوراق من ١١٨ب إلى مطلع الورقة ١٢٠أ من النص الأصلى ، وهى الأوراق التى تتضمن أداء بابر للصلاة ورؤيته للشيخ عبيد الله فى المنام يبشره بالنصر، وقراره الذهاب إلى خراسان[١٢٦] .

ثانيا : ترجمة بابر نامه إلى اللغة الإنجليزية :

ترجمت بابر نامه إلى اللغة الإنجليزية ترجمتان :

---

[١٢١] انظر، Fernand Grenard. a.g.e., s.205.

[122] Omer Faruk Akun. a.g.e., s.407.

[١٢٣] انظر، بابر نامه موسوم به توزك بابرى وفتوحات بابرى، وهى نسخة عن الترجمة التى تمت فى عهد أكبر شاه تم نسخها سنة ١٣٠٨هـ وتملكها ميرزا محمد شيرازى، المكتبة المركزية بجامعة القاهرة تحت رقم ١٢٢٥٠.

[١٢٤] بابر نامه ورقة ١٢٩أ.

[١٢٥] انظر، بابر نامه ، موسوم به توزك بابرى ، ص ١٩.

[١٢٦] انظر، بابر نامه، موسوم به توزك بابرى ، ص ٤٥.

الترجمة الأولى ؛ هى الترجمة التى قام بها كل من ؛ و. ارسكين وجوهان ليدن وصدرت فى لندن عام ١٨٢٨ م وهى ترجمة عن الترجمة الفارسية التى قام بها عبد الرحيم خان سنة ١٥٩٠م. وأعادت أكسفورد نشر هذه الترجمة مع تعليقات سنة١٩٢١م قام بها سير لوكاس كنج. كما صدر مختصر لهذه الترجمة قام بإعداده كالدكوت وصدر فى لندن عام ١٨٤٤م.

الترجمة الثانية ؛ كانت الترجمة الثانية لبابر نامه إلى اللغة الإنجليزية، عن النص الجغتائى المعروف باسم نسخة "حيدر آباد"[127] وليس عن الفارسية كالترجمة الأولى، وقامت بها أ. س بفريدج وصدرت فى لندن فى ثلاثة أجزاء الأول منها والخاص بوقائع فرغانه، صدر عام ١٩١٢م، والثانى الخاص بوقائع كابل صدر سنة ١٩١٤م، ثم الجزء الثالث الخاص بوقائع الهند وصدر عام ١٩١٧م. وصدرت الترجمة كلها فى جزئين فى لندن سنة ١٩٢١م.

وقد مهدت السيدة بفريدج لهذه الترجمة بمقدمة وأضافت إليها عناوين جانبية لتوضيح النص. كما حاولت سد الفراغ الناتج عن فقد بعض أجزائها من مصادر أخرى للربط بين الأحداث.

---

[127] من المعرف أنه يوجد لبابر نامه نسختان واحدة تعرف باسم نسخة قازان، والأخرى وهى الأكمل وتعرف باسم نسخة حيدر آباد. انظر،ما كتبة رشيد رحمتى ارات فى هذا الصدد فى تقديمه لنص بابر نامه الذى قام بنقله من الجغتائية إلى اللغة التركية الحديثة،

Reşit Rahmeti Arat.a.g.e..s.140

ويقول ستانلى لين بول إحدى نسخ بابر نامه كانت فى حوزة حيدر ميرزا دوغلات إبن عم بابر وهذه النسخة ربما يكون قد حصل عليها أثناء زيارته للهند فى السنوات العشر التالية لوفاة بابر. ونسخة أخرى تعتبر بمثابة النسخة الأصلية للنص، وربما تكون منسوخة عن النسخة الأصليةالتى كتبها بابر بنفسه، وهذه النسخة كتبها ابنه همايون فى عام ١٥٥٣. وهى المعروفة باسم نسخة حيدر اباد. انظر:

Stanley Lane - poole Rulers of India. Babar. Oxford 1899.p.14.

وتذكر السيدة بفريدج أن هذه الترجمة تمت عن النسخة الجغتائية المعروفة باسم نسخة "حيدر آباد"، والتى سبق لها أن نشرتها نشرا مصورا سنة ١٩٠٥م بمناسبة ذكرى المستشرق "جب"، وهذا النشر يتضمن فى نهايته فهرسا لأسماء الأعلام وآخر لأسماء الأماكن. ورغم هذا النشر ومعرفتها بالمخطوط لم تلتزم السيدة بفريدج بترجمة كل ما جاء فى هذه النسخة، حيث أغفلت فى الجزء الخاص بوقائع فرغانسه حوالى أربع صفحات كاملة هى الصفحات من ١١٨ب إلى الفقرة الأولى من ١٢أ[128]. وهو نفس ما حدث فى الترجمة الفارسية التى تمت فى عهد أكبر خان عن نسخة حيدر آباد. ولعلها اعتمدت على الترجمة عن الفارسية اعتمادا كبيرا وليس على النص التركى مباشرة، حيث أن الترجمة الفارسية تتفق معها فى هذا الحذف. ورغم هذا فترجمتها الإنجليزية تحتوى على تعليقات هامة جدا.

ثالثا : ترجمة بابر نامه إلى اللغة الفرنسية :

ترجمت بابر نامه إلى الفرنسية ترجمتان :

الترجمة الأولى ؛ وقام بها "باوه دوكورتى" وهى ترجمة للنص الذى اكتشفه " إيلمنسكى " من بابر نامه، ونشره سنة ١٨٥٧م والمعروف باسم "نسخة قازان"[129]. وهذه الترجمة الفرنسية، هى أول ترجمة لبابر نامه عن الجغتائية إلى

128 Annetta Susannah Beveridge. Babur Nama (Memoirs of Babur) Translated from the Orriginal Text. Delhi 1970.
وهى ترجمة السيدة بفريدج لبابر نامه إلى الأنجليزية، انظر الترجمة الإنجليزية ص ١٨٢، مقارنة بالنص الجغتائى ورقة ١١٨ب.

129 Stanley Lane - poole.Rulers of India,p.15.

اللغات الأوروبية. وصدرت في باريس سنة ١٨٧١ م في مجلدين [١٣٠].

والترجمة الثانية : صدرت في باريس سنة ١٩٨٥م عن النص الجغتائي لبابر نامه المعروف باسم نسخة حيدر آباد، وقام بها جان لويس باكي جرامون. وهذه الترجمة من إصدارات مجموعة الشرقية في المطبعة الوطنية في باريس [١٣١].

وقد جاءت هذه الترجمة في مجلد واحد في طبعة فاخرة في ورق مصقول من القطع الكبير وغلاف أنيق، كما ازدانت بمجموعة كبيرة من الصور الملونة المعروفة بالمنمنمات، تعبر عن مواقف مختلفة من حياة بابر، وصور أخرى فوتوغرافية للمنطقة التي تدور فيها وقائع الكتاب.

ولهذه الترجمة تقديم في صفحة واحدة كتبها الناشر، ثم مقدمة للمترجم في عشر صفحات. وقد وضح المترجم الفرنسي في المقدمة أن هذه الترجمة اعتمدت على ثلاث مخطوطات :

المخطوطة الأولى ، عبارة عن نسخة لبابر نامه تم نسخها في القرن الثامن عشر وموجودة في مكتبة حيدر آباد وتقع في ٣٨٢ ورقة وتحوي النص بأكمله.

المخطوطة الثانية ، وهي نسخة مخطوطة من بابر نامه، معروف باسم "نسخة الفنستون". والفنستون هذا هو حاكم بومباى سنة ١٨٠٨ م. وهذه النسخة موجودة في المكتبة الوطنية في ادنبره باسكوتلانده وتقع في ٢٧٢ ورقة تحت رقم ١٨. ٣. ١٨. وبها تعليقات في الهوامش يرجح أنها لهمايون بن بابر.

130 Ömer Faruk Akun.a.g.e..c.4, s.407/3.

131 Le Livre De BABUR.Memoires du premier Grand Mogol des Indes,presente et traduir du turc tchagatay par Jean Louis BACQEÜ GRAMMONT.paris 1985.

المخطوطة الثالثة ، وهي مخطوطة لبابر نامه تعروف باسم "مخطوطة طهران" مودعة في المكتبة الوطنية بطهران. و هذه المخطوطة بها تعليقات ويتصور - المترجم الفرنسي - أنها منقولة عن النص الأصلي لبابرنامه، أي قبل نسخة حيدر آباد "[١٣٢].

وقد ذيل المترجم الفرنسي هذه الترجمة بجداول تبين نسب التيموريين وملحق بنموذج للخط البابري الذي ابتكره بابر. ثم فهارس للأشخاص والأماكن "[١٣٣].

أما عن منهج المترجم – حسب قوله- إنه اهتم بترجمة الأسلوب بدقة أكثر من اهتمامه بترجمة اللفظ"[١٣٤]، وقد قام بوضع عناوين جانبية للنص تعين على تتبعه، كما وضع تعليقات للتعريف بالأشخاص والأماكن. واستعان بكتابات معاصرة كتبها مؤرخون معاصرون لبابر شاه، ليسد بها الفراغ الذي نتج عن السنوات المفقودة من الكتاب، بغرض إعطاء فكرة متكاملة عن الأحداث"[١٣٥].

رابعا : ترجمة بابر نامه إلى اللغة الأوردية :

ترجمت بابر نامه إلى الأوردية أيضا ترجمتان :

الترجمة الأولى ؛ وقام بها ميرزا ناصر الدين وصدرت في دلهي سنة ١٩٢٤م،

الترجمة الثانية ؛ وقام بها رشيد أخطر الندوي وصدرت في لاهور عام

---

[١٣٢] انظر . Jean Louis BACQEÜ GRAMMONTp. 23.

[١٣٣] قمنا بوصف هذه الطبعة الفاخرة للترجمة الفرنسية لبابر نامه من واقع إطلاعنا عليها.

[134] JeanÜ Louis BACQEÜ GRAMMONT p.18.

[135] JeanÜ Louis BACQEÜ GRAMMONT p.15.

١٩٦٩م باسم توزك بابُرى"[١٣٦].

خامسا : ترجمة بابُر نامه إلى اللغات الأوروبية الأخرى :

تُرجمت بابُر نامـــه إلى اللغـة الألمانيـة، وصدرت فى ليبزج عام ١٨٢٨ م، وهـذه الترجمـة جاءت عن النص الإنجليـزى الذى قـام بها ليـدن ، وهـذا النص مُترَجم عن الفارسية. كما تُرجمت إلى الروسية وصدرت الترجمة فى تاشكند سنة ١٩٥٨م"[١٣٧].

سادسا : ترجمة بابُر نامه إلى اللغة التركية الحديثة :

واقع الأمر أنها ليست ترجمة بالمعنى الدقيق لكنها تحويل لنص بابُر نامـــه من اللغـة التركيـة فى اللهجـة الجغتائيـة إلى اللغة التركيـة الحديثـة التى يستخدمها أتراك تركيـا اليـوم لكننا تجاوزا سنستخدم لفظ الترجمـة. والترجمـة التركيـة للنص هـى الترجمة الوحيدة له فى اللغة التركية الحديثة. قام بها عن الجغتائية البروفيسور رشيد رحمتى ارات عن النسخة الجغتائية المعروفة باسم نسخة حيدر آباد التى نشرتها السيدة بفريدج نشرا مصورا سنة ١٩٠٥م، وقد صدرت هذه الترجمة عن المجمع التاريخى التركى فى عامى ١٩٤٣، ١٩٤٦م فى مجلدين برقم ٥ أ. ب من السلسلة الثانية "[١٣٨].

[136] Ömer Faruk Akun,a.g.e.,s.407, 408.

[137] Ömer Faruk Akun,a.g.e.,s.407, 408.

[138] Gazi Zahirüddin Muhammed, Babur,Vekayı, Doğu türkçesiden çeviren,izahlı indeksi ve notları hazırlayan,Reşit Rahmeti Arat,önsözü ve tarihi özeti yazan Y.Hikmet Bayur,Türk Tarih Kurumu Basımevi,ankara 1943-1946.

إختص الجزء الأول من الترجمة بوقائع فرغانـــه، تسبقها مقدمـة للمجمـع التاريخى التركى، تبين أهمية ترجمة هذا العمل، ثم مقدمة تاريخية عن التيموريين كتبها المؤرخ التركى المعروف حكمت بايور. أما الجزء الثانى من الكتاب فيتضمن وقائع كابل والهند ثم فهرسا للأسماء والأماكن الواردة فى النص مع تعريف بها مأخوذ من النص نفسـه، ثم تعريف بالكلمات الإصطلاحية الواردة فى النص ومفهومها من خلال النص، ثم فهرسا آخر لأبيات الشعر الواردة فى النص سواء التى نظمها بـابُر أو التى استخدمها لشعراء آخرين.

أما منهج المترجم، فقد التزم تماما بالنص الجغتائى وإن لجأ أحيانا إلى تقطيع الجملة، حسب الفهم التركى لسياقها. ولم يحاول المترجم التركى أن يضيف أى تعليقات أو حواشى على النص بل نشره كما هو، كذلك لم يقم بوضع أى عناوين جانبية له ليخرج النص كما كتبه بابُر دون أى محاولة للتدخل فى سياقه أو تقريبه لفهم القارئ من خلال العناوين الجانبية التى توضح له انتقال بـابُر من نقطة إلى أخرى أو العودة للحديث عما انصرف عنه قبل صفحات. كما لم يعمل على سد الفراغ الناتج عن فقدان بعض أجزائها على غرار ما حدث فى الترجمتين الفرنسية والإنجليزية، ولم يعقد أى نوع من المقارنة بين هذه الترجمة وغيرها من الترجمات السابقة لترجمته فى اللغات الشرقية أو الغربية.

وقد صدرت عدة طبعات مبسطة لهذه الترجمة التركية، جاءت قاصرة على النص المترجم فقط دون المقدمتين والفهارس، وهى بمثابة طبعات شعبية للكتاب.

سابعا : ترجمتنا بابُر نامه إلى اللغة العربية :

يسَّر الله لنا القيام بترجمة بابُر نامــه إلى اللغة العربيـة. وهو إجتهاد نأمل أن ينال أجر الاجتهاد. وقد اعتمدنا في هذه الترجمة بصفة أساسية على الترجمة التركية التى أعدها رشيد رحمتى آرات، وعلى النص الجغتائى المعروف بنسخة حيدر آباد الذي اعتمدت عليها الترجمة التركية، وأطلعنا على الترجمة الإنجليزية التى قامت بها السيدة بفريدج، وأيضا على الترجمة الفارسية التى تمت فى عهد أكبر خان وقام بها عبد الرحيم ميرزا إبن بيرام خان عام ١٩٥٠م.

والتزمنا فى ترجمتنا هذه بمنهج أساسى يعتمد على ترجمة العبارة التركية ومقارنتها بما يقابلها فى الجغتائية والإنجليزية مع الرجوع إلى الفارسية فى مواضع الاختلاف للتأكد من دقة الترجمة. وأوضحنا ما بدا لنا من اختلافات فى الحاشية، والتزمنا فى كتابة الأسماء بالشكل الإملائى الذى وردت به فى النص الأصلى المكتوب بالحروف العربية مع الإشارة فى الحاشية إلى شكل الإملاء العربى للإسم فى حالة الاختلاف بين الشكلين.

ولأن النص الأصلىَ لبابُر نامــه نصا سرديا، ينتقل فيه بــابُر من نقطة إلى أخرى دون تمهيد، وقد ينتقل من الموضوع الأصلى للحديث عن نقاط أخرى فرعية أو تفصيلية لما ذكره إجمالا، لهذا فإن تتبع الموضوعات كما ذكرها بــابُر تحتاج إلى تركيز وإعمال ذهن كبيرين، لهذا رأينا أنه من الأيسر للقارئ، أن نضع عناوين جانبية للنص يسترشد بها فى فهم النص، وتبين انتقال المؤلف من نقطة إلى أخرى، وهذا المنهج نفسه هو ما التزمت به الترجمة الإنجليزية والفرنسية للنص، وإن لم

نلتزم بالعناوين الجانبية التى جاءت فى الترجمتين وإن تصادف أن جاء بعضها متشابها نتيجة وحدة النص.

كما أن جميع الحواشى والتعليقات على الترجمة هى من جهد المترجم. حيث أن النص الأصلى جاء خلوا منها وقد اعتمدنا فى هذه التعليقات على عدد من المراجع المتخصصة نشير إليها فى قائمة المراجع.

وقد تحرينا فى هذه الترجمة المحافظة على دقة العبارة لفظا ومعنى فى آن واحد، ولم نحاول التدخل كثيرا فى سياق العبارة لشرح المبهم من ضمائرها، وأشرنا إلى المقصود منها فى الحاشية باستثناء مواضع قليلة أضفنا فيها أسماء مقصودة ضمنا من سياق الحديث ووضعناها بين قوسين. وستتضمن الترجمة فى نهايتها بإذن الله فهرسا للأشخاص والأماكن حتى تتم الفائدة من الكتاب.

وقائع فرغانه

يمكن تقسيم وقائع بابُر نامة تبعا لأماكن جريانها إلى ثلاثة أقسام هى :

١) **وقائع فرغانه** (٨٩٩ : ٩٠٨هـ = ١٤٩٤ : ١٥٠٣م).

٢) **وقائع كابل** (٩١٠:٩٢٦هـ = ١٥٠٤ : ١٥٢٠م).

٣) **وقائع الهند** (٩٣٢:٩٣٥هـ = ١٥٢٥ : ١٥٢٩م).

أما وقائع فرغانه فتجرى فى منطقتين أساسيتين هما فرغانه وما حولها وسَمَرقَند وما حولها، ولكى يمكننا تفهم المنطقة التى تدور فيها هذه الوقائع يحسن بنا أن نتعرض لتعريفها تعريفا موجزا.

أولا : وصف فرَغانه

فرَغانه، إحدى مدن أوزبكستان الحالية وهى مدينة عريقة ذكرها بطليموس الجغرافى بهذا الاسم، وهو نفس الاسم الذى استخدمه الجغرافيون المسلمون فى العصور الوسطى[١٣٩]. وصفها ياقوت الحموى فى مطلع القرن السابع الهجرى بقوله : "فَرغانه " مدينة وكُورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان، بينها وبين سَمَرقَنْد خمسون فرسخا "[١٤٠] ووصفها بأنها " واسعة الرساتيق "، وقال الإصطخرى فى مطلع القرن الرابع الهجرى أى العاشر الميلادى عن فَرغانه، إنها " إقليم عريض موضوع على سعة مدنها وقراها، وليس بما وراء النهر أكبر من قرى فرغانه. وليس بفرغانه مدينة إلا ولها قلعة ومدينة محصنة وبساتين ومياه "[١٤١] ويعد لنا المقدسى من مدن فَرغانه وقراها أربعين بمسجد وجامع، ويبدو لنا واحدا وثلاثين إسما للمدن باستثناء العاصمة "[١٤٢]. بينما قال عنها بابُر شاه فى مطلع القرن السادس عشر إنها "ولاية صغيرة ... فى طرف المعمورة"[١٤٣].

ويبدو أن الأقاليم الجغرافية اختلفت على مر العصور، فبينما قال بطليموس :

---

[١٣٩] شمس الدين سامي، قاموس الأعلام، تاريخ وجغرافيا لغاتي وتعبير اصحنه كافة اسماء خاصه يي جامعدر، معارف نظارت جليلة سي طرفندن تقدير وتحسين اولنه رق طبع اولنمشدر، استانبول ١٣٠٦هـ، ج٥، ص٣٣٩٥.

[١٤٠] ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ط١، القاهرة ١٩٠٦، ج٦، ص٣٦٤.

[١٤١] الظراين اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ١٩٦١، ص ١٨٦.

[١٤٢] فاسيلي فلاديميروفتسي بارتولد، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨١، ص٢٧٦.

[١٤٣] انظر، بابرنامه ورقة ١ب.

"إنها من الإقليم السادس تحت إحدى وعشرين درجة من مدار السرطان "[١٤٤]، قال بابُر : " إنها من الإقليم الخامس ، وقال إبن خلدون : " إنها فى الجزء الثامن من الإقليم الخامس"[١٤٥].

وفرغانه مدينة عامرة "كثيرة الخير"[١٤٦]، "محاصيلها وفاكهتها كثيرة" وتتنوع فيها أشجار الفاكهة، فتنمو فيها أشجار التفاح والكمثرى والخوخ والمشمش والفستق واللوز والرمان، وستة عشر نوعا من الكروم، وبها نوع من البطيخ بتميز بحجمه الكبير ومذاقه اللذيذ"[١٤٧]. كما توجد بها معادن الذهب والفضة والفيروز والحديد والرصاص والزئبق، وأخيرا فإن فرغانه إحدى بلاد الإسلام القليلة التى كان يستخرج منها ملح النوشادر[١٤٨].

وموقع فرغانه كما وصفها بـابُر فى مطلع القرن السادس عشر يحيطها من الشرق كاشغر، ومن الغرب سَمَرقَنْد، وجنوبها الجبال التى تشكل حدود بدخشان. أطرافها جبلية، ولا توجد جبال فى الناحية الغربية التى تقع فيها كل من سـمَرقَنْد وخجنـد ولا يستطيع العدوان أن يأتى إليها فى الشتاء من أى مكان قط غير هذه الجهة الغربية"، وهذه الناحية الغربية توصف بأنها بوابة فرغانــه . ونهر سـيحون المشهور باسـم مـاء خجنـد يأتى من شمال شرق هذه المنطقة، ويمر منها ويسيل

---

[١٤٤] انظر، معجم البلدان، مرجع سبق ذكره، ج٦، ص٣٦٤.

[١٤٥] بابُر نامه،ص٦ب.

[١٤٦] انظر، معجم البلدان، مرجع سبق ذكره، ج٦، ص٣٦٤.

[١٤٧] انظر، قاموس الأعلام، مرجع سبق ذكره،ج٥، ص٣٣٨٤.

[١٤٨] انظر، بارتولد، تركستان، مرجع سبق ذكره، ص٢٧٧.

نحو الغرب "[١٤٩].

وفرغانه عبارة عن وادي يتراوح ارتفاعه بين مائتي إلى خمسمائة متر تحيط به الجبال العالية من جهات ثلاث ويبلغ ارتفاع الجبال الجنوبية منها المعروفة باسم جبال " الآطاغ " حوالى خمسة آلاف مترا . وبين الجبال الشمالية والجنوبية يقع وادي سيحون، ويقطع **فرغانه** من الشرق إلى الغرب نهر " نارين " فتترامى على ضفتيه السهول الواسعة[١٥٠]، وهذا النهر يعتبره الجغرافيون هو عمود نهر سيحون الأكبر والأكثر ماء. والمنطقة الواقعة بين نهرى نارين وقراداريا ذكرها الإصطخرى وابن حوقل باسم "ميان روزان " أى مابين النهرين أوالمائين، وهى التى يسميها الأتراك " ايكى صواراسى "[١٥١].

ويتنوع المناخ فى **فرغانه**، فالثلوج تكسو قمم الجبال فى الشتاء ، وتسقط فيها الأمطار بغزارة فى الربيع والصيف ، فتنمو على أثرها الحشائش الطويلة وتكسو جبالها . أما المناطق المستوية من **فرغانه** ، خاصة فى وادي سيحون، فترتفع فيه درجة الحرارة فى الصيف فتصل ٤٠ درجة مئوية ، وفى الشتاء تصل البرودة إلى ٢٥ درجة مئوية تحت الصفر"[١٥٢]. أما عند هبوب الرياح فتكون الجبال المحيطة بالوادي بمثابة الوقاية له من تأثير الرياح صيفا وشتاء.

كانت **فرغانه** فى عصور الإسلام الأولى معمورة للغاية، وارتقت فيها العلوم

---

[١٤٩] انظر، بابرنامه، ورقة١ب.

[١٥٠] انظر، قاموس الأعلام، مرجع سبق ذكره، ج٥، ص ٣٣٩٣. ٣٣٩٤.

[١٥١] انظر، بارتولد، تركستان، مرجع سبق ذكره،ص٢٩٦.

[١٥٢] انظر، قاموس الأعلام، ج٥. ص٣٣٩٤.

والمعارف وبلغت شأوا بعيدا ونشأ فيها الكثيرون من العلماء المشهورين في شتى فروع العلوم"[153].

ثانيا : وصف سمرقند .

سمرقند، إحدى مدن أوزبكستان الحالية وهي مدينة عريقة، ذكرها الجغرافيون العرب أيضا باسم سَمَرْقَنْد وقيل عنها سمران وقيل عنها أيضا المدينة المحفوظة، لأنه مهما بلغت قوة عدوها وتفوقه لا يمكنه أن يستولي عليها "[154]، وأقوام المغول والترك يسمونها "سميز كند" أي المدينة الغنية"[155]. ويقول ياقوت الحموي : إنها " في الإقليم الرابع طولها تسع وثمانون درجة ونصف، وعرضها ست وثلاثون درجة ونصف"[156]، بينما يقول بابُر : إنها "من الإقليم الخامس. طولها تسع وتسعون، ورمز نجومها ست وخمسون درجة ودقيقة، وعرضها ثلاثون درجة ودقيقة وعاصمتها سَمَرْقَنْد ويطلقون على ولايتها اسم ما وراء النهر"[157]، "واستدارة حائطها إثنا عشر فرسخا، ولها اثنى عشر بابا من الباب للباب فرسخ وعلى أعلى السُّعُد آزاج وأبرجة للحرب والأبواب الإثنا عشر من حديد"[158]. وقد أمر بابُر بقياس سور

[153] مثل أحمد بن كثير الفرغاني، أحد علماء الفلك والرياضيين المشهورين، وهوالذي انشأ مقياس النيل في مصر. قاموس الأعلام، ج٥، ص ٣٣٩٥. كما أن الشيخ برهان الدين علي صاحب كتاب الهداية في الفقه من قرية تسمى رشتدان من توابع مرغينان في فرغانه.انظر، بابر نامه ورقة ٣ب.

[154] انظر، معجم البلدان، ج٥، ص١٢١، ١٢٢، بابر نامه ورقة ٤٤ب..

[155] انظر، بابر نامه ورقة ٤٤ب.

[156] انظر، معجم البلدان، ج٥،ص ١٢٢.

[157] انظر، بابر نامه، ورقة ٤٤ب.

[158] انظر، معجم البلدان، ج٥، ص١٢٢.

قلعتها في عهده فوجده عشرة آلاف وستمائة خطوة[١٥٩]. يصفها بـــابُر بانها "مدينة جميلة، قلَّ أن توجد في الدنيا مدينة بجمال سَمَرقَنْد"[١٦٠].

كانت سَــمَرقَنْد في مطلع القرن الرابع الهجري كمـا يصفـها الاصطخرى، "فُرضة ما وراء النهر ومجمع التجار، ومعظم جهاز ما وراء النهر يقع بسَــمَرقَنْد ثم يتفرق إلى سائر الكور" و " ليس من سكة ولا دار فيها إلا وفيها ماء جار إلا القليل، وقل دار تخلو من بستان، حتى إنك إذا صعدت أعلى قهندزها (يقصد قلعتها) لم تبد المدينة للنظر لاستتارها بالبساتين والأشجار"[١٦١].

ويصفها الشريف الإدريسى في القرن السادس الهجرى، الثاني عشر الميلادى فيقول : إن سَــمَرقَنْد " مدينة حسنة كبيرة على جنوبى وادى السُّغْد[١٦٢]، وقصبة السُّغْد سَــمَرقَنْد. وهى مدينة لها شوارع ومحالات متسعة ومبان وقصور سامية وفنادق وحمامات وخانات، وعليها سور تراب منيع يطوف بها خندق، وهى كثيرة الخصب والنعم والفواكه"[١٦٣].

"ويكثر عدد الأنهار برساتيق سَمَرقَنْد لكثرة قراها وتعدادها وربما كان للقرية الواحدة منها نهران أو ثلاثة، ويكثر في المدينة انشعاب الأنهار الصغار بحسب عدد

---

[١٥٩] انظر، بابُر نامه، ورقة ٤٤ب.

[١٦٠] انظر، بابُرنامه، ورقة ٤٤ب.

[١٦١] انظر، الإصطخرى المسالك والممالك، ص ١٧٨.

[١٦٢] وتكتب أيضا السغد بضم أوله وسكون ثانيه وآخره دال مهملة ناحية كثيرة المياه نضرة الأشجار، متجاوبـــة الأطيـــار، مونقة الرياض والأزهار وملتفة الأغصان، خضرة الجنان تمتد مسيرة خمسة أيام لاتقع الشمس على كثير من أراضيها ولا تبين القرى من خلال أشجارها وفيها قرى كثيرة، وقصبتها سمرقند. معجم البلدان، ج٥، ص ٨٦.

[١٦٣] الشريف الأدريسى، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بدون تاريخ طبع، ج١، ص٤٩٧.

الدور والبرك والبساتين والقصور، ومن أطل من شرف على وادى السغد لم ير إلا خضرة ممتدة لايتخللها إلا قصرا أو قلعة"[١٦٤].

عاشت سَمَرقَنْد عصرها الذهبى بعدما اتخذها تيمور لنك عاصمة له فى أواخر القرن الرابع عشر الميلادى، ولم يسبقه سلطان فى اتخاذ سَمَرقَنْد عاصمة له، واستمر حالها فى ازدها فى زمن خلفاؤه من التيموريين فأنشأوا فيها المدارس والخانقاوات والمساجد والتكايا والحمامات وأشهر مبانيها المرصد الذى شيده اولغ بك فى سطح تل كُهَك، وزينوها بالحدائق والبساتين. وأهل سَمَرقَنْد كما يقول بابُر : "كلهم سنيون، أنقياء العقيدة، ملتزمون بالشريعة، ومتدينون، وقد خرج منها عدد كبير من علماء الكلام[١٦٥] وأئمة الإسلام"[١٦٦].

ثالثا : مختصر وقائع فَرغانه فى بابُر نامه :

تشغل وقائع فرغانه تسعة أعوام من كتاب بابُر، وتبدأ باعتلاء بابُر عرش فرغانه عام ٨٩٩هـ = ١٤٩٤م وتنتهى بخروجه من بلاد ما وراء النهر قاصدا خراسان فى نهاية وقائع عام ٩٠٨هـ = ١٥٠٢ – ١٥٠٣م.

تتضمن وقائع هذا الجزء من بابُر نامه، الأحداث التى مر بها بابُر فى فرغانه عقب اعتلائه العرش، مع ذكر تراجم وافية لوالده عمر شيخ ميرزا،

---

[١٦٤] انظر، الإصطخرى، المسالك والممالك ص١٧٩.

[١٦٥] من علماء الكلام الشيخ أبو منصور الماتريدى (م. ٣٣٣هـ) وهو من كبار ائمة الحنفية، وإمام فرقة الماتريدية، ومن العلماء الشيخ إسماعيل البخارى، صاحب صحيح البخارى. والشيخ عبيد الله الأحرارى (ت. ٨٩٥هـ=١٤٨٩م) أحد شيوخ النقشبندية المشهورين، وشيخ الإسلام علي بن أبي بكر المرغينانى من كبار فقهاء القرن السادس الهجرى، وصاحب كتاب الهداية، انظر بابُرنامه، رقة٣ب،ورقة ٤٤ ب.

[١٦٦] انظر، بابُرنامه، ورقة٤٤ب – ٤٧أ.

وعمه السلطان **أحمد ميرزا**، وعمه السلطان **محمود ميرزا**، وأعمالهما، ونزاعه مع باى **سنقر ميرزا**، ثم حملاته على **سمرقند**. وصراعه مع **شيباق خان** الشيبانى وهزيمته أمامه.

ويتضمن هذا العرض التاريخى وصفا لفرغانه، و**سمرقند** وبخارا جغرافيا وتاريخيا وحضاريا. وكما يتناول تصوير النزاعات التى كانت دائرة بين أمراء البيت التيمورى، فهذا **السلطان حسين بايقرا** سلطان هراة يتنازع مع إبنه **بديع الزمان ميرزا** بسبب **استر آباد**. وهؤلاء أبناء السلطان **محمود ميرزا** وأمرائه يتقاتلون حول **سمرقند**، وهذا **بابُر** يتنازع مع أمرائه حول **أنديجان**. بينما يتربص به بل وبالبيت التيمورى كله عدوهم شيباق خان الأوزبكى.

وجد **بابُر** نفسه وهو يرث ملك أبيه مضطرا إلى خوض الحرب ضد عمه **السلطان أحمد ميرزا** وخاله المغولى **السلطان محمود خان** واللذى كانا يعدان لها لوقف أطماع **عمر شيخ ميرزا**.

فقد كان **عمر شيخ ميرزا** والد **بابُر**، له مطامع سياسية لتوسيع مملكته ويتحين الفرص للإغارة على أخيه الأكبر **السلطان أحمد ميرزا** فى **سمرقند**، وعلى صهره **محمود خان**. وكان يطمع فى **سمرقند** على وجه الخصوص. فضاق أقاربه بمطامعه ذرعا، واتحدوا ضده لوضع حد لاعتداءاته. واتفق السلطانان **أحمد ميرزا**، و**محمود خان** (خال بابُر وخان المغول)، على التحرك معا ضده. فى هذا الوقت بالضبط توفى **عمر شيخ ميرزا** فى ٤ يونيه ١٤٩٤م،

ليتولى بعده بابُر[167].

تهيأ بابُر بجنوده للدفاع عن أنديجان، ولصعوبات اعترضت السلطان أحمد ميرزا في الطريق، قرر وقف تقدمه إليها، وعقد صلحا مع بابُر وانسحب راجعا عن أنديجان[168]. كذلك تراجع عنه خاله المغولي، فزال الخطر الذي يتهدده[169].

بدأ بابُر حكمه بتنظيم الجند وضبط الولاية، وتوزيع المناصب والرتب على أمراء ورجال والده الشيخ عمر ميرزا كلّ حسب رتبته ومكانته[170]. وذلك وفق النظام السائد بين الأتراك آنذاك والذي يقضي باقتسام مَن شاركوا في الغزو. الغنائم والبلدان. هذا النظام لعب دورا كبيرا في توجيه تحركات بابُر العسكرية. فالتيموريون لم يكن لهم حتى ذلك الوقت جيش نظامي كذلك الذي كان عند العثمانيين مثلا، وهذا ما جعلهم دائما في حاجة إلى مساندة الأمراء الأتراك أوالمغول عند كل تحرك عسكري أو خروج لقتال، وبدون هذه المساندة يصبح التحرك العسكري أمرا صعبا للغاية.

بعد وفاة السلطان أحمد ميرزا، إعتلى السلطان محمود ميرزا عرش سَمَرقَنْد خلفا لأخيه الذي لم يعقب أبناء، واعتلى عرش سَمَرقَنْد بلا منازع. وحاول أن يتآمر مع رجال بابُر ليخلعوه، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل. ولم يستمر حكم السلطان محمود ميرزا لسَمَرقَنْد أكثر من خمسة شهور مات بعدها، "بعد أن

---

[167] Halis Biyiktay. a.g.e. s.9.

[168] انظر، بابُر نامه، ورقة ١٦ب.

[169] انظر، بابُرنامه، ورقة ١٧ب.

[170] انظر، بابُر نامه، ورقة ١٨أ.

أوسع أهل سَمَرقَنْد ظلما وفسادا، وضاقوا ذرعا بسوء خلقه وظلمه، بل أن يوم موته كان عيدا كبيرا لأهل سَمَرقَنْد "على حد قول بابُر"[١٧١].

إنقشع عن بابُر بموت عَمَّيه أحمد ومحمود أكبر خطر كان يتهدده، فلم يسترد جانبا كبيرا من أملاك أبيه الضائعة فحسب، بل استفاد من المنازعات التى قامت بين أبناء عمه السلطان محمود ميرزا ليأخذ سَمَرقَنْد أيضا. فقد ثار الخلاف بين أبناء السلطان محمود ميرزا الثلاثة (مسعود، وباى سنقر، وعلى) حول سَمَرقَنْد وتحالف على ميرزا مع بابُر، بينما تحالف مسعود ميرزا مع خسرو شاه أحد الأمراء الكبار للسلطان محمود ميرزا، وذلك لانتزاع سَمَرقَنْد من باى سنقر ميرزا. وحاصروها من ثلاث جهات لكن لم يسفر الحصار عن شيئ. وأعاد بابُر الحصار مرة ثانية فى العام التالى "٩٠٢هـ وفتح كل القلاع والجبال والوديان المحيطة بسمَرقَنْد"[١٧٢]، واستطاع أن يفتحها للمرة الأولى ويدخلها بعد هروب باى سنقر ميرزا منها ولجوئه إلى شيبانى خان يستعديه على بابُر لاسترداد سَمَرقَنْد"[١٧٣].

عقب فتح بابُر لسَمَرقَنْد فى المرة الأولى سنة ٩٠٣هـ= ١٤٩٧م، إنفض عنه عدد كبير من رجاله (فقد كانت سَمَرقَنْد مخربة تماما وتحتاج لوقت طويل حتى تعمُر، لهذا عاش الجند فى ضيق وشظف، هذا فضلا عن شعورهم بالحنين إلى أهلهم)"[١٧٤] كما انفض عنه كبار أمرائه، مثل احمد تنبل الذى انضم برجاله إلى

---

[١٧١] انظر، بابُرنامه، ورقة ٢٣ب ـــ ٣٠أ.

[١٧٢] انظر، بابُرنامه، ورقة ٤٠ أ ـــ ب.

[١٧٣] انظر، بابُر نامه، ورقة ٤٣ب.

[١٧٤] انظر، بابُرنامه، ورقة ٥٩أ.

أوزون حسن أحدِ الأمراء في جيش بـابُر، وكان مغوليا من قبيلة والدة جهانكير ميرزا، شقيق بابُر، وكان يأمل أن يكون الحكم لجـــهانكيرميرزا، لهذا انفصل عن بابُر معه كل الجند الذين انفضوا من حول بـــابُر، وتحالف معه السلطان أحمد تنبل أيضا، ورفع راية العصيان مستفيدا من حالة بابُر التي وصل إليها بعد فتح سَمرَقَنْد وتفرق جنده من حوله، وبدأوا في محاصرة أنديجان. ولما طالت فترة الحصار – وفي الوقت نفسه مرض السلطان بابُر في سَـــمَرقَنْد ولم يستطع مد يدِ المساعده لعلى دوست طاغايي ولِي أنديجان، في الوقت المناسب – سَلَّم "علي دوست"، أنديجان إلى " أوزون حسن "[175]. فضاعت من بابُر سَمَرقَنْد في خضم انشغاله بأنديجان كما ضاعت منه سَمَرقَنْد أيضا بعد أن اعتلى عرشها لمدة مائة يوم[176].

بعد ذلك تخلى السلطان علي ميرزا عن سَمَرقَنْد ليدخلها شــيباق خـان ويستولي عليها وكما يقول بابُر إن أم السلطان علي مـيرزا لعبت دورا في ضياع سَمَرقَنْد وانتقالها إلى يد الأوزبك، ذلك لأنها أوزبكية مثل شـيباق خـان ، أي أن الأوزبك هم أهلها وعشيرتها، ودفعتها الرغبة في الزواج من خان الشيبانيين إلى الاتصال به ومساومته لتسليم مدينة سَـمَرقَنْد له مقابل الزواج منها، ولم تسفر هذا سوى عن ضياع سَمَرقَنْد من يد التيموريين[177].

تكررت محاولات بابُر لاسترداد سَمَرقَنْد من يد شـيباق خـان فقد كان هدفه الأكبر هو أن يَحُول دون سقوطها في يد ذلك العدو الأوزبكي الغريب بعد أن

---

[175] انظر، بابُر نامه، ورقة ٥١ب ـــ ٥٣ب.

[176] انظر، بابُر نامه، ورقة ٥٤أ ـــ ب.

[177] انظر، بابُرنامه، ورقة ٨٠أ ـــ ب.

ظلت فى حوزة التيموريين مائة وأربعين عاما[178] . واستطاع بابُر أن يستردها مرة أخرى عام ٩٠٦هـ =١٥٠٠م رغم تخلى السلاطين والأمراء التيموريين والمغول عن تقديم المساعدة والمساندة القوية له. فسار إليه شيباق وهزمه فى سربُل فى العام نفسه[179] .

ويبدو الأوزبك فى هذه الحرب متفوقين على بابُر فى تكتيك القتال واقتحام القلاع وهو ما يتضح مما ذكره بابُر عن التحركات الحربية لشيباق أثناء هذه المعركه وأثناء حصار سَمَرْقَنْد بعد ذلك[180] .

شدد شيباق خان الحصار حول سَمَرْقَنْد لفترة طويلة (عانى الناس خلالها معاناة شديدة، وبلغ الأمر حد أن الفقراء والمساكين أكلوا لحم الكلاب والحمير، كما نفد علف الجياد فكانوا يقدمون لها ورق الشجر لتأكله)[181]، (وبدأ الناس والجند فى مغادرة القلعة والهرب منها بعد أن ملأهم اليأس)[182]، واضطر بابُر إلى قبول الصلح مع شيباق بعد أن قطع الأمل فى وصول أى مدد أو معونة له، وغادر سَمَرْقَنْد تاركا إياها لشيباق خان الأوزبكى[183] .

استمر شيباق خان فى تتبع بابُر وهاجم شاهرُخية ثم اتجه إلى أوراتيبه . وعندئذ قرر بابُر اللجوء إلى السلطان محمود خان فى تاشكند، وهناك عانى بابُر

[178] انظر، بابُرنامه، ورقة ٨٥أ.

[179] انظر، بابُرنامه ورقة ٩٠ وما بعدها

[180] انظر، بابُرنامه ورقة ٩٠ وما بعدها.

[181] انظر، بابُرنامه ورقة ٩٣ب.

[182] انظر، بابُرنامه ورقة ٩٤ب.

[183] انظر، بابُرنامه ورقة ١٠ب-١١أ.

كثيرا أثناء وجوده في **تاشكند** من الفقر والجور، فلا ولاية لديه، ولا أمل في الحصول على ولاية، كما انفض عنه أغلب رجاله وأعجز العوز من ظلوا بجانبه [١٨٤].

بعد ذهاب **بابُر** إلى **تاشكند**، خرج خان المغول للتصدي للسلطان **احمد تنبل** عند **اوراتيبه** ولم تسفر الحرب عن نتيجة. ثم انضم إليهما خاله الآخر **السلطان أحمد خان** وخرجوا ثانية لمحاربة **تنبل** عند **انديجان** فأخذوا **أوش** و**أوزكند** و**مرغينان** و**أنديجان** وصارت كل المنطقة حول **انديجان** والقلاع والولايات كلها تابعة لهم. لكن تنبل أعاد عليهم الكرّة ليلا، فانفض عن **بابُر** رجاله وتفرقوا [١٨٥].

رجع **بابُر** إلى **أوش**، وقرر الخانان المغوليان أن يحتفظ **السلطان أحمد خان** لنفسه بالولايات التي في الطرف الجنوبي من ماء خجند وعلى رأسها **انديجان** لتكون مستقرا له، ووعدا **بابُر** بإعطائه الولايات التي في الطرف الشمالي من **خجند** وعلى رأسها **آخسي**. لكنهما بعد ذلك أخذا **سمرقند** أيضا ومعها كل الولايات التي وعداه بها وكادت **فرغانه** كلها أن تكون **للسلطان أحمد خان** [١٨٦].

في ذلك الوقت سعى **احمد تنبل** للتحالف مع **شيباق خان**، وما أن علم الخانان بمجيئه حتى لاذ بالفرار ليجد **بابُر** نفسه وحيدا يطارده رجال **تنبل** ويسعون للقبض عليه. وعندئذ قرر **بابُر** الخروج من **فرغانه** قاصدا **خراسان** [١٨٧]. وهنا تنتهي وقائع هذا الجزء من الكتاب الذي يتضمن وقائع **فرغانه** وينتهي بمغادرة **بابُر** لها.

---

[١٨٤] انظر، بابُرنامه ورقة ١٠١ألـ ب.

[١٨٥] انظر، بابُرنامه ورقة ١٠٤أ–ب.

[١٨٦] انظر، بابُرنامه ورقة ١٠٧ـــ ١٠٨أ.

[١٨٧] انظر، بابُرنامه ورقة ١١٥أ–١٢٠أ.

ويتضح فى الجزء الخاص **بفرغانه** من هذه السيرة الذاتية، حداثة عهد بـــابُر بتجربة الفتوح، وهو ما دفعه أكثر من مرة إلى تكرار القول بأن قلة التجربة وعدم الخبرة، هما السبب فيما وقع فيه من أخطاء على الرغم من رجوعه دائما لرأى أهل الخبرة وأهل الثقة من رجال والده الذين شاركوه الحكم فى هذه الفترة.



القسم الثانى

الترجمة العربية لوقائع فَرغانه



فَرغانه[1]

(١ب) فى يوم الثلاثاء الخامس من رمضان عام ثمانمائة وتسع وتسعين[2]، أصبحتُ سلطان فَرغانه، وكنتُ فى الثانية عشر من عمرى.

ولاية فَرغانه جزء من الإقليم الخامس[3] وموقعها فى أقصى المعمورة. تحيط بها كاشْغَر[4] من الشرق، وسَمَرْقَنْد من الغرب، وتحدها من الجنوب الجبال التى تشكل حدود بَدَخْشان[5]. فى شمال فَرغانه مدن مثل: المالِيغ[6]، والمالو[7]، ويانكى[8] التى تَرِدُ فى الكتب باسم اوطرار، لكن المُغول

---

[1] تقع فرغانه اليوم فى جمهورية أوزبكستان. وهى عبارة عن وادٍ يرتفع عن سطح البحر بحوالى مائتين إلى خمسمائة متر. وتحيط بها الجبال الشاهقة من ثلاث جوانب. ويمر من وسطها نهر سيرداريا (سيحون). لمزيد من المعلومات عن جغرافية فرغانه، انظر،

Yeni Türk Ansiklopedisi,Ötüken Neşriyatı,Istanbul 1985,c.3,s.909/1.

و فرغانه هى مسقط رأس بابر شاه.

[2] هذا التاريخ يقابل العاشر من يونيو سنة ١٤٩٤. انظر،

Reşit Ünat, Hicri Tarihleri Milâdi Tarihe çevirme Kılavuzu, Ankara 1974,s.61

[3] كان الجزء المعمور من العالم قديما ينقسم إلى سبعة أقاليم، والأقاليم تنقسم إلى أجزاء. ويقول ياقوت الحموى إن فرغانه من الإقليم السادس تحت إحدى وعشرين درجة من السرطان. ياقوت الحموى، معجم البلدان. ج٦. ص٣٦٤.

[4] مدينة كاشغر هى مركز تركستان الشرقية التى تتبع الصين الآن. وترتفع عن سطح البحر ١٢٢٠ متر. كانت كاشغر مدينة مهمة وتحظى بأهمية تجارية كبيرة. شمس الدين سامى، قاموس الأعلام، استانبول ١٣١٤هـ، ج٥، ص٣٨٠٩.

[5] بَدَخْشان منطقة فى أقصى الشمال الشرقى لأفغانستان بين تركستان والصين والهند. وبها منابع نهر جيحون وهى منطقة جبلية مرتفعة. فى جنوبها جبال هندكوش، وفى شرقها تركستان الشرقية، وفى الغرب نهر "قوندوز". تشتهر بمراعيها الجيدة ووديانها الواسعة وأحجارها الكريمة ومنها اللازورد والياقوت المعروف باسم لعل بدخشان. والطريق الوحيد لغزوها هو ناحية الجنوب. انظر، و. بارتولد، تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ط١، ١٩٨١م، ص١٤٧، وقاموس الأعلام، ج٢، ص١٢٥٣.

[6] المالِيغ، مدينة المالِيغ وتكتب أيضا المالِق، بارتولد، تركستان، ص٧٥٢. مدينة فى شرق تركستان على نهر ايلى. بالقرب من مدينة قولجه الحالية فى الشمال الشرقى من كاشان. انظر،

Emel Esin, I.A. T.D.V. Istanbul,1989,c.2,s.506/1.

[7] المالو، اسم مدينة كانت تقع مكان "ويرنى". وتعرف المالو اليوم باسم "آلما آتا". وكانت تعرف فى لغة القازاق

والأوزبك خربوها الآن ولم يبق فيها أثر للعمران.

وفَرغانــة ولاية صغيرة، محاصيلها وفاكهتها كثيرة وأطرافها جبلية، وتخلو ناحيتها الغربية من الجبال، وتقع في هذه الناحية مدينتا سَـــمَرْقَنْد وخُجَنْـد[9]. ولا يستطيع العدو أن يأتي إليها في الشتاء من أي مكان قط غير هذه الجهة الغربية.

ونهر سَيْحون المشهور باسم "ماء خُجَنْـد "،(٢ أ) يتدفق من شمال شـرق هـذه المنطقـة، ويمر منها ويسيل نحو الغرب، ثم يعبر من جنوب " فَنَــاكَت " الواقعة شمال خُجَنْد والمشهورة اليوم باسم "شاهرُخيّه"[10]، ويعود مرة أخرى إلى الشمال، ثم يمضي نحو تُركستان[11] ويتلاشى هـذا النهر تماما بين الرمال أسفل تُركســتان قليلا

باسم "آلماتي". وأطلق عليها الروس اسم "ويرني" بعد أن أنشأوا فيها قلعة عسكرية تحمل هذا الاسم عـام ١٨٥٤ م. وفي عام ١٩٢٧م أطلق عليها رسميا اسم آلما آتا وهي عاصمة جمهورية قازاقستان حتى إنشاء الاستانه، وهي العاصمة الحاليـة. انظر، Mustafa L. Bilge, I.A.T.D.V.,c.2, s.505/2

[8] يانكي، مكان في شمال فرغانه انظر، Reşit Rahmati Arat,a.g.e ,s.568:

[9] خُجَنْد، ويكتبها أغلب الجغرافيين العرب خجندة. ويصفها شمس الدين سامي بأنها واحدة من أشهر مدن ما وراء النـهر، على الساحل الأيسر لنهر جيحون، في الجنوب الشرقي لتاشكند وتبعد عنها مسافة ١٤٠ كم. وتكثر بها الجوامـع. تحفها الحدائق وتشتهر بفاكهتها أهلها خليط من التاجيك والقره قرغيز والأوزبك. انظر، شمس الدين سامي، قاموس الأعـلام، ج٣، ص ٢٠٢٣. وقد كتبها الشريف الإدريسي خجندة، وقال إنها متاخمة لفرغانة وهي مدينة حسنة عامرة كثيرة الأهـل قائمة الأسواق فيها صنائع وجمل بضائع وأهلها مياسير. انظر، الشريف الإدريسي، نزهة المشـتاق في اختـراق الآفـاق، القاهرة، بدون تاريخ طبع، ج١، ص٥٠٥.

[10] شاهرُخيّه نسبة إلى شاهرخ ابن تيمور لنك، وكان محبا للآداب والعمران، وفد الشعراء والفنانون إلى قصره. كان اسمها بناكث أو فَناكَت، فلماخربها المغول، أعاد تيمور لنك بناءها وسماها شاهرُخيّه تكريما لابنـه شـاهرخ، ولا تـزال أطـلال شاهرُخيّه ماثلة على الضفة اليمنى لنهر سَيْحون، انظر بارتولد، تركستان مرجع سبق ذكره، ص٢٨٣.

[11] تُركستان المقصودة في هذا النص هي موضع بين شمال تاشكند وشمال نهر سيحون كان معسكرا لجنود الأوزبـك قبـل استيلائهم على بخارى. وتُركسـتان بصفة عامة، اسم جامع لجميع بلاد الترك، وهي موطن الأتراك في آسيا الوسطى وتمتد مـن بحر الخزر (قزوين) غربا إلى حدود التبت ومنغوليا شرقا وتشتمل على أقاليم ما وراء النهر وفَرغانه والسُغد وجـزء مـن "خراسان "وهي أقاليم ذكرها الجغرافيون العرب وتحدثوا عنها كثيرا في مؤلفاتهم، كما أنها مـسقط رأس فحـول العلمـاء والفقهاء والمحدثين والفلاسفة بعد الإسلام. يجري فيها نهران عظيمان هما جيحون وسيحون. وأهلها مسلمون. ويتكلم أهلـها اللغتين الجغتائية والفارسية. انظر، أبي بكر بن جعفر النرشخي، تاريخ بخارى، عربه عن الفارسية عبد المجيد بدوي، ونصـر الله مبشر الطرازي، ط٣، ص١٩/٢. ويقول القزويني إنهـا "ممتازة عن جميع الأمم بكثرة العـدد وزيـادة الشـجاعة والجلادة. وأهلها عراض الوجوه فطس الأنوف عبل السواعد، ضيقوا الأخلاق. وحسبك ما ترى من كـثير همتـهم. إن أحدهم إذا سبي لا يرضى أن يكون زعيما أو مقدما لعسكر سيده بل يريد انتزاع الملك من سيده والقيام مقامه". انظـر،

ولايتصل بأى نهر آخر.

ولفرغانه سبع قصبات، خمس منها فى جنوب نهر سـيحون، واثنان فى شماله (هذه القصبات هى):

اندجان[12]:

واحدة من القصبات الموجودة فى الناحية الجنوبية من نهر (سَيحون) وتقع فى الوسط، وهى عاصمة ولاية فَرغانـه. محاصيلها كثيرة، وفاكهتها وفيرة. الشمام والعنب فيها طيبان، ولا يوجد شمام أفضل من شمام "أَندجـان". وبيعه من الحقول فى موسمه غير مألوف. قلعتها فى الطرف الجنوبى منها ولها ثلاثة أبواب وليس فيما وراء النهر قلعة أكبر من قلعة "أَندجان"، إلا قلعتا "سَمَرقَند وكَش"[13]. والمثير للدهشة حقا أن الماء يدخل إلى قلعة أَندجـان عبر تسع قنوات ولا يخرج من أى مكان قط منها. وفى جوانب القلعة خندق يحيط به طريق كبير مرصوف بالحجارة. هذا الخندق والطريق الكبير الذى يمر من جانبه، يفصلان القلعة عن الأحياء السكنية التى تحيط بجوانبها. تكثر فى (فَرغانـه) حيوانات الصيد والطيور. والديوك البرية هنا (٢ب) سمينة جداً ويقال إن فخذ الواحد منها إذا أكله أربعة أشخاص، لايستطيعون إنهاءه. وأهلها أتراك، وليس فى المدينة

زكريا بن محمد بن محمود القزوينى، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥١٤.

[12] اندجان، وتكتب أيضا أنديجان. إحدى قصبات فرغانه. وتقع على مسافة ٤٠ كم شرق خوقند. قاموس الأعـلام، ج١، ص٤٢٠. وهى فى اوزبكستان اليوم.

[13] كش، هى مدينة شهر سبز الحالية ويقدم لنا الإدريسى وصفا لها قبل القرن الثانى عشر الميلادى، السادس الهجرى. نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، ج١، ص٤٩٩ وما بعدها.

أو السوق من يجهل اللغــة التركيــة. كما أن لغــة الحديث عند الناس تناســب لغة الكتابة عندهم. خاصة وأن أعمال شـــيرنوائى[14] كُتبت بنفس هذه اللغة[15] التى وجدت تطورها وارتقائها فى هراة. وتكثر فيها الجميلات. ويوســـف خوجـــه[16] المشهور فى عالم الموسيقى[17] اندجانى أيضا. وهواء أندجـــان مضر بالصحة وتكثر الحمى فى الخريف.

أوش[18]:

تقع جنوب شرق "أندجـــان"، على مسافة أربعة فراسخ[19] منها هواؤها جميل، ومياهها الجارية وفيرة وربيعها رائع، فما أكثر ما يُروى عن طيبات أوش.

---

[14] شرنوائى، يقصد ميرعلي شيرنوائى الشاعر التركي الجغتاى المشهور. وهو من الأمراء الأتراك وقد عكف على تحصيل العلوم المتداولة فى عصره كالفلك والطب والشعر والنثر. ولد فى هرات سنه ٨٤٤ هـ = ١٤٤١م وتوفى سنة ٩٠٦هـ = ١٥٠١م. وقد لعب دورا كبيرا فى تطوير اللغة التركية والأدب التركي فى وسط آسيا. ولهذا عرفت اللغة الجغتائية بأنها "لغة نوائى". وقد كتب آثاره بالتركية الجغتائية والفارسية ولهذا عرف بلقب "ذو اللسانين". ومن أشــهر آثــاره أربعــة دواوين باسم خزائن المعانى فضلا عن ديوان باللغة الفارسية تخلص فيه بتخلص فانى. ومحاكمة اللغتين. وتحفة الأفكار. ولــه أيضا مثنويات منها فرهاد وشيرين وليلى ومجنون. ومن التذاكر. مجالس النفائس وحمسة المتحيرين. وكتب أيضا فى الحديث وله الأربعين حديث. ومناجاة، وسراج المسلمين انظر، Gönay Kut. I.A.T.D.V.c.2.s.449 وانظر أيضا، حربى أمين سليمان، المؤرخ الإيرانى الكبير غياث الدين خواندمير كما يبدو فى كتابه دستور الوزراء، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠، ص٢٨-٣١.

وقد كتب بابر شاه فى كتابه هذا ترجمة لنوائى وذكر علاقته بالسلطان حسين بايقرا وجوانب من رعايته للفنون، كما تعرض بالنقد لبعض أعماله. انظر، بابر نامه ص١٧٠ب وما بعدها.

[15] يقصد اللغة التركية بلهجتها الجغتائية.

[16] خوجه، كلمة فارسية تكتب فى الشكل الإملائى الفارسى "خواجه" بمعنى السيد، والأستاذ، والمعلم، والشيخ، والقاضى، انظر، Şükün, Farsça- Türkçe Luğat, Istanbul, 1984.c.2.s.814/1.

[17] يوسف خوجه، موسيقى مشهور من "اندجان". كان يعمل فى خدمة "باى سُنقُر ميرزا". توفى سنة ١٤٣٤م.

[18] أوش، تقع فى أوزبكستان اليوم. ويقول بارتولد، إنها كانت تعد ثالث مدن فرغانه من حيث الرئيسية، انظر، بارتولد، تركستان، ص ٢٦٧.

[19] الفرسخ، مقياس يساوى مسيرة أربع ساعات وتعادل خمسة كيلومترات أو ثلاثة أميال. انظر، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، دار التحرير للطبع والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٠م، ص ٤٦٧/٣.

وفى الجنوب الشرقى من قلعة **أوش**، جبل متناسب الشكل اسمه جبل **"براكـوه"**، وقد شيد **السلطان محمود خـان**[20] قصراً فوق قمة هذا الجبل. وفى تسعمائة واثنين[21] شيَّدتُ (بدورى) قصراً ذا إيوان فى مكان منحدر ومتعرج فوق هذا الجبل وأسفل ذلك القصر قليلا. والحق ؛ وإن كان قصر (**السلطان محمود خان**) أكبر من قصرى، إلا أن قصرى فى موقع أجمل، فكل المدينة والأحياء السكنية تبدو أسفل منه.

(١٣أ) وينساب ماء " **أنديجان** "[22] بين أحياء **أوش** جاريا إلى " **أنديجان**"، تكثر الحدائق على ضفتيه ، وتتجه كلها نحو الماء. وزهور البنفسج غاية فى الرقة، ولها مياهها الجارية. كما أن الربيع (فى **أوش**) بديع ، تتفتح فيه زهور شقائق النعمان والورود. ويجرى نهر عظيم من جانب جبل " براكوه ". ويوجد فى سفح هذا الجبل بين النهر والحدائق جامع اسمه " **الجوزاء**". الحوش الخارجى لجامع الجوزاء هذا، عبارة عن ساحة ذات ميل قليل لونها أخضر بلون البرسيم، تكتنف جوانبها الظلال وتبعث على البهجة. وفيها يستريح كل الضيوف والمسافرين.

ولعامة الناس فى **أوش** عادة عجيبة ؛ إذا غطَّ أحدهم فى نومه، فإنهم يأخذون الماء من ذلك النهر ويسكبونه عليه. وفى الأيام الأخيرة من حكم **عمر شيخ**

---

[20] السلطان محمود خان، خال بابر.

[21] هذا التاريخ يقابل عامى ١٤٩٦ - ١٤٩٧م.

[22] ماء أنديجان، هو أحد فروع نهر سيحون.

ميرزا [23] ظهر فى هذا الجبل، حجرٌ متموّج بالأحمر والأبيض. وهوحجر بديع، يُستخدم فى صنع مقابض السكاكين والأحزمة وبعض الأشياء الأخرى. وليس فى فَرغانه قصبة ذات سرور وجيدة الهواء، مثل أُوش.

مَرْغينان [24] :

قصبة جميلة ، تقع غرب "أنـديجان" على مسافة سبعة فراسخ منها . محاصيلها كثيرة ، كما أن الرمان والبرقوق فيها رائع الجمال . وبها نوع من الرمان يسمونه "دانه كلان" [25] ، يفوق رمان سَمنَان [26] . (٣ب) فى حلاوته وقلة حموضته. وفيها نوع من البرقوق لذيذ جدا يسمونه "سيحانى" يجففونه بعد أن يخرجوا النواة منه ويضعون اللوز مكانها. الصيد وطيوره جيدة فى مَرغينان ، ويوجد بالقرب منها الغزال الأبيض. وأهلها سارْت [27] . وهم مهرة فى التّصارع بالقبضات وأرباب معارك. والتّصارع بالقبضات عادة شائعة جدا فيما وراء النهر.

---

[23] عمر شيخ ميرزا، والد بابُر، وقد ترجم له بابُر ترجمة وافية، انظر، بابُر نامه ص ٥ب وما بعدها.

[24] مرْغينان، جاء هذا الاسم فى الترجمة الفارسية مرغينان، انظر، بابُر نامه موسوم به توزك بابُرى وفتوحات بابُرى، الترجمة الفارسية التى تمت عن الجغتائية فى زمن أكبر بادشاه خان، مودعة فى مكتبة جامعة القاهرة، رقم القيد ١٢٢٥٠، ص٣. وسوف نشير إلى هذه الترجمة فى الحواشى فيما بعد بعبارة "الترجمة الفارسية".

[25] دانه كلان، كلمة فارسية معناها الحبة الكبيرة أو الضخمة.

[26] سمنان، مدينة بين "خراسان" والعراق عند حدود دامغان تقع شرق على مسافة ١٨٤ك.م فى الشرق من طهران. انظر، قاموس الأعلام، ج٤، ص ١/٢٦٢٩.

[27] السارت أو التاث، من العشائر التى تستوطن تُركستان، ويقال إنهم من التاجيك انظر، سليمان افندى البخارى، لغت جغتاى وتركى عثمانى، استانبول، ١٢٩٨هـ، ص٢/١٧٨. ويقول بارتولد : إن كلمة سارت أطلقت بعد القرن الحادى عشر على قوم من إيرانيى آسيا الوسطى كان الأتراك يعتبرونهم (قوما من التجار)، وكان التيموريون يستعملون الكلمة بمعنى كلمة (عجم) أو (غير تركى) انظر، و. بارتولد، تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، ط١، ص٤٢، ٢٤٦.

وأكثر المصارعين الذين اكتسبوا شهرة فى "سَمَرقَنْد" و "بُخارا "[28] هم من مَرغينان. والشيخ برهان الدين على صاحب الهداية[29] من قرية تسمى رَشْـدان من توابع مَرغينان.

اَسفَرَه :

قصبة فى سفح الجبل، بها مياه جارية وبساتين خوخ. تقع جنوب غرب مَرغينان على بعد تسعة فراسخ[30] منها. أشجارها كثيرة الفواكه، كما يكثر فى حدائقها شجر اللوز. أهلها كلهم سارْت وجبليون. وبين تلالها الجنوبية توجد قطعة حجر يطلقون عليها اسم الحجر المرآة، ويقدر طولها بنحو عشرة أذرع، وترتفع فى بعض أماكنها بمقدار قامة إنسان، والجزء الأسفل منها يصل فى بعض أماكنه إلى وسط الإنسان. وهى كالمرآة، تعكس كل شىء.

وتتشكل قصبة اَسفَرَه من سفوح أربعة جبال هى : اَسـفَرَه، واروخ، وسـوخ، وهُشـيار. وقد جئتُ إلى سفوح جبال سـوخ وهُشـيار، عندما

---

[28] بُخارا، وتكتب أيضا بُخارى، وهي إقليم من "خراسان" يشمل عدة مدن أهمها بخارى العاصمة وذكرها الاصطخرى باسم "نوميجكَث" أيضـا. وكانت تلقب بقبة الإسلام. وتقع اليـوم فى أوزبكستـان. النرشخى، تاريخ بخـارا، المقدمة، ص٨٧/١.

[29] الشيخ برهان الدين على، هو شيخ الإسلام على بن أبي بكر محمد بن عبد الجليل المَرْغيناني الحنفي المكنى بأبي الحسن والملقب برهان الدين، من كبار فقهاء القرن السادس الهجرى. قتله جنكيزخان ضمن من قتل من العلماء فى "بُخارا" فى مذبحة عامة. ومن مؤلفاته كتاب الهداية فى الفروع وهو كتاب فى الفقه الحنفى نال عناية الفقهاء فكتبوا عليه عدة شروح وتعليقات، وكفاية المنتهى ونشر المذهب وكتاب التجنيس، والمزيد، ومناسك الحج. توفى سنة ٥٩٣هـ. انظر، كاتب جلـبى، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج٢، ص٢٠٣١، وأيضا، على أكبر دهخدا، لغت نامه ج٣٥، ص٢٦٢، وشمس الدين سامي، قاموس الأعلام، ص ١/١٣٠٢.

[30] تسعة فراسخ، مسافة تعادل حوالى خمسة وأربعين كيلو مترا.

هزم محمد شَيْبانى[31] خان[32]، السلطان محمود خان[33] وآلجــه خــان[34]، وأخذ تاشْكَنْد[35] وشاهرُخيَّه. (٤ أ) وغادرتها إلى كابل بعد أن عشت فيها فى ضيق مايقرب من العام.

خُجَنْد[36]:

قصبة على مسافة خمسة وعشرين فرسخا[37] فى إتجاه الغرب من "أندجان". والمسافة بين "خُجَنْد" و"سَمَرْقَنْد" خمسة وعشرين فرسخا أيضا. وهى من المدن القديمة. ومن أهلها "الشيخ مصلحت" و"خوجه كمــال". والفاكهة فى خُجَنْد فائقة الجمال ويشتهر رمانها بمذاقه الطيب. وكما يطلقون على تفاح سَــمَرْقَنْد

---

[31] شيْبانى، جاء الاسم فى الترجمة التركية لبابُر نامه "شيباق". بص
Reşit Rahmeti Arat.a.g.e, c.1.Ankara 1943.s.333
وسوف نختصر هذا التوثيق عند الإشارة إلى الترجمة التركية لبابُر نامه فيما بعد بحيث يكون: "الترجمة التركية". ورغم أن الاسمين "شيْباق خان وشيْبك خان" يدلان على شخص واحد. إلا أننا التزمنا بدقة اللفظ وآثرنا أن ندون الاسم كما ورد فى النص الجغتائى لبابُر نامه ص ٣ب.

[32] محمد شَيْباق خان الأوزبكي، أحد خانات الأوزبك، وينحدر من نسل جوجي بن جنكيزخان. استولى على ما وراء النهر و"خراسان" سنة ٩٠٠هـ مما دفع حاكمها بديع الزمان ميرزا بن السلطان حسين بايقرا، إلى اللجوء إلى الشاه اسماعيل الصفوى. وفى عام ٩١٦ ساق الشاه اسماعيل الجُند ضد شيباق خان، وحرمه فى مرو وقتله. وانتقلت "خراسان" إلى يد الشاه اسماعيل الذى احتفظ بها لنفسه. انظر، شمس الدين سامى. قاموس الأعلام، ج.٤، ص١/٢٨٩٣.

[33] كلمة خان لقب يختص به الحكام فى تركستان ويُضاف بعد الاسم. انظر .Ziya Şükün, a.g.e. c.2. s.754/1. وتستعمل بمعنى السلطان وأصلها خاقان، وتعنى كبير العشيرة والحاكم. انظر، سليمان افندى البخارى، المرجع نفسه، ص ١/١٦٧.

[34] آلجه خان، هو السلطان أحمد خان خال بابُر وقد اشتهر هذا اللقب الذى يعنى القاتل فى لغة القالمق والمغــول لأنــه انتصر عدة مرات على القالمق وذبح كثيرا من الرجال فأطلقوا عليه هذا اللقب واشتهر به. انظر. بابُر نامه ورقة ١١ب

[35] تاشْكَنْد وتكتب أيضا تاشْكَنْد. وتقع فى أوزبكستان اليوم.

[36] خُجَنْد، واحدة من المدن الشهيرة فى ما وراء النهر على الساحل الأيسر من نهر سيحون وتبعد عن تاشْكَنْد ١٤٠كم فى الجنوب الشرقى منها، ويكتبها الجغرافيون العرب على شكل خُجَنْدة. انظر، قاموس الأعلام، ج٣، ص ١/٢٠٢٣. وتقع فى أوزبكستان اليوم.

[37] خمسة وعشرين فرسخا، مسافة تعادل مائة وخمسة وعشرين كيلومتر.

اسم "سيب سَمَرْقَنْد"، فإنهم يطلقون أيضا على رمان خُجَنْد اسم "أنارى خُجَنْد". إلا أن رمان مَرغينان أجود الآن.

تقع قلعة خُجَنْد في مكان مرتفع. وينساب نهر سَيْحون من شمال (القلعة) على بعد رمية سهم منها. وفي الشمال من القلعة والنهر، جبل اسمه "منوغِل" فيه مناجم الفيروز والمعادن الأخرى، كما تكثر فيه الثعابين.

ويجود في خُجَنْد أماكن صيد الحيوانات والطيور، ويكثر فيها الغزال الأبيض، والغزال، والديك البري، والأرانب، لكن هواءها مضر بالصحة، وتكثر فيها الحمى في الخريف. ويروى أن الحمى تصيب حتى العصفور. ويقولون إن الحدائق التي في شمالها هي السبب في فساد هوائها. ومن ملحقاتها "كَنْدِ بادام"[38] وتقع في الشرق من خُجَنْد بمقدار خمسة أو ستة فراسخ[39] وهي قصيبة صغيرة جدا إن لم تكن قصبة. وقد سُمّيت باسم كَنْدِ بادام نسبة إلى لوزها الجيد (٤ ب). ولوزها دائما يذهب إلى هرمز والهند.

ويوجد بين "خُجَنْد" و"كَنْيت بادَم" صحراء اسمه "هادرويش"[40]، لا تنقطع منها الرياح وتثور فيها الزوابع. ومن هذه الصحراء تهب الرياح دائما على مرغينان التي تقع في شرقها، وعلى خُجَنْد التي تقع في غربها. ويُحكى أن عددا من الدراويش أصابتهم الزوبعة في هذه الصحراء، وماتوا وهم يتنادون: "هادرويش،

---

[38] كَنْدِ بادم، بمعنى مدينة اللوز. كانت تعرف باسم كَنْد ثم باسم كَنْيت بادَم وتعرف الآن باسم كن بدم. انظر بارتولد، تركستان مرجع سابق، ص٢٦٩. وهي قصبة من ملحقات خُجَنْد في فرغانه، بابر نامه ورقة ٤أ.

[39] خمسة أو ستة فراسخ، مسافة تعادل حوالي خمسة وعشرين أو ثلاثين كيلو متر.

[40] ها، حرف نداء في اللغة التركية، و "ها درويش" بمعنى أيها الدرويش. شمس الدين سامي، قاموس تركي، در سعادت، اقدام مطبعه سي ١٣١٨، ص٢/١٥٠٣.

هادرويش" دون أن يعثر أحدهم على الآخر. ومنذ ذلك الوقت، والناس يطلقون على هذه الصحراء اسم "هادرويش".

أخسى[41]:

إحدى القصبات التي في الجانب الشمالي من نهر سيحون. ويكتبونها في الكتب "اخسيكث". وعليه فإنهم يطلقون على الشاعر أثير الدين، اسم أثير الدين الأخسيكتي[42]. وليس في فرغانه قصبة أكبر منها بعد "آندجان". وتقع آخسي في الغرب من "آندجان"، على مسافة تسعة فراسخ منها.

كان عمر شيخ ميرزا قد اتخذها عاصمة له. ويجري نهر سيحون تحت قلعتها الواقعة على حافة هوة عالية. هذه الهوة العميقة تقوم مقام الخندق. فلما اتخذها الشيخ عمر ميرزا عاصمة له، حفر أخاديد أخرى لمرحلة[43] أو اثنتين خارج القلعة. ولا يوجد في فرغانه قلعة أخرى في متانة قلعة أخسي. (٥ أ) وتقوم الأحياء السكنية على مسافة شرعي[44] واحد من القلعة، وأغلب الظن أن المثل القائل "حيثما تكون القرية تكون الأشجار" قيل على "أخسي".

الشمام في أخسي طيب (المذاق) وبها نوع من الشمام يسمونه

---

[41] أخسي، جاءت في الترجمة الفارسية على شكل "اخشي" انظر ص ٤ من الترجمة الفارسية. وهي مدينة تقع أطلالها الآن في الجنوب الغربي من نامانقان من إقليم فرغانه انظر، بارتولد، تركستان، ص ٢٦٧. وتكتب أيضا أخسيكث وأخسيكت. قاموس الأعلام ج٢، ص ٨٠٤/١.

[42] أثير الدين الأخسيكتي، من شعراء القرن السادس الهجري المشهورين. توفي عام ٦٠٨هـ. قاموس الأعلام، ج١، ص٧٨٠/٢.

[43] المرحلة، هي المسافة التي يقطعها السائر بين منزلين. المعجم الوجيز، ص٢٥٩/١. وقد ذكر الإدريسي أن المرحلة هي احد وعشرون ميلا. انظر، الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق ج١، ص٥٠١.

[44] الشرعي، مقياس للطول يساوي ميلين. انظر الترجمة التركية ج٢، ص٩٤٩.

"ميرتيموزى"، لا نظير له فى الدنيا. وشمام "بُخارا" أيضا مشهور. عندما أخذتُ "سَمَرقَنْد" أمرتُ بإحضار الشمام من "أخسِى" ومن "بُخــارا"، وأمرت بتقطيعه فى أحد المجالس، لكن لا وجه للمقارنه بين شمام "أخسِى" وأى شمام آخر. ويجود فى أخسِى الصيد وطيوره. وناحية "أخسِى" من جهة نهر سَــيحون عبارة عن صحراء يكثرفيها الغزال الأبيض. أما ناحيتها من جهة "أندِجــان" فعبارة عن غابة يكثر فيها الغزال والديك البرى والأرانب، وكلها سمينة جدا.

كاســان[45]:

قصيبة تقع فى شمال "أخسِى". ويأتى ماء "أخسِى" من كَاســان، مثلما يأتى ماء "أندِجان" من أُوش. وهى مكان طيب الهواء به حدائق غنّاء. ويقولون عنها أنها "الرداء المزّين صدره" لأنها كلها تقع على حافة جدول ماء. ويُصِر أهالى "أوش" و"كَاسان" على أن قصبتيهم أكثر بهجة وصفاء (من غيرها).

والجبال حول ولاية فرغانه ذات هضاب جميلة. وفى هذه الجبال تنمو أشجار الصفصاف الحمراء التى لاتنمو فى أى مكان آخر، وهى شجرة حمراء القشرة يصنعون منها العصى (٥ ب) ومقابض السياط وأقفاص الطيور. يبرون فروعها ليصنعوا منها السهام. وهى شجرة مباركة، يحملها (الناس) معهم فى أسفارهم

[45] كاسان وجاءت فى الترجمة الفارسية كاشان، انظر الترجمة الفارسية ص٤. وهى قصبة على خمسة فراسخ إلى الشمال من آخسيكث. وتقع على نهر يحمل نفس الاسم وهى لا تزال قائمة فى صورة مدينة صغيرة وإلى جوارها أطلال المدينة القديمة. وفى نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع، كانت كاسان عاصمة لأمراء فرغانه.انظر، بارتولد، تركستان، نقلا عن اليعقوبى، التاريخ، ج٢، ص ٤٧٨، اليعقوبى، تاريخ البلدان، ص٢٩٤.

البعيدة تبركا بها"[46].

جاء في بعض الكتب أن (نبات) "**يبروح الصنم**"[47] ينمو في هذه الجبال لكننا لم نسمع بهذا قط في هذه الأيام، إنما سمعنا عن وجود عشب له خصائص اليبروح في جبال "**ينى كنيت**"[48]، يسميه الناس عُشب الإناقة. وهذا العشب في الغالب هو اليبروح، لكن الأهالي هنا أطلقوا عليه هذه التسمية. وفي هذه الجبال توجد مناجم الفيروز والحديد"[49]. ولو عدلوا، يمكن أن تفي حاصلات ولاية فرغانه بمعيشة ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف جندي.

عمر شيخ ميرزا :

كان **عمر شيخ ميرزا** سلطانا عالي الهمة، كبير المطامح، لهذا كانت تحركه دائما فكرة توسيع مملكته. وقد سيَّر الجُندَ عدة مرات إلى "**سمرقند**"، فكان ينهزم أحيانا، أو يرجع بدون الوصول إلى غايته في أحيان أخرى. وينحدر صهره **يونس خان**، من نسل **جغتاى خان** الابن الثاني **لجنكيزخان**. وكان هذا الخان، الذي هو جدي، آنذاك خانا للأمة المغولية في موطن **جغتاى خان**. وكان **عمر شيخ ميرزا** يرجوه كثيرا لكي يحضر إليه، وكان (والدي) يعطيه الولاية تلو الأخرى كلما استجاب لدعوته. لكن لم تكن الأمور تجري تبعا لما يريده **عمر شيخ ميرزا** (٦أ). إذ

---

[46] جاءت في الترجمة التركية : "يحملونها معهم كهدايا"، انظر الترجمة التركية ص ٥، وهي في الأصل الجغتائي "تبرك لوك".

[47] يبروح الصنم، نبات يعمل على تجلط الدم انظر، شمس الدين سامي، قاموس تركي، ص١٥٤٢/١.

[48] ينى كنت، بمعنى المدينة الجديدة.

[49] جاءت في الترجمة التركية "الفيروز والمعادن الأخرى"، انظر الترجمة التركية ص ٤.

سرعان ما يترك (جدى) الولاية ويعود مرة أخرى إلى (مُغولستان)[50]؛ تارة بسبب تحركات عمر شيخ ميرزا السيئة وتارة بسبب مخالفته للأمة المُغولية. وفى آخر مرة، دعا عمر شيخ ميرزا، يونس خان، وقدم له ولاية تاشْكَنْد هدية، وكانت تحت إدارته فى ذلك الوقت. وولاية تاشْكَنْد هى المذكورة فى الكتب باسم شاش وأحيانا تُذكر باسم جاج[51]، التى يُنسب إليها قوس جاج. وقد ظلت ولاية تاشْكَنْد وشاهرُخيِّه حتى[52] سنة ثمان وتسعمائة[53] فى يد خانات جغتاى. فى هذه الأثناء كانت خانية المُغول مِلْكًا لخالى السلطان محمود خان، الابن الأكبر ليونس خان والأخ الأكبر لأمى. وقد تصاهر السلطان احمد ميرزا[54] سلطان سَمَرْقَنْد والأخ الأكبر "لعمر شيخ ميرزا " مع السلطان محمود خان، خان الأمة المُغُولية، وتحالفا معا ضد عمر شيخ ميرزا بعد أن ضاقا ذرعا بسوء تحركاته. وفى التاريخ المذكور[55]، تحرك السلطان احمد ميرزا من جنوب ماء "خُجَنْد"، والسلطان محمود خان من الشمال نحو عمر شيخ ميرزا. وفى هذه الأثناء وقع حادث غريب. فكما ذكرنا من قبل (٦ب) أن قلعة "أخْسِى" مقامة على هوَّة عالية، ومبانيها موجودة

---

[50] مغولستان، أي أرض المغول وتعرف اليوم باسم منغوليا، إقليم في شمال شرق تركستان يتبع الصين الآن، يحدها من الشمال سيبريا ومن الغرب تركستان الشرقية ومن الجنوب الصين ومن الشرق منشوريا. قاموس الأعلام ج٦ ص٤٣٥١.

[51] جاج بالجيم المثلثة في اللهجة المحلية للاسم بين المؤلفين الفرس. وذلك لأن حرف الشين العربية إنما تعكس في كثير من الأحيان إلى حرف الجيم المثلثة. انظر، بارتولد، تركستان، ص٢٨٣/٧٥٠.

[52] أضافت الترجمة التركية عبارة: "منذ ذلك التاريخ "قبل عبارة "وحتى سنة.."انظر الترجمة التركية ص ٥.

[53] هذا التاريخ يقابل سنة ١٥٠٣م.

[54] السلطان أحمد ميرزا، عم بابر شاه كان سلطانا علي سَمَرْقَنْد حتى عام قبل أخيه السلطان محمود ميرزا، وقد ترجم له بابر ترجمة وافية، انظر بابر نامة ورقة ١٨ا.

[55] يقصد عام ٨٩٩هـ الذى تحرك فيه السلطان أحمد ميرزا والسلطان محمود خان ضد عمر شيخ ميرزا الذى وافته المنية في تلك الأثناء.

على حافة هذه الهوّة. وفى هذا التاريخ - يوم الاثنين الرابع من شهر رمضان[56] - مات عمر شيخ ميرزا، بعد أن هوى به بيت حمائم له وسقط فى هذه الهوة. وكان عمره تسعة وثلاثين عاما.

مولده ونسبه :

ولد عمر شيخ ميرزا فى "سَمَرْقَنْد" عام ثمانمائة وستّين[57]. وهو الابن الرابع للسلطان أبوسعيد ميرزا . كان أصغر من أخوته، السلطان احمد ميرزا، والسلطان محمد ميرزا، والسلطان محمود ميرزا.

والسلطان أبوسعيد ميرزا، هو ابن السلطان محمد ميرزا بن ميرانشاه ميرزا. وميرانشاه ميرزا هو الابن الثالث للأمير تيمور.

كان ميرانشاه ميرزا أصغر من عمر شيخ ميرزا[58] (الكبير) ومن جهانكير ميرزا وأكبر من شاهرُخ ميرزا.

أعطى السلطان أبوسعيد ميرزا، (ولاية) كابُل إلى عمر شيخ ميرزا وعين له بابا كابُلى وصيا[59]، وأرسله إلى هناك. ولكنه أعاده من "دره كز"[60] بمناسبة حفل ختان الأمراء، وأمر بإرساله إلى "سَمَرْقَنْد". ولما كان الأمير

---

[56] هذا التاريخ يقابل التاسع من يوليه من عام ١٤٩٤م.

[57] هذا التاريخ يقابل عام ١٤٥٦م.

[58] عمر شيخ ميرزا، المعروف بالكبير ولقبه معز الدين . وهو جد السلطان حسين بايقرا. انظر، قاموس الأعلام، ج٥، ص ١/٣٢١٩.

[59] وصيا، وهو فى مقام حاجب السلطان. انظر، أحمد محمود الساداتى، ظهير الدين محمد بابر مؤسس الدولة المغولية فى الهندستان، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٥٤، ص ١/١٢٠.

[60] دره كز، اسم وادى على طريق كابل فى جنوب بلخ.

تيمور قد أعطى ولاية فرغانه (من قبل) إلى عمر شـــيخ مـــيرزا (الكبير)، فإنه[٦١] بعد الحفل أعطاه[٦٢] ولاية "آندجان"، وعين خـــداى بـــردى توغجـــى تيمورتاش وصيا عليه، وأرسله إلى هناك.

شكله وشمائله :

كان (عمر شيخ ميرزا) قصير القامة، مستدير اللحية، ممتلئ الوجه، بدين الجسم، (٧ أ) يلبس ملابس ضيقة جدا. وعندما يربط الحزام على وسطه، يسحب بطنه إلى الداخل، وبعد أن يربطه، يترك بطنه على راحتها. وكثيرا ما ينقطع الحزام. لم يكن متكلفا في ملبسه وفي طعامه، يضع العمامة على رأسه ويلفها وكانت العمائم في ذلك الوقت تلف أربع لفات، ويربطونها ببساطة وبدون طرفها. وغالبا ما يرتدى في الصيف وفي خارج الديوان غطاء رأس على الطراز المغولي.

أخلاقه وأطواره :

كان حنفي المذهب سليم العقيدة[٦٣]، محافظا على صلاته. وقد أدى في حياته كل ما فاته منها قضاءً. وكثيرا ما يقرأ القرآن بصوت عال. كان مريدا لسيّدي الشيـــخ عُبَيْـــد الله[٦٤]، وشُرِّف كثيرا بمجالسته. وكان سيدنا الشيـــخ يدعوه وهو يحادثـــه بكلمـــة "يـــابني". كمـــا كـــان يجيـــد القـــراءة والكتابـــة.

---

[٦١] أي السلطان أبو سعيد ميرزا جد بابر.

[٦٢] أي أعطى ابنه عمر شيخ ميرزا والد بابر.

[٦٣] سليم العقيدة، يقصد أنه على مذهب أهل السنّة.

[٦٤] عُبَيْد الله أحراري، من مشاهير المشايخ، خرساني الأصل. من مريديه مير على شير نوائي، ومولانا عبد الرحمن جامي. توفي سنة ٨٩٦هـ. ودفن في "سمرقند". انظر، شمس الدين سامي، قاموس الأعلام، ج٤، ص ٢/٣١١٩.

ويقرأ الخمستين[٦٥]، والمثنوى[٦٦] وكُتب التاريخ. وكانت أكثر قراءته في الشاهنامة[٦٧].
كما كان لديه استعداد لقرض الشعر، لكنه لم يهتم بهذا.

كان عادلا عظيم العدل، ومثال ذلك: كانت قافلة خِطاى[٦٨] المكونة من ألف شخص تسلك الطريق، أسفل الجبال في أطراف "أنديجان"، فتساقط فوقها الجليد؛ ولم ينج منها غير شخصين. فلما علم بذلك، أرسل موظفيه وجعلهم يحافظون على ما بها أموال. (٧ب) وحافظ عليها رغم حاجته الماسة إلى المال وعدم وجود ورثة لهذا المال. بل أرسل من يبحث عن ورثة ذلك المال في كل من "سَمَرقَند" و"خُراسان"[٦٩] وأمر موظفيه أن يجدُّوا في البحث عنهم والإتيان بهم، ففعلوا، وسلّم إليهم الأموال سالمة[٧٠] بعد سنة أو اثنتين.

---

[٦٥] الخمستين، هما خمسة نظامى الكنجوى الشاعر المشهور في الأدب الفارسي والمتوفى ١٢٠٥م. وهي خمسة منظومات على نسق المثنوى باسم مخزن الأسرار، وليلى والمجنون، وخسرو وشيرين، وهفت پيكر، وإسكندر نامه. والأخرى هي خمسة أمير خسرو الدهلوى المتوفى عام ١٣٢٠م وهي أيضا خمس مثنويات باسم: هشت بهشت، مطلع الأنوار وآيينه سكندرى، وليلى والمجنون، وخسرو وشيرين. أنظر، عبد النعيم حسنين، نظامى الكنجوى شاعر الفضيلة عصره وبيئته وشعره، مكتبة الخانجى، ط١، ١٩٥٤، ص١٤٥، ١٥٠، ٢٢٥، ٣١٩، ٤٣٢.

[٦٦] مثنوى مولانا جلال الدين الرومى.

[٦٧] الشاهنامه، كتاب الملوك للفردوسى.

[٦٨] خِطاى، وتكتب أيضا خطا. وتطلق على القسم الشمالى من الصين أى منشوريا ومغولستان والمناطق الشرقية من تُركستان، وتضم جزءا من سيبيريا. واسمها في الأصل هو اسم طائفة من طوائف المغول حكموا مغولستان وقسم من الصين في مطلع القرن الرابع الهجرى، العاشر الميلادى. قاموس الأعلام، ج٣، ص٢٠٤٩.

[٦٩] "خُراسان"، إقليم كبير في آسيا الوسطى. كان يعتبر قديما ضمن إيران لكن الآن يقع القسم الغربى منه فقط في إيران، والقسم الشرقى في أفغانستان، وقد ذكر الجغرافيون العرب حدودها بصور مختلفة، فضمت عند البعض ما وراء النهر والجزء الأكبر من أفغانستان وبلوچستان. ويقول ياقوت الحموى إن حدودها السياسية كبرت وصغرت تبعا للتغيرات السياسية. ويقول بابُر في كتابه هذا إن الهنود يطلقون اسم "خُراسان" على كل ما عداهم مثلما يطلق العرب اسم العجم على غير العرب. انظر، قاموس الأعلام، ج٣، ص٢٠٢٩، بابُر نامه ص ١٢٨ب. وكانت خراسان في الماضى تعرف باسم خراسان الكبرى وتضم أربع ولايات هي نيشابور ومرو وهراة وبلخ، وما يتخلل ذلك من المدن. أما الآن فهي إحدى محافظات جمهورية إيران الإسلامية وعاصمتها مشهد. انظر، يحيى داود عباس، سَمَرقَند، ط١، القاهرة ١٩٩٥، ص٤.

[٧٠] جاءت في الترجمة الفارسية "سالمة بغير نقصان". انظر الترجمة الفارسية ص ٦.

كان (**عمر شيخ ميرزا**) سخيا وبذات قدر سخائه، كان طيب الخلق والفطرة، عذب اللسان جميله. كما كان مقداما وشجاعا. فقد استخدم السيف أفضل من الجميع مرتين، مرة على باب "**أخسي**" والأخرى على باب "**شاهرخيه**"، وكان يصيب بسهمه العلامة الوسطى[٧١]. كان قوى القبضة، وما نازله أحد إلا وصرعه بقبضته. وكثيرا ما استبدل الحرب بالسلام والعداء بالصداقة نتيجة طموحه لتوسيع مملكته. أفرط في الشراب في مطلع شبابه، لكنه فيما بعد لم يكن يعقد مجلس (الشراب) سوى مرة أو مرتين في الاسبوع. كان عذب الصحبة، ويردد الأبيات الجميلة في موضعها. أفرط في أخريات أيامه، في تعاطي المعجون[٧٢] حتى يغشى عليه أثناء تعاطيه. كان متواضعا [٧٣] رغم ثرائه. ويلعب الطاولة، والقمار أحيانا.

معاركه :

خاض ثلاث معارك، أولها معركة ضد **يونس خان** في المكان المعروف باسم " **تكه سكريتكو** "[٧٤] على ضفة نهر سيحون، في الجانب الشمالي من "**أنديجان**". (٨ أ) وهذا النهر يجرى ضيقا في سفح الجبل، ويروى أن الماعز كانت

---

[٧١] العلامة الوسطى. يعني أنه كان دقيق التصويب ويمكنه إصابة قلب الهدف.

[٧٢] المعجون، مادة غليظة القوام يدخل في تركيبها الأفيون. شمس الدين سامي، قاموس تركي، ص١٣٧١/٢.

[٧٣] جاء في الترجمة الإنجليزية بدلا من هذه العبارة، عبارة "وكان بطبعه عاطفيا ويحمل الكثير من سجايا العشق". انظر. Annetta Susannah Beveridge, Babur Nama (Memoires of Babur) Translated from the Orriginal Text, Delhi, 1970p 16. وسوف نختصر اسم هذا المرجع فيما بعد إلى "الترجمة الانجليزية".

[٧٤] تكه يعني الماعز، وسكريتكو مشتقة من سكمك الجغتائية بمعنى يتطاير و ينطلق وبذلك يكون المعنى مُنطلق الماعز. انظر. سليمان أفندي البخاري، لغت جغتاى وتركي عثماني. ص١١٠، ص١٨٦. وقد جاءت في الترجمة الفارسية "جته سكرير".

تنطلق من هناك ولذلك أطلق عليه هذا الاسم، وقد انهزم فى هذه المعركة ووقع فى الأَسْر. لكن **يونس خان** أسدى إليه جميلا بأن سمح له بالعودة إلى ولايته. ولأن المعركة حدثت فى هذا المكان، فقد صارت معركة **"تكه سكريتكو"** تاريخا فى هذه الولاية.

والمعركة الثانية، هي تلك المعركة التى حدثت على ضفة ماء آراس[75] فى تُركستان، وكانت ضد **الأوزبك** بعد أن نهبوا ما حول **"سَمَرْقَنْد"**. فقد عبر ماء آراس وكان متجمدا، وانتصر عليهم انتصارا مؤزرا ؛ وأسرهم وأخذ أموالهم، وأعاد كل هذا إلى أصحابه. وما طمع فى شيء منه قَط. أما ثالث المعارك، فهى المعركة التى حارب فيها **السلطان احمد ميرزا**، فى قرية تسمى **"خاص"** وتقع بين **"شاهرُخيّه"** و**"اوراتيبه"**، وقد انهزم فيها.

ولايته :

ولاه والده على ولاية **فَرغانه**. كما كانت **"تاشكَنْد"** و"سيرام" فى حوزته فى وقت من الأوقات. وهاتان الأخيرتان أعطاهما له أخوه الأكبر **السلطان احمد ميرزا**. ثم أخذ(**عمر شيخ ميرزا**)**"شاهرُخيّه"** بالحيلة، وجعلها فى قبضته فترة من الزمن. وفى الأيام الأخيرة كان فى يده ولاية **"فَرغانه"** و**"خُجَنْد"** و **"اوراتيبه"**. واسمها الأصلى **"أُسْروشَته"**[76] ويسمونها أيضا **أُسروش**[77]. وانتُزعت منه

---

[75] ماءآراس، يخرج من شرق الأناضول ويجرى ليصل حتى حوض بحر الخزر. ويبلغ طول مجراه ١٠٥٩ كيلو متر.

[76] أُسْروشَته، جاءت فى الترجمة الفارسية على شكل "سروسنه"، ص٦.

[77] أُسروش، جاءت فى الترجمة الفارسية على شكل "استروس"، ص٦.

"تاشْكَنْد" و "شاهرُخِيَّه" . وبعضهم لا يعتبر خُجَنْد من فَرغانه .

(٨ب) أرسل السلطان احمد ميرزا الجُند إلى "تاشْـكَنْد" ضد المُغـول لكنه هُزِم على ضفاف ماء "جير". وكان حافظ بـك[٧٨] دولداى فى "اوراتيبه" فأعطاها إلى عمر شيخ ميرزا ، ومنذ ذلك الوقت و"أسروشنه" تحت إدارته .

أولاده :

بقى للميرزا ثلاثة أولاد وخمس بنات. وكنت أنا ظهير الدين محمد بـابُر، أكبر أبنائه. أمى هى "قُتْلُق نكار خانم "[٧٩]، وابن آخر له هو "جِهانكير مـيرزا"[٨٠] وكان أصغر منى بعامين. وأمه فاطمة سلطان من نسل أمراء الجند من المُغـول. وابنه الثالث هو " نـاصر ميرزا "[٨١] ؛ وأمـه جاريـة اندِجانيـة تدعى أُميـد . وكان أصغر منى بأربع سنوات. وأكبر بناته هى شقيقتى البيكَم[٨٢] خوانزاده[٨٣]. وكانت أكبر منّى بخمس سنوات.

عندما أخذتُ "سَمَرْقَنْد " فى المرة الثانية[٨٤]، جئت ودافعت عن قلعتها لمدة

---

[٧٨] كلمة بك لقب تركي يطلق علي النبلاء وبعض الأمراء والقواد وأصحاب النفوذ. أنظر، شمس الدين سـامي، قـاموس تركي، ص ٢/٢٩٧.

[٧٩] وتنطق خانم، وهي تأنيث لكلمة خان، هي بمعنى ابنة الخان أو زوجته.

[٨٠] كان جهانكير ميرزا أميرا فى آخسى وكان فى العاشرة من عمره عندما اعتلى بابُر عرش فرغانه، انظر،
Bilâl Yücel,a.g.e.,,s.9.

[٨١] كان ناصر ميرزا أميرا فى كاسان، وكان فى التاسعة من عمره، عندما تولى بابُر عرش فرغانه، انظر،
Bilâl Yücel,, a.g.e., s.9.

[٨٢] البيكَم، وتكتب بالعربية بيجوم، وهي مؤنث كلمة بك التركية وتعنى الأمير، بينما يرى جوستاف لوبون أنها تكتب بيغَم، محرفة عن لفظ بي غَم أى التى لا ترى الغم وهو لقب يطلق على المرأة فى حرم الأمير، وهو لفظ شـائع فى الهنـد. انظـر، جوستاف لوبون، حضارات الهند، ط١، ١٩٤٨، ص٤٣٣.

[٨٣] خوانزاده، وكتبها بابُر احيانا خانزاده بهذا الشكل الذى تنطق به.

[٨٤] كان ذلك فى سنة ١٥٠٠م =٩٩٦هـ.

خمسة أشهر، رغم هزيمتى فى **سربول**[٨٥]. ولم أجد عونا قط من السلاطين والأمراء الذين فى الأطراف والجوار، فملأنى اليأس وتركتها. وفى تلك الفترة وقعت (شقيقتى) **البيكم (خوانزاده)** فى يد **محمد شيبانى خان**، وأصبح لها ولدا منه يدعى **خُرَّم شاه**. وكان ابنا مقبولا. وأعطاه[٨٦] ولاية "**بلخ**"[٨٧]. (٩أ) وبعد أن مات والده بسنة أو سنتين، انتقل هو أيضا إلى رحمة الله. وكانت **البيكم خوانزاده** هناك[٨٨] عندما انتصر **الشاه اسماعيل**[٨٩] على **الأوزبك** فى "**مرو**"[٩٠]، فعاملها معاملة طيبة مراعاة لى، وأرسلها إلىّ فى "**قوندوز**"[٩١]. كانت عشر سنوات قد مضت لم نلتق خلالها أنا و**محمد كوكلتاش**. وذهب كلانا لرؤيتها ولم تعرفنى **البيكم** ولا من حولها، إلا بعد أن نطقتُ باسمى.

واحدة من البنات هى **البيكم مهربانو**، وهى شقيقة **ناصر ميرزا**، وأكبر منى بسنتين. و**البيكم شهربانو** أيضا، كانت أيضا أختا شقيقةً **لناصر ميرزا**. وكانت أصغر منى بثمان سنوات. (وابنة) أخرى هى **البيكم يادكار سلطان**؛

---

[٨٥] انهزم بابر أمام شيباق خان فى سربول سنة ١٥٠١م=٩٠٦هـ. انظر وقائع تلك السنة من بابر نامه.

[٨٦] يقصد شيباق خان.

[٨٧] بلخ، مدينة مشهورة من أجل مدن خراسان، وأذكرها خيرا وأوسعها غلة. ويقال لجيحون نهر بلخ. معجم البلدان، ج٢، ص ٢٦٣، وتقع بلخ فى القسم الشمالى من أفغانستان بين كابل وبخارى وتبعد عن كابل ٥٠٠كم، وعن بخارى ٥٢٠كم. قاموس الأعلام، ج٢، ص١٣٤١. وترجع أهمية بلخ إلى موقعها الوسط فهى تقع على أبعاد متساوية من الحدود الغربية والشرقية والشمالية والجنوبية لمنطقة إيران الشرقية ذات الحضارة العريقة. بارتولد. تركستان، ص١٦١.

[٨٨] يقصد فى بلخ.

[٨٩] يقصد الشاه اسماعيل الصفوى.

[٩٠] انتصر الشاه اسماعيل الصفوى على "شيبانى خان" الأوزبك عام ٩١٤هـ=١٥٠٨م ودخل هراة ومرو وخضعت له جميع "خراسان".

[٩١] أضافت الترجمة الفارسية فى هذا الموضع عبارة "والحق أن الشاه اسماعيل كان شهما للغاية". انظر الترجمة الفارسية، ص٦.

وكانت أمها جارية تسمى **أغا سلطان**. وابنة أخرى هي **البيكم رقية سلطان** التي يطلقون عليها اسم **البيكم قراكوز**؛ وأمها هي **البيكم مخدوم سلطان**. وكلاهما ولدت بعد موت **الميرزا**[92]. وقد تربت **البيكم يادكار سلطان** في كنف **البيكم يسان دولت** جدتي لأمي. وقد وقعت **البيكم يادكار سلطان** في يد ابن **حمزه سلطان**[93] ويدعى **عبد اللطيف سلطان**، عندما استولى "شَيْبانيْ خان". على "أنديجان" و" أخسي". ولحقت بي عندما انتصرت في ولاية **خُتلان**[94] على السلاطين الذين كانوا تحت رياسة **حمزة سلطان** واستوليت على **حِصار**[95]. وفي فترة النزاعات هذه وقعت **البيكم رقية سلطان** في يد **جاني بك سلطان** (٩ب) وأصبح لها ولد أو اثنان؛ لكنهما ماتا. والآن علمنا بانتقالها إلى رحمة الله.

نساؤه وجواريه :

(من نسائه) **قتليق نكار خانم**، وهي الابنة الثانية **ليونس خان**، والأخت الكبيرة **للسلطان محمودخان والسلطان أحمدخان**.

وينحدر **يونس خان**، من نسل **جغتاى خان** الابن الثاني **لجنكيزخان**. **ويونس خان** هو ابن **ويّس خان بن شير على أوغلان بن محمد خان بن**

---

[92] الميرزا، يقصد والده عمر شيخ ميرزا.

[93] حمزة سلطان، هو الزوج الثاني للطيفة بيكم زوجة السلطان أحمد ميرزا عم بابر.

[94] خُتلان، جاءت في الترجمة الفارسية جيلان، انظر الترجمة الفارسية ص ٦. أما ختلان فتقع فيما وراء النهر بين "سَمَرْقَنْد" وحصار، قاموس الأعلام ج٣، ص٢٠٢٢/٢.

[95] حِصار، اسم مدينة وأيضا منطقة جبلية في الجنوب الشرقي من "سَمَرْقَنْد" وتبعد مسافة ٣٨٠كم من جنوب شرق بخارى، قاموس الأعلام، ج٣، ص ١٩٦١. وتقع حصار اليوم في اوزبكستان. كما أن كلمة حصار في التركية تعني القلعة.

خضرخوجه خان بن توغلق [96] خان بن ايسان بوغاخان [97] بن دوواخان بن باراق خان بن ييسون تاوا بن موتوغن [98] بن جغتاى خان بن جنكيزخان.
ومادام الحديث يتصل بالخانات، فلنذكر باختصار أحوال الخانات أيضا.

سيرة يونس خان :

يونس خان وإيسان بوغاخان، هما ابنا ويَس خان. وأم يونس خان هى ابنة أو حفيدة الشيخ نور الدين، أحد وجهاء الأتراك القبجاق [99]. كان (هذا الشيخ) يحظى بحماية الأمير تيمور [100]. انقسمت الأمة المغُولية بعد وفاة ويَس خان، إلى فرقتين؛ أخذت إحداهما جانب يونس خان، والأخرى وهى الأغلبية أخذت جانب إيسان بوغا خان. وقبل ذلك أخذ ألُغ بك [101] ميرزا، الأخت الكبيرة ليونس خان، لعبد العزيز ميرزا [102]. وبتلك المناسبة فإن "ايرزن" (١٠أ) وهو من رؤساء العشرة آلاف فى بارين، و "ميرك توركمان"

---

[96] طوغلق،جاءت فى الترجمة الفارسية توغلوغ، انظر الترجمة الفارسية ص٦.

[97] ايسان بوغاخان، جاءت فى الترجمة الفارسية آيس بوغان خان، انظر الترجمة الفارسية ص٦.

[98] موتوغن، جاءت فى الترجمة الفارسية مواتوكان، انظر الترجمة الفارسية ص ٦.

[99] الأتراك القبجاق: الأتراك الذين يقطنون القبجاق وهو اسم نهر يهبط من جبال هندكوش إلى المكان الذي يلتقي فيه نهر "اندرآب" "مع نهر" قيزيل إيرماق "أى النهر الأحمر بين سلسلة جبال أورال ويجرى نهر الفولجا. وتوجد بعض القبائل منهم تسكن جنوب غرب سيبريا فى خيوه وبخارى وخوقند. قاموس الأعلام، ج٥، ص٣٥٩٩.

[100] الأمير تيمور، يقصد تيمور لنك.

[101] ألُغ بك، هو ابن شاهرُخ ميرزا بن تيمورلنك كان واليا على "سَمَرْقَنْد" فى حياة والده. كان مولعا بالعلوم خاصة علم الفلك وله زيج ومرصد ومدرسة فى سَمَرْقَنْد . وكان متبحرا أيضا فى علم القراءة وسائر العلوم الشرعية. وبعد وفاة والده شاهرخ ميرزا خلفه ألُغ بك على العرش التيمورى وصارت له ما وراء النهر كلها، لكن ابنه عبد اللطيف ميرزا عزله وسجنه ثم قتله وكان ذلك فى العشر من رمضان عام ٨٥٣هـ= ١٤٤٩م. وقد وصف بأنه بحر العلم والعقل، مسند الدنيا والدين، انظر بابُر نامه ورقة ٥٠ أ. وأيضا،حربى سليمان، المرجع السابق، ص٢١/١.

[102] ،عبد العزيز ميرزا، هو الابن الثانى لألُغ بك بن شاهرخ بن الأمير تيمور. ويعنى أنه زوّجها له.

وهو من رؤساء العشرة آلاف فى جيراس ، جاءا بالخان مع شعب مُغولى يبلغ ثلاثة أو أربعة آلاف عائلة، إلىَ ألُـغ بك ميرزا بغيـة تلقى العـون (منـه)، واستعـادة (السيادة على) الشعب المغـولى مـرة أخرى. لكن الميـــرزا لم يُظهر (نحوهـم) إنسانيـة ؛ فأسَرَ فريقا منهم، وفرّق الآخرين فـى ولايات مختلفـة. وصـارت هزيمة إيرزن هذا، تاريخا لدى الشعب المغُولى. ثم أرسلوا الخان إلى العـواق، وبقى فى تبريز[103] أكثر من عام. كان حاكم تبريز فى ذلك الوقت هو جيهانشاه البـارانى من القـره قويونلى[104] . ثم جـاء من هنـاك إلى شــيراز[105]، وكان بها إبراهيـم سلطان ميـرزا الابن الثـانى لشـاهرُخ ميرزا. ومات إبراهيـم ميــرزا بعد خمسة أو ستة أشهر، وحل محله عبد الله ميــرزا[106] . والتحق الخـــان بخدمته وأمضى فى " شيراز " وفى الولايات الكائنة فى ذلك الجانب، سبعة عشر أو ثمانية عشر عاما .

انتهز " إيسان بوغا " فرصة صراع ألُغ بك مــيرزا وأولاده، وهـاجم ولاية فَرغانه. فوصل "كندبادم "، واستولى على "أنديجان "، وأسر أهلها جميعا .

---

[103] تبريز، واحدة من أكبر وأشهر مدن إيران، وهي مركز منطقة آذربيجان، وتقع على حافة سهل واسع يمتـد حتـى الساحل الشرقي من بحيرة أرميه على مسافة ٤٨٠ كم شمال غرب طهران. قاموس الأعلام، ج٣، ص ١٦٢٣.

[104] القره قويونلى، ومعناها أصحاب الشاة السوداء، وهي واحدة من الدول التركمانية الـتى ظـهرت بعـد خـروج تيمورلنك. أسسها قره يوسف التركمانى سنة ٨٠٩هـ =١٤١٣م وحكمت لمدة ٦٣ سنة فى مناطق آذربيجـان والعـراق وبحر قزوين. وحكم منها اربعة حكام هم قره يوسف بن محمد، ثم ابنه مير إسكندر، ثم ميرزا جهانشاه بن قره يوسف وآخرهم حسن علي بن جهانشاه. قاموس الأعلام ج٥،ص٣٦٤٢.

[105] شيراز مركز إقليم فارس وأجل وأشهر مدن إيران. وهي مدينة تجارية، وإليها ينتسب كثير من أدباء وشعراء الفـرس أمثال سعدى الشيرازى،وحافظ الشيرازى،وأبو إسحاق الشيرازى. قاموس الأعلام، ج٤، ص٢٨٩٥.

[106] عبد الله ميرزا، هو ابن ابراهيم بن شاهرخ، وصهر أولغ بك.

بعد اعتلاء السلطان أبوسعيد ميرزا العرش[107]، أرسل جيشا وانتصر على إيسان بوغاخان نصرا مؤزرا فى اسفرا فى الجانب الآخر من "ينكى" فى "مغولستان". (١٠ب) ولدفع هذه الفتنة، جاء السلطان أبوسعيد ميرزا بيونس خان من "العراق" و"خراسان"، وتزوج بالسيدة الأخت الكبيرة (ليونس خان) التى كانت متزوجة سلفا من عبد اللطيف ميرزا. وأقيمت الأفراح، وتصادقا. وعينه خانا على الشعب المغولى وأرسله إلى هناك.

فى هذه الأثناء، وصل أمراء العشرة آلاف وهم من "ساغريجى"، إلى "مغولستان"، يشكون من إيسان بوغا خان. وكان شيرحاجى بك هو أكبر أمير فى "ساغريجى" آنذاك. وجاء معهم يونس خان وتزوج البيكم "إيسان دولت" ابنة شيرحاجى بك. ورفعوا الخان والبيكم إيسان دولت على لباد أبيض حسب عادة المغول وأعلنو يونس خانا (للمغول). وأنجب يونس خان من هذه البيكم ثلاث بنات. أكبرهن ميهرنكارخانم، وقد زوجها السلطان أبوسعيد ميرزا لابنه الكبير السطان احمد ميرزا ولم تنجب منه. ثم وقعت فى فترة الفتن فى يد "شيبانى خان"[108]. ثم تركت "سمرقند" ومعها شاه بيكم، إلى "خراسان" ولحقتا بى أثناء وجودي فى كابل. فلما حاصر "شيبانى خان"، ناصر ميرزا فى قندهار[109] وذهبتُ إلى "لامغان"، ذهب "ميرزا خان"، والبيكم شاه وميهر

---

[107] اعتلى السلطان أبو سعيد ميرزا العرش سنة ٨٥٥هـ.

[108] كان ذلك سنة ٩٠٥هـ = ١٥٠٠م.

[109] فى هذه الواقعة، انظر وقائع سنة ٩١٣هـ من بابر نامه.

نكارخانم، إلى بدخشان. لكن المغيرون من أتباع أبوبكر الكاشغرى، قطعوا الطريق على "ميرزاخان" أثناء توجهه إلى قلعة ظفرمبارك شاه، (١١أ) فوقعت البيكم شاه ومهرى نكار وكل العائلات المرافقة لهما فى الأسر. وقد ودعتا هذه الدنيا الفانية وهما فى ذلك الأسر الظالم.

وابنته الثانية، هى أمى قتليق نكارخانم. وقد قاستنى أكثر أيام الحروب والفتن. وانتقلت إلى رحمة الله فى عام تسعمائة وأحد عشر [١١٠] بعد استيلائى على كابل بخمسة أو ستة أشهر.

والابنة الثالثة، هى خوب نكارخانم، وقد أعطوها لمحمد حسين جورجان دوغلت [١١١]،وانجبت منه بنتا وولدا، وقد تزوجت ابنتها من عبيد خان [١١٢]. وكانت هناك(فى سمرقند) عندما استوليت على "بخارا" و"سمرقند" [١١٣]. فلما جاء عمها سيد محمد ميرزا إلينا فى سمرقند، مبعوثا من عند السلطان سعيد خان، ذهبت معه وتزوجت السلطان سعيد خان. ولها ابن هو حيدر ميرزا [١١٤] جاء والتحق بخدمتى لمدة ثلاث أو أربع سنوات، بعد مقتل والده على يد الأوزبك، ثم استأذن وذهب إلى الخان فى كاشغر.

---

[١١٠] يقابل عام ١٥٠٥م.

[١١١] دوغلات. نسبة إلى إحدى القبائل المغولية المتحركة وكانوا يحكمون فى منتصف القرن الرابع عشر مساحة شاسعة تضم بالإضافة إلى تركستان الصينية، فرغانه والجزء الشمالى من يدى صو حتى بحيرة ايش كول. بارتولد،تاريخ الترك، ص٢١٨.

[١١٢] عبيد خان: هو ابن السلطان محمود خان.

[١١٣] كان ذلك فى عام ٩١٧هـ-١٥١١م.

[١١٤] حيدر ميرزا، هو محمد حيدر ميرزا كوركان دوغلات (٩٠٥-٩٥٨هـ/١٤٩٩-١٥٥١م) زوج خالة بابر شاه خوب نكار خانم ومؤلف تاريخ رشيدى.

كل شيء، ذهبا كان، أو فضة
أو قصديرا، لابد وأن يعود لأصله"[115].

ويقولون أنه قد تاب[116] الآن، وسلك طريقا قويما، وأصبح ماهرا في كل شيء؛ كالخط والرسم واستخدام السهم والرمح والقوس. (١١ب) ولديه أيضا استعداد للشعر. وقد أرسل إلي بعضا من أشعاره وإنشاؤه لابأس به.

كانت "البيكم شيله" واحدة من زوجات يونس خان. ورغم أن له زوجات أخريات، إلاأن هاتين السيدتين هما من أنجبا أولاده. والبيكم شاه هي ابنة شاه سلطان محمد، شاه بَدَخشان.

ويُروى أن نسب شاهات بَدَخشان هؤلاء، يصل إلى الاسكندر فيلقوس[117].

وابنة أخرى لهذا الشاه،وهي الأخت الكبرى للبيكم شاه. أخذها السلطان أبوسعيد ميرزا، وأنجب منها أبوبكرميرزا. وأنجبت هذه البيكم شاه من يونس خان ولدين وبنتين أكبرهم السلطان محمد خان، وهو أصغر من الثلاث بنات السابق ذكرهن[118].

ويدعونه أحيانا في "سَمَرقَند" وفي تلك النواحي بـ "خان ايكا خان"[119].

كان السلطان أحمد خان الذي اشتهر باسم "آلجاخان"، أصغر من

---

[115] هذه الأبيات بالفارسية. وهذاه الأبيات في الأصل وردت مكتوبة باللغة العربية في كتاب حيدر ميرزا المسمى "السوار سُهيلي"، انظر الترجمة الإنجليزية، ص٢٢/٣.

[116] يقصد بالتوبة أنه عاد إلى مذهب أهل السُّنة، حيث إن بابر يسمي المذهب الشيعي "العقيدة الفاسدة". انظر، بابر نامه ورقة ٦٨ب.

[117] الاسكندر فيلقوس: يقصد الإسكندر المقدوني.

[118] يقصد بنات دولت بيس بيكم.

[119] ايكا أو ايكم، كلمة جغتائية بمعنى صاحب أو مُربي، انظر، سليمان افندي البخاري، نفس المرجع ص٥٤/٢..

السلطان محمود خان. وسبب شهرته باسم "آلجا"، هو أنهم فى لغة القلماق"[١٢٠] والمغُول، يقولون على القاتل "آلجا". وقد أطلقوا عليه هذا الاسم لأنه انتصر عدة مرات على القلماق، وذبح كثير من الرجال. ولكثرة استخدام هذه التسمية، صار اسمه آلجا. وسيأتى ذكر هذا مرة أخرى فى موضعه عند الحديث عن هؤلاء الخانات، وعندئذ سنذكر وقائعهم وأحوالهم.

(١٢أ) سلطان نكارخانم، وكانت أصغر من الآخرين"[١٢١]، وأكبر من بنتها الأخرى. وقد أعطوها للسلطان محمود ميرزا، وأصبح لها منه ابنا اسمه سلطان وَيْس سيأتى ذكره فى هذا التاريخ. وبعد موت السلطان محمود ميرزا، أخذت ابنها، وذهبَت سرا إلى أخيها الكبير فى تاشكند، وبعد عدة سنين أعطوها لأديك سلطان وهو من سلاطين القزاق"[١٢٢]، وينحدر من نسل جوجى الابن الأكبر لجنكيزخان. وعندما انتصر "شيبانى خان"[١٢٣] على الخانات واستولى على تاشكند وشاهرخيه، هربَتْ مع اثنى عشر مُغوليا كانوا فى خدمتها، وذهبَت إلى "اديك سلطان"[١٢٤]. وأنجبَت منه ابنين، أعطوا إحداهما إلى سلطان"[١٢٥] من

---

[١٢٠] القلماق أو القالموق اسم لقوم من جنس المغول كانوا يعيشون فى ذلك الوقت فى مغولستان منتشرين فى الأراضى الواسعة الممتدة من حدود الصين والتبت إلى مجرى نهرى الدون والفولجا. قاموس الأعلام ج٥، ص٣٥٥٧.

[١٢١] الآخرين، يقصد أصغر من أخويها السلطان محمد خان و السلطان أحمد خان.

[١٢٢] القَزاق، أو القازاق وتكتب أيضا قزاق وقزاق، بمعنى حليق اللحية. ويطلق على نوع من العسكر الهاجمين وكانوا يتميزون بأنهم بغير لحى. ويطلق هذا الاسم أيضا على فريق من الأوزبك انشقوا عن قومهم وسموا من أجل ذلك قازاق وهم نوع من العسكر المغيرين وكانوا يسكنون السهوب بجوار تاشكند،انظر، شمس الدين سامى، قاموس تركى، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٦٨/٣، و. بارتولد، تاريخ الترك مرجع سبق ذكره، ص٢٤١. الترجمة التركية، ج٢، ص ٥٠٠.

[١٢٣] شَيْبانى خان، هو نفسه شيباق خان المذكور فى هذا النص.

[١٢٤] اديك سلطان، أحد سلاطين القازاق وينحدر من نسل جوجى أكبر أبناء جنكيزخان، أنظر، الترجمة التركية، الملاحق، ص٤٧٠/٢

الشيبانيين، والأخرى إلى رشيد سلطان ابن السلطان سعيد خان. ويقولون إن قاسم خان (حاكم) شعب القَزاق أخذها بعد "اديك سلطان". ولا يوجد بين خانات وسلاطين القَزاق من سيطر على هذا الشعب مثل قاسم خان. وكانوا يقدّرون عدد جنوده بحوالى ثلاثمائة ألف. وبعد موته، عادت الخانم إلى السلطان سعيد خان في كاشْغر.

وهناك بنت أخرى أيضا هي دولت سلطان خانم، وكانت أصغرهم. وقعت لتيمور سلطان (١٢ب) ابن "شَيْبَاق خان" بعد هزيمة تاشكند وأنجبت منه بنتا. كانت (وابنتها) قد خرجتا معي من سَمَرْقَنْد وأقامتا في ولاية بَدَخشان لمدة ثلاث أو أربع سنوات، توجهتا بعدها إلى السلطان سعيد خان في كاشْغر.

اولوس أغا[١٢٦]:

إحدى نساء عمرشيخ ميرزا، وهي بنت خوجه حسن بك. أنجبت منه بنتاً ماتت في سن صغيرة. وبعدعام ونصف، أخرجوا أولوس أغا من الحريم.

واحدة منهن؛ هي فاطمة سلطان أغا من أمراء العشرة آلاف المُغول.

---

[١٢٥] سلطان هنا بمعنى أمير. وكان أبناء الخانات من المغول والأوزبك يلقبون بلقب سلطان، و في هذه الحالة يأتي لقب سلطان تاليا للاسم، مثل تيمور سلطان، ابن شيباق خان الأوزبكي، وعُبَيْد سلطان بن محمود خان. كما كان لقب سلطان يسبق أيضا أسماء السيدات من نساء المغول مثل، سلطان نكار خانم بنت يونس خان. أما السلاطين الحكام من المغول والتيموريين فيأتي لقب سلطان قبل الاسم مثل السلطان محمود ميرزا، والسلطان محمود خان.وكما تبين من بابر نامه ورقة ١٩٣أ وغيرها.

[١٢٦] كان من عادة بابر في كتابه هذا أن يسترسل في بعض التفاصيل الدقيقة ثم يعود بعد ذلك إلى الموضوع الأساسي. وبابر هنا كان يتحدث عن سيرة والده شيخ عمر ميرزا ثم رأى أن يكتب عن الخانات وأحوالهم وهم أهله من ناحية أمه قتلق نكار خانم، وبعد أن استرسل بابر في الحديث عن الخانات وتاريخهم كما ذكر في ورقة ٩ب رجع بابر مرة أخرى إلى الموضوع الأساس الذي كان يتناوله وهو الحديث عن نساء والده عمر شيخ ميرزا.

كان **الميرزا** قد أخذ **فاطمة سلطان أغا** هذه قبل الجميع. ثم أصبحت **البيكم " قراكوز "**[١٢٧] التى أخذها فيما بعد هى المفضلة لديه. ولكى تروق للميرزا جعلوا نسبها متصلا بـ " **منوجهر ميرزا** "، الأخ الأكبر **للسلطان أبوسعيد ميرزا**.

إماؤه :

ومن كثيرات أيضا . إحداهن كانت "**أميد أغاجه** " وقد ماتت قبل **الميرزا** . و" **تون**" المغولية، وهى من اللاتى أخذهن **الميرزا** فى أواخر أيامه، وأخرى هى "**أغا سلطان** " .

أمراؤه :

من أمرائه **خداى بردى تيمور طاش**، وهو من نسل شقيق "**آق بوغا بك**" حاكم "**هراة** "[١٢٨] . وعندما حاصر **السلطان أبوسعيد ميرزا**، "**جوكى ميرزا**"[١٢٩] فى **شاهرخيه**"[١٣٠]، أعطى ولاية " **فرغانه** " إلى **عمر شيخ ميرزا**، وعين

---

[١٢٧] **قراكوز بيكم** ،بمعنى السيدة ذات العيون السوداء.

[١٢٨] **هراة**، وتكتب أيضا هرى. هي مدينة هامة وعاصمة من عواصم "خراسان " فى شمال غرب أفغانستان الحالية على الساحل الشرقي لنهر "هرى "أو "هريرود ". انظر، النرشخى، تاريخ بخارى، ص ١٠٦/١. ويقول عنها ياقوت الحموى، لم أر بخراسان عند كونى بها سنة ٦٠٧هـ مدينة أجل ولا أعظم ولاأفخر ولا أحسن ولا أكثر أهلا منها. فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات كثيرة محشوة بالعلماء ن ومملوءة بأهل الفضل والثراء.(معجم البلدان، ج٨، ص ٤٥٦). وقد ازدهرت فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين فأصبحت من مراكز العلم والفن (خاصة فى زمن السلطان حسين بايقرا التيمورى). ومنها خرج كثير من العلماء والأدباء وأهل الفن ممن يلقبون بالهروى. ومنهم مولانا عبد الرحمن الجامي ومير علي شير نوائي وقد عاصرا بابر وورد ذكرهما فى كتابه. إلى جانب عدد كبير من الفقهاء والأدباء والفنانين الذين ترجم لهم بابر فى الجزء الخاص بكابل من كتابه هذا وهو بصدد الترجمة للسلطان حسين بايقرا. انظر، بابر نامه،ورقة ١٦٨أ وما بعدها.

[١٢٩] **جوكى ميرزا**،حفيد أ ولغ بك ميرزا من ابنه عبد اللطيف ميرزا.

[١٣٠] **شاهرخيه**،قصبة على نهر سيحون بالقرب من خجند أسسها تيمور لنك باسم ابنه شاهرخ. قاموس الأعلام ج٤،

خداى بردى تيمورطاش أيضا حاجبا له. (١٣أ) وكان **خداى بردى تيمورطاش** آنذاك فى الخامسة والعشرين. وكانت إدارته وطريقته فى تسيير عمله ممتازتان رغم صغر سنه. وعندما أغار" **إبراهيم بيكجك**"[١٣١] على نواحى " **أوش**" بعد سنة أو اثنتين، خرج **خداى بردى تيمورطاش** فى أعقابه وحاربه؛ لكنه هُزم واستشهد. كان **السلطان احمد ميرزا** في ذلك الوقت، موجودا فى هضبة تسمى "**آق قاجغاى** " فى "**اوراتيبه** " على مسافة عشر فراسخ"[١٣٢] شرق "**سَمَرقَند** ". أما **السلطان أبوسعيد ميرزا**، فكان فى "**باباخاكى** " فى شرق **هراة** باثنى عشر فرسخاً. وقد نقلوا هذا الخبر إلى **الميرزا** عن طريق " **عبد الوهاب شقاول** "[١٣٣]. فقطع هذا الطريق البالغ طوله مائة وستة وعشرين فرسخا فى أربعة أيام.

حافظ محمد بك دولداى:

وهو الأخ الأصغر لـ "**أحمد حاجى بك**"، ابن **السلطان ملك الكاشغرى**. وقد أرسلوه (**إلى عمر شيخ ميرزا**) بعد موت **خداى بردى بك**، ليكون حاجب أعظم[١٣٤] لديه.

ص٢٨٣٧.

[١٣١] **إبراهيم بيكجك** اخو ايوب بيكجك أحد أمراء السلطان محمود ميرزا والوصى على ابنه "باى سُنقُر ميرزا ".

[١٣٢] عشر فراسخ، مسافة تساوى خمسين كيلو مترا.

[١٣٣] عبد الوهاب شقاول، أحد أمراء المغول، عمل لدى عمر شيخ ميرزا ثم السلطان أحمد ميرزا، الترجمة التركية، الملاحق ص٤٤٠.

[١٣٤] حاجب أعظم، وردت فى النص الأصلى "اشيك اخبار" و هذا اللقب يُطلق على الحاجب فى تركستان، الترجمة التركية، ص٦٠٦، يعادل لقب حاجب بزرك لدى السلاجقة وهو لقب الحاجب الأعظم وكان يشرف على سير الأمور فى البلاط، وينظم الاتصال بين الناس والسلطان. انظر، عبد النعيم حسنين، سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية، ط١، القاهرة ١٩٧٠، ص١٦١.

وبعد موت السلطان أبوسعيد ميرزا لم يستطع أمراء "أندجان " التفاهم معه، فذهب إلى "سَمَرْقَنْد " لملازمة السطان احمد ميرزا، وكان موجودا في "اوراتيبه " وقت هزيمة السطان احمد ميرزا فى "جـير ". (١٣ب) وقد سلم "اوراتيبه " لرجال عمر شيخ ميرزا لدى وصوله إليها وهو فى الطريق إلى سَمَرْقَنْد، ودخل هو نفسه في خدمة الميرزا"[١٣٥] . فأسند إليه عمر شيخ ميرزا إدارة " أندجان ". وبعد ذلك ذهب إلى السلطان محمود خان، فأعطاه "ديزك"، وعهد إليه بإدارة شؤون " ميرزا خان". وقد انتقل إلى رحمة الله وهو فى طريقه من الهند إلى مكة المكرمة، وذلك قبيل استيلائي على كابُل. لم يكن يحب المظاهر، قليل الكلام وبسيط.

الخوجه حسين بك :

كان يعشق الفرح والمظاهر. ويجيد غناء القوشمه"[١٣٦] فى مجالس الشراب حسب عادة ذلك الزمان.

الشيخ مزيد بك :

عُيّن في أول الأمر وصيا عليّ، فكان بارعا في حزمه وإدارته. كما خدم لدى " أبوالقاسم بابُر ميرزا "[١٣٧] . ولم يكن هناك أميرا أكبر منه عند عمر شيخ ميرزا. لكنه كان فاسقا ومولعا بالغلمان.

---

[١٣٥] الميرزا، يقصد عمر شيخ ميرزا.

[١٣٦] غناء القوشمه، نوع من الغناء تتكرر فيه النقرات في غاية المصراع الرابع من كل رباعية.

[١٣٧] أبوالقاسم بابُر ميرزا، أحد الأمراء التيموريين وهو ابن بايسنقر ميرزا بن شاهرُخ ميرزا بن تيمور لنك جلس على عرش خراسان بعد موت عبد اللطيف بن ألغ بك ميرزا لمدة سبع سنوات وتوفى سنه ٨٦١ هـ، قاموس الأعلام، ج٢، ص ١/١١٧٩.

ميرعلي مزيد بك :

وهو من عشائر القوجين [١٣٨] وقد تمرد مرتين، مرة في " أخسي "، والأخرى في تاشكند. كان منافقا، فاسقا، ناكرا للجميل، فاسدا.

ميرحسن يعقوب بك :

كان متواضعا، طيب السجايا، سريع الحركة وذا لياقة، وهذا البيت له :

يا طائرالسعد عد وأقبل، فقد أوشك الغراب أن يحمل عظامي،

بسبب غياب ببغاء حظك [١٣٩]

وكان شجاعا، ماهرا في رمي السهم، ويجيد استخدام الصولجان [١٤٠]. (١٤أ) ثم أصبح "صاحب إختيار" [١٤١] عندي بعد موت عمر شيخ ميرزا. وهو ضيق الأفق، قليل الحيطة، ومثير للفتن.

مير قاسم بك :

وهو من القوجين ومن أمراء الحرب القدامى في " أنديجان ". ثم أصبح " صاحب إختيار" عندي بعد حسن بك. كانت قدرته ومكانته في صعود مضطرد إلى أن وافته المنية. وكان شجاعا. خرج ذات مرة في أعقاب

---

[١٣٨] القوجين، إحدى قبائل الجغتائيين في تركستان، وكانت تطلق على الفريق المميز من الجيش. انظر، الشيخ سليمان افندي البخاري، المرجع نفسه ص٢/٢٣٢. بارتولد، تاريخ الترك، ص٢٢٢.

[١٣٩] البيت مكتوب باللغة الفارسية.

[١٤٠] الصولجان، عصا معقوف طرفها يضرب بها الفارس الكرة، انظر، المعجم الوجيز، ص٢/٣٧٤، وأيضا المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة١٩٧٢، ص ١/٥٢٠.

[١٤١] صاحب إختيار، أي "وزيرا مميزا". فكلمة صاحب عبارة عن لقب يختص به الوزراء في الفارسية،وصاحب اختيار هو المختار أو المنتقى، أو الممتاز أنظرشمس الدين سامي، قاموس تركي ص٣/٨٠، وأيضا،
Ziya Şüklin,Farsça-Türkçe Luğat,Milli Eğitim Basımevi,Istanbul1984, c2. s.135.

الأوزبك عندما نهبوا نواحي " كاسان "، وهزمهم هزيمة منكرة. واستخدم السيف لصالح " عمر شيخ ميرزا ". وحارب ببسالة في حرب " ياسي كجيت "[١٤٢].

في أيام الفتن، عندما قررتُ التوجه من جبال "مسيحا "[١٤٣] إلى السلطان محمود خان، انفصل عنا مير قاسم بك وذهب إلى "خُسرو شاه ". فلما وقع " خُسرو شاه " في أسْرى عام تسعمائة وعشر[١٤٤] وتوجهت إلى كابُل لحصار "مُقيم "[١٤٥]، عاد إلينا "قاسم بك " مرة ثانية، فشملته برعايتي وحمايتي كسابق عهدي معه. وأثناء هجومنا على التركمان الـهَزاره[١٤٦]، في"دره‌ء خوش"[١٤٧]، تقدم " قاسم بك " رغم شيخوخته وقاتل في المقدمة أفضل من الشباب، فكافأته بولاية "بنكش". فلما جئت إلى كابُل فيما بعد، (١٤ب) جعلته وصيا على ابني همايون. وقد انتقل إلى رحمة الله أثناء ضم "زامين داور"[١٤٨]. كان مسلما متدينا تقيا، لا يأكل المشبوه من الطعام. ويقول نكاتا لطيفة.

---

[١٤٢] ياسي كجيت، اسم معبر فوق نهر آيلامش في ولاية فرغانه.

[١٤٣] مسيحا، وتكتب أيضا مسيخا، وتُعا بالجيم المثلثة. اسم جبل شمال نهر زرفشان. وهو أيضا اسم ولاية تقع بين "سمرقند" وخجند تميل ناحية الغرب من سلسلة جبال آق طاغ أي الجبل الأبيض.

[١٤٤] يقابل عام ١٥٠٤–١٥٠٥م.

[١٤٥] مُقيم، هو محمد مُقيم أرغون، ابن ذو النون أرغون أحد أمراء "السلطان حسين ميرزا" بايقرا في "خُراسان". وهو الأخ الأصغر لشاه شجاع أرغون.

[١٤٦] قبائل الهَزار من القبائل التي عاشت في منطقة كابل وغزنه آنذاك. وكانت هذه المناطق تسكنها قبائل وأجناس مختلفة من فرس ومغول وترك وعرب. ومن هذه القبائل الهَزار. انظر، أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، وحضارتهم، القاهرة، ١٩٥٧، ج٢، ص٦/٢.

[١٤٧] دره‌ء خوش، أو دره‌ء تركمان اسم واد في الجبال الواقعة شمال غرب كابل، الترجمة التركية، الملاحق، ص٤٦٤.

[١٤٨] زامين داور، تقع غرب وسط قندهار إلى مسافة تسعين ميلا، أسفل جبال الهزارة، على الساحل الأيمن من نهر سياه بند، الترجمة التركية، الملاحق، ص ١/٥٧٠.

ميربابا قولى بابا على بـــك :

وهو من نسل الشيخ علـــى بـــهادر. جعلوه وصيا علىّ بعد وفاة الشيخ مزيـــد بـــك. فلما أرسل السلطـــان احمد مـــيرزا، الجيش إلى "آنــدِجان"[١٤٩]، انضم إليهِ وسلّمَه " اوراتيبه ". وبعد موت الســـلطان محمـــود ميرزا هرب من "سَمَرقَنْــد " ليلحق بي ، فخرج له السلطـــان "على ميـــرزا " من " اوراتيبـــه "، وتقاتل معه ، فانهزم وقُتِل. كان جيدا في إدارته وعتاده، وحُسن المحافظـــة على جنوده ، لكنه لايصلى ولا يصوم . كمـا كان ظالمـا، ويبدو كالكافر.

ميرعلى دوست طغـــايى[١٥٠]:

من أمراء مقاطعة "ساغريجى"[١٥١]. ويمت بصلة قُربى لجدتي السيدة "إيســـن دولت بيكَم ". حَظِيَ عندي برعاية تفوق ما حظى به فى زمن عمر شيخ ميرزا. قالوا عنه " إن الأمر معقود عليه "، لكننى لا أجاوز الحقيقة إذا قلتُ إنه لم ينجز ما يستحق الذكر خلال السنوات الطويلة التى قضاها بجانبى. (١٥أ) وعندما التحق بخدمة السلطان أبوسعيد ميرزا ، ادّعى القدرة على جلب المطر بواسطة حجر اليشم[١٥٢]. وكان صيادا للطيور، سيىء الأخلاق والأطوار، حقودا، مثيرا للفتن، عديم

[١٤٩] كان ذلك فى العام الذى اعتلى فيه بابر عرش فرغانه سنة ٨٨٩هـ=١٤٩٤م.

[١٥٠] طغايى، لقب يطلق على من ينتسب بصلة قرابة إلى الأسرة الحاكمة. انظر الترجمة الإنكليزية، ص ٣/٢٧.

[١٥١] ساغَريجى، أحد مقاطعات المغول.

[١٥٢] اليشم، مصطلح عام يشمل مجموعه من المعادن الصلدة التى تتدرج ألوانها من الأبيض تقريبا إلى الأخضر الأدكن، انظر المعجم الوجيز، ص ٢/٦٨٦.

الشرف، منافقا، محتالا، حاد اللفظ، بارد الوجه.

مير وَيْس لاغــرى :

وهو من عشيرة توقجى فى "**سَمَرْقَنْد**". صار من ذوى الحظوة والمكانة لدى **عمرشيخ ميرزا** فى أخريات أيامـه. وكان بجانبى فى فترة الفتن. يحسن التفكير والتدبير، لكن به شىء من حب الفتنة.

ميرغياث طغــايى :

الأخ الأصغر **لعلى دوســـت**. لم يكن بين أمراء **المُغــول** من يتقدّمه لدى **السلطان أبوسعيد ميرزا**. وكان "**مُهْر دار**"[153]. صار من أكثر المقربين إلى **عمـر شيخ ميرزا** فى أخريات أيامه. وكان مصاحباً لـ "**وَيْـس لاغــرى**". عندما أسندت **كاسان** إلى **السلطان محمود خــان**، التحق بخدمته، وقد أحسن الخان رعايته فظل بجانبه إلى أن وافته المنية. كان ضحوك الوجه، مرحاً، لا يتورع عن أعمال الفسق.

مير[154]**على درويــش :**

وهو من "**خُراسان**". عمل لدى **السلطان أبوســعيد مــيرزا** ضمن فرقة "**فتية خُراسان**". فلما آلت "**خُراسان**" و**سَمَرْقَنْد** إلى **السلطان أبوسعيد مـيرزا**

---

[153] مُهْر دار، بمعنى حامل الخاتم. وهو موظف مهمته حمل الخاتم ــ والمقصود هنا خاتم السلطان ــ الذى تختم بـه الأوراق الهامة. وتعتبر من الوظائف الهامة حيث أن هذا الخاتم هو الذى يعطى هذه الأوراق حجيتها، انظر الترجمة التركيـة، الملاحق، ص ٦٢٥، شمس الدين سامى، قاموس تركى، ص١٤٣٧/١.

[154] كلمة "مير" وهى اختصار لكلمة أمير، جاءت فى الأصل، وأغفلتها الترجمة التركيـة ص١٥، والترجمـة الإنجليزيـة ص٢٨. ولم ترد فى أى من الترجمتين مقترنه بأسماء الأمراء.

(١٥ب)، قسّم الفتية الأكفاء على الفرق الخاصة في هاتين العاصمتين ؛ فأطلق على إحداهما اسم "**فتية خُراسان** "، وعلى الأخرى اسم "**فتية سمرقند**" . كان علـــى درويش شجاعاً وقد استبسل في القتال إلى جانبي عند باب سمرقند . كان يجيد كتابة خطيّ النسخ والتعليق، مدّاحاً، وإن غلبت الخِسة على طبعه.

مير قُنْبَر علـــى :

وهو مغولي من سائسي الخيل. أطلقوا عليه اسم "**قُنْبُر علـــى**" السلاخ، لأن والده عند مجيئه إلى الولاية[155]، اشتغل بالسلخ لفترة. واشتغل **قُنـــبُر علـــى** "إبريقجي"[156] لدي **يونس خان**. ثم صار أميراً. وقد حظي عندي برعاية زائدة. كان يتحمّس للعمل في بدايته، وسرعان ماتفتر حماسته ، فيكثر من الكلام ويقول كلاما غير منتظم. ومعروف أن "من يتكلم كثيراً يتعثر كثيراً ". كان محدود الفطنة ، ناقص العقل.

اعتلاء بابُر عرش والـــده :

توفي **عمر شيخ ميرزا** أثناء وجودي في "**جهار بـــاغ** " في "**أنديجـــان**" . وبلغني الخبر هناك في يوم الثلاثاء الخامس من رمضان. فاعتراني حزن شديد وامتطيت الجواد على الفور، وتحركت برفقة رجالي وأتباعي قاصدا القلعة. فلما وصلنا إلى باب الميرزا، أمسك **شيريم تغـــاى** بلجام جوادي، وقادني

[155] يقصد فرغانه.

[156] إبريقجي، بمعنى حامل الإبريق. وهي وظيفة توجد في القصور، وتعني الموظف المسئول عن الإبريق للوضوء، وســائر المشروبات، انظر. قاموس تركي ص ١/٦٦. والترجمة التركية، الملاحق. ص٥٧٥.

ناحية المصلى. وكان يجول بخاطره أنه إذا جاء سلطانا كبيرا مثل السلطان احمد ميرزا، بجيشه الجرار (١٦أ) لابد أن الأمراء سيسلمونني أنا والولاية إليه. أما إذا أخذني[١٥٧] إلى "أوزكند" "[١٥٨]" وسفح "ايل طاغ"، وحدث أن سلم (الأمراء) له الولاية[١٥٩]، عندئذ يكون بمقدوري الذهاب بأي وسيلة إلى خالي "آلجا خان" أو خالي "السلطان محمود خان"، قبل أن أقع في يده.

مولانا القاضي[١٦٠] هو ابن سلطان أحمد قاضي من نسل الشيخ برهان الدين قليج، ويمتد نسبه من ناحية أمه إلى السلطان إيليج ماضي. وقد خرج من هاتين الأسرتين المفتون وشيوخ الإسلام في تلك الولاية[١٦١] وسيتكرر ذكره.

عندما علم مولانا القاضي والأمراء الموجودون في القلعه بمجيئي أرسلوا إلينا "خوجه محمد درزي"، وهو أحد رجال عمر شيخ ميرزا القدامى والوصي على إحدى بناته، وكنا قد اقتربنا من المصلى، فاصطحبني ورجع بي (إلى القلعة)، فبدد بذلك الوساوس التي ملأت خواطر (رجالي). ونزلت بالقلعة.

جاء مولانا القاضي[١٦٢] والأمراء وأقروا الوضع[١٦٣] ثم انشغلوا بتنظيم وتحصين

---

[١٥٧] يقصد شيرم طغاي.

[١٥٨] أوزكند، بلد بما وراء النهر من نواحي فرغانه. ويقال اوزجند وأوزكند. آخر مدن فرغانه مما يلي دار الحرب، لها سور وعدة أبواب، وإليها متجر الأتراك، ولها بساتين ومياه جارية. انظر، معجم البلدان، ج١، ص٣٧٤.

[١٥٩] يقصد أن الجند والأمراء سلموا ولاية فرغانه إلى عمه السلطان أحمد ميرزا.

[١٦٠] اضطررت إلى تقديم هذه الفقرة التي يُعرّف فيها بابر بمولانا القاضي، للمحافظة على سياق المعاني. حيث أن بابر وضع هذا التعريف ضمن الفقرة التالية عقب ذكره لاسم مولانا القاضي، ثم استأنف الكتابة بعده، فانقطع بذلك الموضوع الذى كان يتكلم فيه. ولهذا رأينا أنه من الأنسب تقديم التعريف بمولانا القاضي قبل الخوض في وصف الحدث.

[١٦١] يقصد ولاية فرغانه.

[١٦٢] مولانا القاضي، هو ابن عبد الله سلطان أحمد قاضي. ينتسب من ناحية الأب إلى الشيخ برهان الدين قليج.

أبراج وحوائط القلعة. وبعد يوم أو اثنين، جاء حسن يعقوب وقاسم قوچين وبعض الأمراء الذين أرسلوا إلى مرغينـــان وما حولها فى وقت ســابق وانضموا إلينا. وانشغل الجميع بتحصين القلعة باهتمام وحماس كبيرين.

مجيىء السلطان أحمد ميرزا لانتزاع اندجـان ثـم تراجعـه :

(١٦ب) بعد استيلاء السلطان احمد ميرزا على "اوراتيبــه " و"خجنــد" و"مرغينـان " وماحولها، تقدم إلى "قُبــا "[١٦٤]على مسافة أربعة فراسخ من "اندجان". أثناء ذلك قتل من يدعى "درويش كاو "، أحد أعيان "اندجان"بسبب كلمة غير مناسبة تفوَّه بها، فأخضع بهذا التصرف العنيف أهل "اندجـان "كلهم. وأرسلنا مولانا القاضى وأوزون حسن [١٦٥] وخوجه حسن، سفراء إلى السـلطان احمد ميرزا، برسالة شفهية مفادها :"من المؤكد أنه[١٦٦] سيُعيّن واحداً من رجاله أيا من كان على هذه الولاية[١٦٧]، وأنا من رجاله وابنه فى الوقت نفسه. فإذا أسند إلى هذه الولاية، فسوف يُحل الأمر بشكل أفضل وأسهل ".

وهو من مريدى الشيخ عبد الله أحرارى. وكان أستاذا وشيخا لبابر شاه. انظر، الترجمة التركيــة ص ٤٨٨، وبــابر نامــه ورقة ١٦أ].

[١٦٣] يقصد أنهم بايعوه بالسلطنة.

[١٦٤] وصف الشريف الإدريسى قبا فى القرن السادس الهجرى بأنها "من أنزه بلاد فرغانه وهى مدينة عالية الأسوار حســنة الأقطار كثيرة التجار ... ومدينة قبا بناها انو شروان ووصل إليها من كل بيت قوما وسماها "از هر خانه " أى مـــن كـــل بيت". انظر، الشريف الإدريسى المرجع نفسه، ج١، ص ٥٠٧.

[١٦٥] أوزون حسن، ورد فى هذا النص ذكر شخصيتين تحملان اسم أوزون حسن، وهذا أحدهما وهو من عشائر الشــاة السوداء "القرة قويونلو "وهو الأخ الأكبر لقره بارلاس، وكان يعمل فى خدمة بابر. أما الآخر فهو من الآق قويونلـــو أى تركمان الشاة البيضاء وكان يحكم فى آذربيجان والعراق وتوفى سنة ١٤٨٧م، ولم يرد ذكره فى هذا الكتاب ســوى مــرة واحدة فقط فى (ورقة ١٢٨أ) أثناء الحديث عن بشه بيكم إحدى نساء السلطان محمود ميرزا.

[١٦٦] يقصد السلطان أحمد ميرزا.

[١٦٧] يقصد "اندجان ".

ولما كان السلطان احمد ميرزا، قليل الكلام بسيطا، لين العريكة، لايبتّ فى أمر أو يقطع رأيا أو يتصرف إلا بمشورة أمرائه، فقد استقبل أمراؤه اقتراحى استقبالا فاترا ولم يلتفتوا إليه. ولما كان الله دائما يقضى لى حوائجى بقدرته سبحانه وتعالى وبغير منّة من أحد، فقد اعترضتهم هذه المرة بضع صعاب، ضاقوا بسببها، وجعلتهم يتجرعون الشعور بالندم، فرجعوا بدون أن يظفروا بمرادهم.

من هذه العقبات (التى واجهتهم)، أنه يوجد فى "قُبا" مستنقع ماء أسود، يستحيل اجتيازه من غير الجسر. وقد تجمع فوق هذا الجسر جمعٌ غفيرٌ من الجُند (١٧أ) لاجتياز المستنقع، فانكسر بهم الجسر وسقط غالبية الخيل والبغال فى هذا الماء الأسود، وغرقوا فيه. وتذكروا هزيمتهم فوق جسر "ماجير"[١٦٨] قبل ثلاث أو أربع سنوات، فملأهم التشاؤم. كما تفشى فجأة مرض بين الخيل والبغال، نفقت على أثره. حدث هذا فى الوقت الذى اجتمع جنودنا والأهالى على قلب رجل واحد وهدف واحد وثبات، عاقدين العزم على الاستبسال فى القتال حتى الموت. وفى نهاية الأمر أدركوا[١٦٩] أنهم فى موقف صعب، فأرسلوا "درويش محمد ترخان"[١٧٠] وهم على مسافة فرسخ من "أندجان" (للتفاوض معنا). وخرج حسن يعقوب من القلعة لمقابلته، وعقدا معا ما يشبه الصلح، وانسحبوا على أثره.

---

[١٦٨] عن هزيمتهم عند ماء "جير"، انظر بابر نامه ورقة الظهر، بابرنامه ورقة ١٩ب.

[١٦٩] يقصد السلطان أحمد ميرزا وجنده.

[١٧٠] ترخان، بمعنى المعفى من الضرائب. وكان تمتع أى فرد بالإعفاء من الضرائب يعنى أنه خرج من طبقة دافعى الجزية وألحق بطبقة النبلاء. بارتولد، تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، مرجع سبق ذكره، ص٢٣٨.

حصار السلطان محمود خان "أخسي" ثم تراجعه عنها:

جاء **السلطان محمود خان** من شمال ماء "خُجَنْد" وحاصر "أَخْسِي". وكان بها **جهانكيرميرزا** ومعه **علي درويش بك وميرزا قولي، وكوكلداش، ومحمد باقربك**، وهم من الأمراء، والشيخ **عبد الله اشيك اغا**[171]. وأيضا **وَيْس لاغري وميرغياث طغايي**[172]. لكن هذين الأخيرين لم يطمئنا إلى بقية الأمراء، فتوجها إلى "كاسان" حيث ولاية **وَيْس لاغري**. وكان (أخي) **ناصر ميرزا** في "**كاسان**" لأن **وَيْس لاغري** كان الوصيّ عليه.

لما اقترب **الخان**[173] من "**أخسي**"، سلّمها أمراؤها،(**١٧ب**) وانضموا إليه والتحق **ميرغياث** بخدمته. أما **وَيْس لاغري**، فقد أخذ **ناصر ميرزا** إلى **السلطان أحمد**، الذي سلمه بدوره إلى "**محمد مزيد ترخان**". ورغم أن الخان سبق له أن اقترب من "أَخْسِي"، وخاض عدة معارك، إلا أنها لم تسفر عن شيء. حيث أبلى أمراؤها والفتية الموجودون فيها، بلاءً حسنا. وأثناء ذلك مرض **السلطان محمود خان**، وسأمت نفسه القتال، فرجع إلى ولايته.

محاولة أبو بكر دوغلت الكاشغري[174] الاستيلاء على اندجان :

ظل **أبو بكردوغلت الكاشغري**، يحكم (مستقلا) في "**كاشغر**"

---

[171] **أشيك أغا**، بمعنى آغا العتبة أو الحاجب.

[172] **ميرغياث طغايي**، من رجال عمر شيخ ميرزا والد بابر وقد عرفهما بابر عند حديثه عن أمراء والده. انظر. بابر نامه ورقة ١٥أ.

[173] يقصد خاله السلطان محمود خان.

[174] **أبو بكر دوغلت الكاشغري**، زوج خوانزاده بنت السلطان محمود ميرزا عم بابر، وحاكم كاشغر وختن.

و "**خوتين**" لبضع سنين، دون أن يخضع لأحد . وجاء بدوره طامعا في ولايتي . فاقترب من "**أوزكَنْد**" وشيد قلعة وبدأ في إثارة الفتن والقلاقل في الولاية. عندئذ كلفنا مولانا القاضي وبقية الأمراء بالتصدي له ودَفْعِه. فلما اقتربوا منه، وأدرك الكاشغري عجزه عن التصدي والصمود أمامهم، طلب وساطة مولانا القاضي وتحايل بشتى الطرق حتى استطاع أن ينجُ بنفسه. وقد اشترك معي في كل هذه الوقائع الجسام، من كانوا بجانبي من أمراء وفتية **عمر شيخ ميرزا**، وأظهروا شجاعة وجرأة.

جاءت **السيدة سلطان بيكم** والدة **الميرزا** [١٧٥]، **وجهانكير ميرزا**[١٧٦]، والحرم والأمراء من "**أخسِي**" إلى "**آندجان**" . وأقمنا مراسم الحداد، ووزعنا الطعام على الفقراء والمساكين.

اضطلاع بابُر بمهام ولايته :

(١٨أ) بعد الفراغ من هذه المهام الجسام[١٧٧]، انشغلت بتنظيم الولاية وضبط وربط الجُند . وقررنا إسناد إدارة "**آندجان**" ومنصب الحاجب الأعظم إلى **حسن يعقوب**. وعينّا **قاسم قوجين** أميراً على "**أوش**"، **وأوزون حسن وعلي دوست طغايي**، على "**أخسي**" و "**مرغينان**" . وأعطيت الولايات المناسبة والمناصب والرتب والفِرَق، لأمراء ورجال **عمر شيخ ميرزا** كلٌ حسب مكانته.

---

[١٧٥] يقصد السيدة شاه سلطان بيجم زوجة أبو سعيد ميرزا وأم عمر شيخ ميرزا.

[١٧٦] جهانكير ميرزا، الأخ الصغير لبابر وأمه هي فاطمة سلطان.

[١٧٧] يقصد مراسم دفن والده عمر شيخ ميرزا وجلوسه على العرش ومبايعة رجاله له.

وحددت أماكن تواجدهم.

وفاة السلطان أحمد ميرزا :

مرض السطان احمد ميرزا أثناء تراجعه، وتوفي وهو في الطريق إلى "آق سو" من نواحي "اوراتيبه" بعد أن قطع من الطريق منزلين أو ثلاثة منازل. وقد ودّع هذه الدنيا الفانية، وهو في الرابعة والأربعين من عمره.

مولد السلطان أحمد ميرزا ونسبه :

هو أكبر أبناء السلطان أبو سعيد ميرزا. كان مولده في عام ثمانمائة وخمس وخمسين[178]، أي في نفس العام الذي اعتلى فيه والده العرش. أمه هي بنت أورده بوغاترخان، والأخت الكبرى لـ "درويش محمد ترخان". والزوجة ذات المكانة الخاصة لدى الميرزا[179].

شكله وصفاته :

كان طويل القامة، كث اللحية، أحمر الوجه، بدينا. لحيته تغطي ذقنه فقط، ووجنتاه خاليتان من الشعر. (١٨ب) وكان ممتعا في صحبته، ويلف عمامته أربع أو خمس لفات، ثم يدلي طرفها فوق حاجبه حسب عادة ذلك الزمان.

أخلاقه وسلوكه :

كان حنفي المذهب، نقي العقيدة. يقيم الصلوات الخمس في أوقاتها، ولا

---

[178] هذا التاريخ يقابل عامي ١٤٥١-١٤٥٢م.

[179] يقصد السلطان أبو سعيد ميرزا.

يتركها حتى عندما يشرب (الخمر) . وكان مريدا لمولانا الشـيخ عُبَيْـد الله، وجَمُّ الأدب خاصة في صُحبة الشيخ. وكما يقولون إنه لايغير وضع ساقَيه أثناء جلوسه في مجلس الشيـخ. وحدث ذات مرة أن غيَّر وضعهما على خلاف عادته وبعد أن غادر المجلس، أمر مولانا الشيخ بالنظر في موضع جلوس الميـرزا، فوجدوا قطعة عظم.

كان الميـرزا بسيطا ومتواضعا رغم تنشئته في المدينة. وكان أميا يجهل القراءة وليست لديه موهبة الشعر، وعادلا، ومرافقا لمولانا الشيـخ في كل أعماله. كما كان فقيها في أحكام الشريعة وحل المسائل الشرعية[١٨٠] . صادق العهد والقول، شجاعاً . والواقع أنه لم تتح أمامه الفرصة لينجز عملاً ما بنفسه، لكنهم كما يقولون أظهر شجاعة في بعض المعارك، وكان ماهرا في رمي السهام. (١٩أ) وكثيرا ما يصيب الهدف. ويصيد البط البري بالنبل، وغالبا ما يقذف النبل إلى الطرف الآخر من الميدان، فيصيب الهدف. فلما امتلأ جسمه وصار بدينا، صار يصيد الديوك البرية والسمان الأبيض، ونادرا ما يخطئها. ذلك لأنه كان صيادا بارعا. ولم نرَ بعد أولُغ بك ميرزا، سلطانا بارعا في الصيد مثله. وكان شديد الحياء. ويقولون إنه كان يغطي قدميه حتى في حضور أقاربه المقربين وأصدقائه، بل وهو بعيد عن أعين الآخرين. وإذا بدأ في الشراب، استمر يشرب لمدة عشرين أو ثلاثين يوما متصلة، فإذا ما توقف عن تناوله، استمر لعشرين أو ثلاثين يوما أخرى

---

[١٨٠] الأمر المثير للانتباه أن بابُر يصف عمه السلطان أحمد ميرزا بأنه كان أميا يجهل القراءة، وفي الوقت نفسه يقـول إنه كان فقيها في أحكام الشريعة وحل المسائل الشرعية، ولعل هذا العلم تلقاه سماعا على يد الفقهاء ومن خلال مجالس الشيخ عُبَيْد الله.

لايقرب فيها الخمر. وفي بعض الأحيان يستمر في المجلس ليل نهار لايبرحه. وفي الأيام التي يتوقف فيها عن الشراب، يعتريه السقم ويفقد شهيته. كان يغلب عليه البخل وهو قليل الكلام ولطيف، لكن زمام أموره كان في يد أمرائه[181].

معاركه :

خاض (السلطان احمد ميرزا) أربع معارك: الأولى ضد تعمت أرغـون، الأخ الأصغر للشيخ جمال أرغون في "اقارتوزى "بجوار "زامين"[182]. وانتصر فيها. والثانية ضد عمر شيخ ميرزا في "خواص"[183]، وانتصر فيها أيضا. والثالثة ضد السلطان محمود خان بجوار تاشكند، على حافة ماء "جير". والواقع أنها لم تكن معركة (بالمعنى الصحيح). (١٩ب) فقد تسلل مهاجمو المغول فرادى خلف جنده، واستولوا على بعض متاعهم. وإذ بهذا الجند الغفير ينهزم بدون أي قتال، وبغير مواجهة مع المغول. بل إن أكثر جنده غرق في ماء "جير". والمعركة الرابعة كانت مع "كوكلداش "بجوار "يايلاق". وانتصر فيها.

ولايته :

كانت ولايته في "سمرقند" التي أعطاها له والده (أثناء حياته). ثم أخذ

---

[181] يصف منجم باشي السلطان أحمد ميرزا بقوله: "كان ملكا عاقلا عادلا شجاعا حازما.. قام بحفظ البلاد من الأعداء واستمال الأمراء ببذل المال والمواعيد (يقصد "الوعود) الجميلة"... وفي فترة حكمه "عمرت البلاد واستراح اهلها في أيامه ... وكان ملجأ لكل مظلوم ومرجعا للكل ذي حاجة" انظر. منجم باشي. جامع الدول، ج٢ ورقة ٢٧٠ب، ٢٧١أ.

[182] قال الشريف الإدريسي، إن زامين في طريق فرغانة من سمرقند وهي مدينة عامرة القطر كثيرة البشر حصينة. انظر. الشريف الإدريسي، المرجع نفسه، ج١، ص ٥٠٥.

[183] خواص، قرية بين اوراتيه وتاشكند.

تاشكَنْد وشاهرُخيَه وسيرام بعد مقتل **الشيخ جمال**[١٨٤] على يد **عبـــد القــدوس**. وظلت تلك المناطق تحت إدارته لفترة. ثم أعطى **تاشكَنْد** وسيرام إلى أخيه **عمـــر شيخ ميرزا**. كما ظلت "**خُجَنْد** " و "**اوراتيبه** " تحت حكمه لفترة.

أبناؤه :

كان له ولدان ماتا فى سن صغيرة، وخمس بنات، أربع منهن من السـيدة **قوتوق بيكَم**.

أكبرهن السيدة **ربيعــة سـلطان بيكَــم**، وكانوا يطلقون عليها اسم "**قـــرا كوزبيكُم**"[١٨٥]. وقد أعطاهـا والدهـا إلى **السلطان محمود خــان** وأنجبت منـه غلامـا لطيفـا اسمـه "**باباخان** ". وعندما استشهد الخان فى "**خُجَنْــد**"[١٨٦]، قتل **الأوزبك باباخان**، وعددا من الأطفال فى مثل سنه. وبعد ذلك تزوجت السيدة **ربيعة بيكَم** من **جاني بك سلطان**. (١٢٠)

وابنته الثانية، هى السيدة **صالحه ســـلطان بيكَــم**. وكانوا يطلقون عليها اسم "**آق بيكُم** "[١٨٧]. بعد موت **السلطان أحمد ميــرزا**، أخذهـا **الســلطان محمود ميرزا** لابنه الأكبر "**السلطان مسعود مــــيرزا** ". وأقام لها عرسا. ثم ذهبت إلى **كاشغر** مع السيدة **شاه بيكَم** و**مهر نكار خانم**.

وابنته الثالثة، هى السيدة **عائشه سلطان بيكَــم**. وقد خطبوها لى عندما

---

[١٨٤] الشيخ جمال، يقصد الشيخ جمال ارغون وقد قتله عبد القدوس دوغلات سنة ٨٧٧هـ=١٤٧٢م.

[١٨٥] قرا كوزبيكُم، بمعنى السيدة ذات العيون السوداء.

[١٨٦] كانت وفاة السلطان محمود خان فى خُجَنْد سنة ٩١٤هـ=١٥٠٨م.

[١٨٧] آق بيكَم، بمعنى السيدة البيضاء.

جئتُ إلى "سَمَرْقَنْد "وأنا فى الخامسة من عمرى. فلما جاءت إلى "خُجَنْـد " فى زمن المنازعات والفتن، تزوجتُها هناك[188]. ولما أخذتُ سَـــمَرْقَنْد فى المرة الثانية، أنجبَت ابنتها الوحيدة التى توفيت عقب مولدها ببضعة أيام. ثم انفصلت عنى بتحريض من أختها الكبرى، وذلك قبيل هزيمة تاشكَنْد.

وابنته الرابعة، هى السيدة سلطانم بيكَم. وقد أخذها السلطان "على ميرزا " أولا، ومن بعده تزوجها "تيمور سلطان "، ثم "مهدى سلطان "[189].

وأصغر بناتــه كانت السيـــدة معصومـــه ســـلطان بيكَــم. وأمها السـيدة حبيبة سلطان بيكَم أخـت سلطــــــان أرغـون. وهى من الأرغونيـين. رأيتُهـا عندما جئتُ إلى "خُراسان "، فأعجبتنى وأرسلتُ فى طلبها. ثم استدعيتُها إلى كابُل حيث تزوجتُها وأنجبَت بنتاً. وقد توفيَت أثناء الولادة، فأطلقتُ على البنت اسم أمها.

نساؤه وجواريـــــه :

إحدى نسائه كانت مهرنكار خسانم. التى طلبها له السلـــطان أبوســـعيد ميرزا. وهى أكبر بنات يونس خان. والشقيقة الكبرى لأمى.

(٢٠ب) واحدة أخرى من نسائه كانت من الترخانيين. وكانوا يسمونها السيدة ترخان بيكَم. وأخرى هى السيدة قوتوق بيكَم. وهى أخت من الرضاع للسيدة

---

[188] كان ذلك سنة ٩٠٥هـ=١٤٩٩م.

[189] مهدى سلطان، هو سلطان من الأوزبك. تزوج ابنة السلطان محمود ميرزا وعمل فى خدمته ثم انتقل إلى جانب بابر، ثم انضم فى النهاية إلى شيباق خان الأوزبكى.

ترخان بيكم . وقد أحبها السلطان احمد ميرزا وأخذها لنفسه . وكانت عذبة المعشر، لكنها مسيطرة تماما، وتشرب الخمر . لم يكن السلطان احمد ميرزا يذهب إلى امرأة أخرى سواها أثناء حياتها . وبعد ذلك قتلها ليتخلص من سوء سيرتها .

وأخرى هى السيدة خوانزاده بيكم . وهى من خوانزادة ترمذ . تزوجها السلطان احمد ميرزا عندما جئت إلى "سمرقند" لدى السلطان أحمد ميرزا وأنا فى الخامسة من عمرى، ولم تكن قد رفعت حجابها بعد . وأذنوا لى برفع حجابها حسب التقاليد التركية، فقمت بكشف وجهها .

وأخرى كانت السيدة لطيفة بيكم، حفيدة "أحمد حاجى بك" . وقد تزوجت بعد الميرزا، من حمزه سلطان وأنجبت منه ثلاثة أبناء . ولما انتصرت على السلاطين الذين تحت إمرة حمزه سلطان وتيمور سلطان وأخذت "حصار"، سقط فى يدى هؤلاء الأبناء الثلاثة وعدد من أبناء السلاطين . وقد أطلقت سراحهم

واحدة أخرى هى السيدة حبيبة سلطان بيكم، بنت أخى سلطان أرغون.

أمراؤه :

جانى بك دُلداى :

الأخ الأصغر لسلطان ملك الكاشغرى. أعطاه السلطان أبوسعيد ميرزا إدارة "سَمَرقَند"، واتخذه السلطان احمد ميرزا حاجبا أعظم له. (١٢١) وكان رجلا غريب الأخلاق والأطوار، وتروى عنه حكايات عجيبة، على سبيل المثال أنه

عندما كان حاكما على سمرقند، جاء رسول من عند الأوزبك، وكان رجلا مشهورا بينهم بقوته. والأوزبك يقولون عن الرجل القوى "بوكه". فسأله جانى بك : "هل أنت بوكه ؟. إذا كنت كذلك تعال تصارع". وأخذ يلح على الرجل كى يصارعه، والرجل يرفض. وأمام إصرار جانى بك، صارعه الرجل، واستطاع جانى بك أن يصرعه. فقد كان شجاعا.

أحمد حاجى بك :

وهو ابن سلطان ملك الكاشغرى. أعطاه السلطان أبوسعيد ميرزا إدارة هراة، ثم بوأه مكانة عمه جانى بك بعد وفاته، وأرسله إلى "سمرقند". كان لطيف السجايا، شجاعا. وتخلصه الشعرى "وفائى". له ديوان مقبول من الشعر. وهذا البيت له :

أيها المحتسب، إننى ثمل. دعنى اليوم، وحاسبنى يوم أفيق[190].

عندما جاء "أحمد حاجى بك" من هراة إلى "سمرقند"، كان برفقته ميرعلى شيرنوائى. كما جاء إلى هراة عقب سلطنة أحمد ميرزا[191] ونال منه رعاية كبيرة. وكان أحمد بك يربى أنواعا أصيلة من الخيل (٢١ب) ويركبها، وهذه الخيول على الأغلب خيول رباها بنفسه. كان شجاعا جسورا لايعرف الخوف، لكن قيادته العسكرية ليست في مستوى شجاعته. وكان يترك أهم أعماله إلى رجاله يدبرون الأمر كيفما يشاؤون. وقد انهزم فى حربه مع "بايسنغر ميرزا" فى

---

[190] البيت مكتوب بالفارسية.

[191] كان ذلك عام ٨٧٣هـ=١٤٦٠م.

"بُخارا " ، ووقع في أسر السلطان "علي ميرزا " . واتهموه بقتل درويش محمــــد ميرزا ثم قتلوه بشكل وضيع.

درويش محمد ترخان :

هو ابن "أوردا بوغاترخان " ، وخال السلطانين محمد مـــيرزا ومحمـــود ميرزا. وهو أكبر الأمراء في مجلس الميرزا، وأكثرهم احتراما .كان إنسانا مسلما ودرويشا ، ومنشغلا دائما بنسخ المصحف الشريف. كما كان بارعا في لعبة الشطرنج، وعارفا بعلم الصيد، ويجيد الصيد بالطير. لكنه مات مُهانا بعد أن تقدم به العمر[192] أثناء نزاع باى سنقرميرزا والسلطان "علي ميرزا " .

عبد العلي ترخـــان :

من أقارب "درويش محمد ترخان " المقربين. تزوج أخت درويش الصغرى وهي والدة باقي ترخان. والواقع إن مكانة "درويش محمد ترخان"، تفوق مكانة عبد العلي ترخان في سلم للرتب والأعراف (المغولية) لكن هذا الفرعون لم يلتفت إليه وبقيت إدارة "بُخارا "في يده عدة سنوات (٢٠٢أ) .وبلغ عدد رجاله الذين تحت إمرته حوالي ثلاثة آلاف رجلا، وقد أحسن معاملتهم وقيادتهم. كان يتصرف تصرف السلاطين العظام سواء في منحه العطايا أو تقديمه الهدايا أو كافة أماكن عمله، وولائمه، ومجالسه. كماكان قديرا في إدارته لكنه ظالم وفاسق ومتكبر. صحيح أن "شيباني خان "كان ملازما له ، دائم الحضورفي معيته لكنه لم يكن من رجاله .

[192] عن واقعة موته انظر ص١٣٧.

كما كان أغلب الأمراء الصغار من أبناء السلاطين، منضوون تحت لواء **عبد العلى ترخان** الذى كان الوسيلة لصعود نجم "**شيْبانى خان**" وتبوئه لمكانته، وبالتالى أفول نجم الأسر العريقة.

سيد يوسف أوغلاقجى :

كان جده من **المُغول**. وقد ترقّى والده عند **ألُغ بك ميرزا** وزاد قدره. كان يحسن التفكير والتدبير، شجاعا ويجيد العزف على القوبوز[١٩٣]. وكان **سيد يوسف اوغلاقجى** فى معِيّتى عندما جئت إلى **كابُل**، وأوليته رعاية خاصة هو جدير بها. وقد انتقل إلى رحمة الله فى **كابُل**، أثناء حملتى الأولى على الهند[١٩٤].

درويش بك :

من نسل "**ايكوتيمور**" الذى كان موضع رعاية **تيموربك**. وكان مريدا لمولانا **الشيخ** (**عُبَيْد** الله). كان يعرف علم الموسيقى، ويعزف الساز، ويكتب الشعر. **(٢٢ب)** وقد مات غريقا فى "**ماجير**" لدى هزيمة **السلطان احمد ميرزا** عند ساحل "**ماجير**".

محمد مزيد ترخان :

شقيق "**درويش محمد ترخان**" الذى يصغره سنًا. كان حاكما على **تُركستان** لعدة سنوات. وقد انتزعها منه "**شيْبانى خان**". كان يحسن التفكير

---

[١٩٣] القوبوز: آلة موسيقية تشبه العود، قاموس تركى، ص١٠٨٨/٣.

[١٩٤] حملة بابر الأولى على الهند كانت سنة ٩٠٥هـ=١٥٠٥م.

والتدبير، جريئا، وفاسقا . كان في معيتي عندما أخذت "سمرقند" في المرتين الثانية والثالثة، فأسبغت عليه رعايتي. وقد لقي حتفه أثناء حرب "ملك كول"[195] .

باقي ترخان :

هو ابن عبد العلى ترخان، وابن عم السلطان أحمد ميرزا. أسندوا إليه (إدارة)" خُراسان " خلفا لوالده. وارتفع نجمه في عهد السلطان "على ميرزا "، فبلغ عدد رجاله خمسة آلاف أو ستة آلاف رجل. لم يكن مخلصا تماما للسلطان "على ميرزا ". تحارب باقي ترخان مع "شَيْباني خان " في قلعة "دبوسى "[196] وانهزم أمامه[197] . وانتصر: "شَيْباني خان " وواصل تقدمه مظفرا إلى "بُخارا ". واستولى عليها . كان باقي ترخان مغرما بصيد الطيور. ويُروى أنه اقتنى من طيور الصيد سبعمائة طائر. وليس هناك ما يستحق الذكر من أخلاقه وسلوكه. ترعرع وسط فخامة وأُبَّهة الأمراء . وذهب إلى " شَيْباني خان " اعتمادا على ما أسداه والده إلى الخان من أعمال طيبة. لكن "شَيْباني خان " هذا، الجاحد عديم المروءة، لم يلتفت إليه بعين الرعاية

---

[195] حرب ملك كول، كانت هذه الحرب شهر صفر سنة ٩١٨هـ. وقد دارت رحاها بين بابر و عبيد خان الأوزبكي عند موضع كول ملك، وقد خسر بابر هذه الحرب وهرب بعدها إلى كابل. انظر، منجم باشي، جامع الدول، ورقة ٢٧٤أ

[196] قلعة دبوسي،في "سَمَرْقَنْد "وتبعد عنها مسافة سبعة عشر فرسخا عبر طريق كشانية أى حوالى خمسة وثمانين كيلو مترا، ويحسب بناء القلعة (خطأ في أغلب الظن) في القرن الخامس عشر إلى جلال الدين آخر شاهات خوارزم انظر، تركستان، ص ١٨٧ – ١٨٨ وينسب اسمها إلى الشخص الذى بناه ويدعى دبوس، انظر، النرشخي، تاريخ بخارى، ص٢٠/١.

[197] كان ذلك في عام ٩٠٥هـ= ١٥٠٠م.

أو الشفقة ردا لجميل والده. (١٢٣أ) وقد توفى فى ولاية "اَخسى" يائسا ومُهانا.

السلطان حسين ارغــون :

اشتهر باسم السلطان حسين قره كولى بسبب توليه إدارة "قره كــول"[١٩٨] عدة مرات. طيب التفكير والتدبير وكان فى معيتى لفترة طويلة.

قُلىْ محمد بُغــدا :

وهومن عشائر القوجين، وكان شجاعا.

عبد الكريم اَشْــرت :

وهو أيغــورى[١٩٩]. عمل حاجبا لدى السـلطان أحمــد مــيرزا. وكان كريما وشجاعا.

اعتــلاء السـلطان محمــود مــيرزا عــرش " ســمرقند " وســوء حكمه لــها :

بعد وفاة السلطان أحمد ميرزا، اتفق أمراؤه فيما بينهم على دعوة السلطان محمود ميرزا (لاعتلاء عرش سَمَرْقَنْد خلفا لأخيه)، وأرسلوا إليه رجلا عبر طريق الجبل لدعوته. فى الوقت نفسه طالب ملك محمد ميرزا ابن منوجــهرميرزا الأخ الأكبر للسلطان أبوسعيد ميرزا، بالسلطنة لنفسه، فجمع حوله مجموعة من الأوباش

---

[١٩٨] قره كول، تقع فى جنوب غرب "بخارا"

[١٩٩] الأيغور، قوم من الأتراك التتار لهم لغتهم وآدابهم المكتوبة بلغتهم وبالخط الأيغورى. انظر. قاموس الأعــلام، ج٢، ص١١١٠/١.

المسلحين واستقل عن الجيش[200] وتحرك نحو "سمرقند" ولما وصل إليها عجز عن القيام بشيء، بل تسبب (بتصرفه هذا) في مصرعه ومصرع عدد من الأمراء الأبرياء.

بمجرد أن تلقى السلطان محمود ميرزا هذه الدعوة، توجه إلى "سمرقند" واعتلى عرشها بلا منازع. لكن أغلب الناس والجند من مختلف الدرجات الدنيا والعليا نفروا منه وانفضوا من حوله وهربوا بسبب الكثيرمن تصرفاته. أحد هذه التصرفات : أن ملك محمد ميرزا السابق ذكره (٢٣ب)، وهو ابن عم السلطان محمود ميرزا وأيضا وصهره، طرده السلطان محمود ميرزا إلى كوك سراى وبرفقته أربعة من الأمراء (التيموريين)، ثم عفى عن اثنين منهم، وقتل اثنين هما : ملك محمد ميرزا وأمير آخر. ومن هؤلاء الأمراء من لم تكن له أي أطماع في السلطنة، وحقيقة الأمر ان ملك محمد ميرزا كانت له بعض الأخطاء، لكن الآخرين لم يبدر منهم أي جُرم أوخطأ.

كان السلطان محمود ميرزا، جيدا في نظامه وإدارته، عادلا، وعارفا بالشؤون المالية. لكنه ميال للظلم والسفه. بدأ عقب اعتلائه عرش سمرقند في وضع نظم جديدة للإدارة والإنفاق والضرائب. وكان الفقراء والمساكين من قبل، يلوذون برجال مولانا عُبَيْد الله فرارا من ظلم رجال (السلطان محمود ميرزا) واعتداءاتهم. أما الآن، فقد بدأوا في إظهار الشدة والتعدي عليهم، وعلى من يلوذ بحمايتهم. حتى أنهم كانوا يمارسون هذا التعدي وهذه الشدة ضد أبناء الشيخ عُبَيْد

---

[200] يقصد جيش السلطان محمد ميرزا.

الله أنفسهم.

وكان كل رجاله وأمرائه على غراره فى الظلم والفسق. وساروا على نفس منواله ظلما وفسوقا. وكان أهل "حصار"، خاصة أتباع "خسرو شاه"، غارقين فى الشراب والزنا. لدرجة أنه، ذات يوم خطف رجل من هؤلاء الرجال امرأة، فجاء زوجها إلى "خسرو شاه" شاكيا ينشد العدل. (١٢٤أ) فما كان من "خسرو شاه" إلا أن قال له: "إن هذه المرأة معك منذ سنوات، فلتبق معه لبضعة أيام".

وأصبح أهل المدينة وتجارها بل وجنودها يمنعون أبنائهم من مغادرة البيوت خشية أن يؤخذوا وتفعل بهم الفاحشة. وكان أهل "سمرقند" طوال فترة حكم السلطان احمد ميرزا وتبلغ حوالى عشرين أوخمس وعشرين سنة ينعمون بالرفاهية والطمأنينة. وكانت كل أمورهم تحل عن طريق مولانا الخوجه[٢٠١] بما يتفق مع الشرع. (أما فى أيام السلطان محمود ميرزا) فقد تكدرت الأرواح والقلوب من هذا الظلم والفساد، وارتفعت أكفُّ الضراعة، ولهجت الألسن، وتعالى صوت الكبير منهم والصغير والفقير والمسكين، تستنزل عليهم اللعنات وسوء الدعاء.

إياك من ألم القلوب الجريحة، فجرح القلب يظهر فى النهاية.
ولا تفرط فى القسوة على قلب، لأن آهة واحدة
تقلب الدنيا رأسا على عقب"[٢٠٢].

---

[٢٠١] يقصد الشيخ عُبَيْد الله.
[٢٠٢] البيتان مكتوبان بالفارسية وهما لسعدى الشيرازى.

ولم يستمر حكم السلطان محمود ميرزا لأكثر من خمسة أو ستة شهور، من جراء ظلمه وفساده.

*****



وقائع سنة تسعمائه[203]

خيانة حسن يعقوب وموتـــه :

جاء رسول من عند السلطان محمود ميرزا يدعى عبد القـــدوس بـــك، ومعه هدايا من عند السلطان بمناسبة زواج ابنه الأكبر"السلطان مسعود مـــيرزا"، بابنة أخيه الأكبر أحمد ميرزا واسمها "آق بيكـــم "[204]. هذه الهدايا عبارة عن ذهب وفضة ولوز وفستق. وكان عبد القدوس بك هذا يمت بصلة قرابة لحســـن يعقوب[205]. وقد جاء (عبد القدوس) لكى يستميل حسن يعقـــوب إلى جانب السلطان محمود مـــيرزا، واعدا إياه بعدة أشياء(٢٤ب). وقد قابل حســـن يعقوب، (عبد القدوس هذا) بلطف، وأذن له (بالانصراف) وأظهر له ما يعبر عن استجابته. وبعد حوالى خمسة أوستة شهور، تغيرت طباع حسن يعقـوب وأخذ يسئ معاملة رجالى وكل الرجال الآخرين. وبلغ بـه الأمر حتى أراد خلعى من السلطنة، وجعلها لجهانكير ميرزا. كما ساءت علاقته بسائر الأمراء والفرسان.

أدرك الجميع ما يدور بخلد (حسن يعقوب). فاجتمع مولانا القـــاضى، وقاسم قوجين، وعلى دوست طاغايي، وأوزون حســـن، وغيرهم من رجالى الموالين لى. وانعقد هذا الاجتماع عند جدتى السيدة إيسن دولت بيكم وقرروا عزل

---

[203] هذا التاريخ يقابل عامى ١٤٩٤–١٤٩٥م.

[204] آق بيكم، اخها صاحبة سلطان، وتلقب باسم السيدة البيضاء.

[205] حسن يعقوب، هو الحاجب الأعظم لدى بابر فى ذلك الوقت.

حسن يعقوب من منصب الحاجب الأعظم، ووضع حد للفتن التي أثارها .

وجدتي **دولت إيسن بيكم**، امرأة قل أن يوجد مثلها بين النساء. بفكرها وحنكتها . فهي ذات عقل وتدبير، ولها الرأي والمشورة في أغلب الأحوال.

كان **حسن يعقوب** في القلعة، بينما أمي وجدتي لأمي في برج القلعة الخارجية. وتوجهت إلى القلعة لتنفيذ ما تقرر. وكان **حسن يعقوب** قد خرج لصيد الطيور. فلما علم بالأمر، لم يعد إلى القلعة، واتخذ طريقه إلى "**سمرقند**" .

(١٢٥أ) فألقينا القبض على من سانده من الرجال والأمراء، ومن بينهم **محمد باقربك** **والسلطان محمود دلداى**، ووالد **السلطان محمود دلداى** وآخرين. وسمحنا لبعضهم بالذهاب إلى **سمرقند**، وقررنا إسناد منصب الحاجب الأعظم وإدارة "**اندجان**" إلى **قاسم قوجين** .

وصل **حسن يعقوب**، إلى "**كند بادام**" الواقعة على طريق "**سمرقند**" . وبعد بضعة أيام، تحرك إلى "**اخسى** "، وهو يضمر السوء، وجاء إلى ما حول "**خوقان** " . فلما علمنا بالأمر، أرسلنا بعض الأمراء والجند لمهاجمته. وأرسل هؤلاء الأمراء المغيرون عددا من الفتية قبلهم. فلما علم **حسن يعقوب** بأمرهم، سار ليلا إلى هؤلاء الفتية الذين أرسلوا كطليعة (للجند)، وأحاط بهم، وأمطرهم بوابل من السهام. لكن أحد رجال **حسن يعقوب** أصابه بسهم في ظهره، فلقى جزاء وفاقا ما فعله، ولم يستطع منه فرارا .

إذا اقترفت يداك إثما ، فلا تحسبن أنك بمنجى من البلاء

لأن الجزاء حتما من جنس العمل[٢٠٦].

بدأت هذه السنة فى اجتناب الطعام الذى فيه شبهة. واستخدم بحذر (كل شىء) بدءا من السكين والملعقة حتى غطاء المائدة. وقليلا ما كنت أتهاون فى صلوات الليل.

وفاة السلطان محمود ميرزا :

(**٢٥ب**) فى شهر ربيع الآخر، اعترى السلطان محمود ميرزا مرض شديد. وتوفى خلال ستة أيام، وهو فى الثالثة والأربعين من عمره.

مولده ونسبه :

كان مولده فى عام ثمانمائة وسبع وخمسين[٢٠٧]. وهو ثالث أبناء السلطان أبوسعيد ميرزا. وشقيق السلطان أحمد ميرزا.

شكله وصفاته :

كان قصير القامة، خفيف اللحية، بدينا، شكله منفرا بعض الشىء.

أخلاقه وسلوكه :

كان حسن الخلق والسلوك، محافظا على الصلاة، بارعا فى حكمه وانضباطه. خبيرا بحسابات المالية، فلا ينفق درهم واحد أو دينار فى ولايته بدون علمه، لم يقصر أبدا فى نفقات رجاله. وكان مجلسه وعطاياه ومآدبه وموائده، بالغة

---

[٢٠٦] البيت مكتوب بالفارسية وهو من منظومة خسرو وشيرين لنظامى الكنجوى.

[٢٠٧] هذا التاريخ يقابل عام ١٤٥٣م.

الروعة، وكلها تتم وفق قواعد ونظام. وضع نوعا من الترتيب والنظام لايمكن لأحد من جنده وأتباعه أن يتجاوزه مطلقا.

كان في بداية أمره شغوفا بالصيد، ثم أكثر من صيد الصقور. وكان أيضا مفرطا في الظلم والفساد. فيشرب الخمر بلا انقطاع، ويحتفظ بكثير من الغلمان. فما من فتى غرير وجميل في أي مكان من أماكن حكمه، إلا وأتى به بشتى الوسائل. واتخذه غلاما لنفسه. وجعل من أبناء أمرائه، وأمراء أبنائه، (١٢٦أ) بل وإخوته من الرضاع غلمانا. وكان يستخدم في هذا السبيل غالبية أخوته من الرضاع. وشاعت في عهده هذه العادة المشؤومة، فلم يعد هناك رجل بلا غلمان. وكانوا يعتبرون تربية الغلمان نوعا من المهارة. ويعيبون على من لا غلام له. ومن شؤم هذا الظلم والفسق، مات كل أبنائه في سني الشباب. كان يقرض الشعر، وله ديوان. لكن شعره ضعيف وبلا رونق وكان خيرا له أن يكف عن نظم الشعر. وهو رجل فاسد العقيدة، فكان يستخف بمولانا **الشيخ عبيد الله**. كما كان غليظ القلب، قليل الحياء. يلتف حوله عدد من المهرجين الوقحاء، فتبدر منه تصرفات قبيحة ووضيعة وهو في الديوان وعلى الملأ. وكان فاحش القول، ولايمكن فهم كلامه لأول وهلة.

معاركه:

خاض معركتين ضد "**السلطان حسين ميرزا**"[٢٠٨]. الأولى في **استراباد**، والأخرى في مكان يسمى "**جكمسان**" بجوار "**اندخود**"[٢٠٩]. وذهب مرتين إلى

---

[٢٠٨] السلطان حسين ميرزا بايقرا، هو حاكم "خراسان" وهراة وله ترجمة وافية كتبها بابر في كتابه هذا في الجزء الثاني الخاص بوقائع كابل تحدث فيها عن عصره ورجاله بالتفصيل، انظر بابر نامه ص ١٦٣ب وما بعدها.

[٢٠٩] اندخود: في الشمال الغربي من بلخ.

"**كافرستان**"[210] في جنوب "**بدخشان**". وحارب هناك. لهذا يكتبون اسمه في طغراء مراسيمه "**السلطان محمود الغازي**".

ولايته :

(٢٦ب) أعطاء **السلطان أبوسعيد ميرزا**، **استراباد**[211]. وفي[212] **واقعة العراق**[213]، ذهب إلى "**خراسان**". وأثناء ذلك خرج **قنبرعلى بك**[214] على رأس جند الهند بأمر **السلطان أبوسعيد ميرزا** حاكم "**حصار**"[215]، قاصدا **العراق** في إثر **السلطان محمود ميرزا**، ولحق به في "**خراسان**". وما أن سمع أهل **خراسان** صوت "**السلطان حسين ميرزا**"، حتى انقضوا على **السلطان محمود ميرزا**، وأخرجوه منها. فتوجه إلى "**سمرقند**" وانضم إلى **السلطان احمد ميرزا**. وبعد عدة شهور، هرب **سيد بدر** و**خسروشاه** وبعض

---

[210] **كافرستان**، هي المنطقة الجبلية الواقعة في الشمال الشرقي لكابل وتميل ناحية جنوب جبال هندكوه التي تفصلها عن بدخشان. قاموس الأعلام، ج٥، ص٣٨١٣.

[211] كان ذلك في عام ٨٦٤هـ=١٤٦٩م.

[212] جاءت هكذا في النص الأصلي والترجمة التركية ص ٢٧ والفارسية ص ١٨، لكنها جاءت في الإنجليزية " بعد واقعة العراق" ثم أعقبت هذا بقولها (أي بعد وفاة والده)، انظر الترجمة الإنجليزية ص٤٦.

[213] **واقعة العراق**، هذه الواقعة هي أن أبو سعيد ميرزا، اعتلى عرش "سمرقند" بعد أولسغ بيك، بمساعدة الأوزبك. وضم إلى مملكته أجزاء من السند و "خراسان" وسيستان، وامتد ملكه إلى العراق. وهزم التركمان والعجم آذربيجان والمحدر منها إلى العراق. واستطاع أوزون حسن زعيم تركمان الشاة البيضاء "الآق قويونلو" أن يتسلل إلى جبال آذربيجان، فيقطع الإمدادات، لتفشى المجاعة في الجيش بعد ذلك وينفرط عقد الجند، وينتهي الأمر بالسلطان أبي سعيد نفسه إلى الوقوع في الأسر ثم القتل على يد أوزون حسن في شهر رجب من عام ٨٧٣هـ ، انظر خواندامير، حبيب السير، ج٤، ص٥٠-٥١، وأيضا ، الساداتي، نفس المرجع، ج٢، ص٢٨٦.

[214] **قنبرعلي بك** هذا هو أحد رجال السلطان أبو سعيد ميرزا. وهو غير قنبر علي السلاخ أحد رجال بابر.

[215] جاءت هذه العبارة في الترجمة الإنجليزية على النحو التالي: "وفي هذه الأثناء خرج قنبر علي بيك حاكم حصار" انظر الترجمة الانجليزية ص٤٦. واتفقت معه في هذا المعنى الترجمات الفارسية ص١٨ في القول بأن قنبر علي بيك هو حاكم حصار.

الفتية وعلى رأسهم **أحمد مشتاق**[٢١٦] ومعهم **السلطان محمود ميرزا** إلى "**حصار**"، وانضموا إلى **قنبرعلي بك**. ومنذ ذلك اليوم والولايات الواقعة جنوب جبال "**قهقه**" و"**كوهتن**" مثل **ترمذ وجغانيان**[٢١٧] **وحصار وختلان وبدخشان**، حتى جبل "**هندكوش**"، كلها تحت حكم **السلطان محمود ميرزا**. كما آلت إليه ولاية أخيه الأكبر **السلطان احمد ميرزا**[٢١٨]، بعد وفاته.

أبناؤه :

كان للسلطان محمود ميرزا خمسة أبناء، واحدى عشرة بنتا. أكبر الذكور هو **السلطان مسعودميرزا**. وأمه (٢٧أ) بنت "**ميريزرك**" **الرمذي**[٢١٩]. **وبايسنغر ميرزا**، وأمه السيدة "**بشه بيكم**". **والسلطان على ميرزا**"، وأمه أوزبكية من السراري اسمها "**زهره بكي أغا**". و"**السلطان حسين ميرزا**"، وأمه السيدة "**خوانزاده بيكم**" حفيدة "**ميريزرك**" وقد توفي وهو في الثالثة عشر من عمره أثناء حياة والده الميرزا. **والسلطان** "**ويس ميرزا**" وأمه "**سلطان نكار خانم**" بنت **يونس خان**، وهي الأخت الصغرى لأمي. وأخبار هؤلاء الأمراء الأربعة، سترد في هذا التاريخ في موضعها من وقائع الأعوام.

أما البنات فثلاث منهن شقيقات لـ "**با يسنغر ميرزا**". تزوجت أكبرهن

---

[٢١٦] أحمد مشتاق، هو أحد أتباع السلطان محمود ميرزا.

[٢١٧] جغانيان، وتكتب في المصادر العربية صغانيان. انظر، الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ٤٨٩. وهي ولاية قريبة من ترمذ اشتهرت بأنها ولاية معمورة بمياهها وأشجارها ومنها خرج كثير من العلماء ومنهم الإمام الترمذي نسبة إليها، انظر، قاموس الأعلام، ج٤، ص ١/٢٩٥٤.

[٢١٨] يقصد ولاية سمرقند، وكان السلطان أحمد ميرزا سلطانا عليها حتى وفاته عام ٩٠٠هـ= ١٤٩٤م.

[٢١٩] بنت "ميريزرك" الترمذي، اسمها خوانزاده بيجوم كما تبين من بابر نامه ورقة ٢٧أ.

من ملك محمود ميرزا بن منوجهر عم السلطان محمود ميرزا. وخمس بنات أخريات من السيدة خوانزاده بيكم حفيدة ميربزرك. أكبرهن أعطوها لأبو بكر الكاشغرى، بعد وفاة السلطان محمود ميرزا. (٢٧ب) والبنت الثانية هى السيدة "بيكه بيكم ". وقد أخذها "السلطان حسين ميرزا " لابنه حيدرميرزا أثناء محاصرته "حصار ". وهو ابنه من السيدة "بايانده سلطان بيكم "بنت السلطان أبوسعيد ميرزا. من قبيل المصالحة ثم رفع الحصار عن المدينة. والبنت الثالثة هى السيدة "آق بيكم ". والرابعة هى السيدة "آى بيكم " وقد خطبها جانكير ميرزا، عندما أرسله والده عمر شيخ ميرزا على رأس جندد "اندجان " للمساعدة لدى مجيء "السلطان حسين ميرزا " إلى "قوندوز". وكانت هاتان السيدتان فى ترمذ مع أمهما، وقت مجيء باقى جغانيانى إلى ساحل آمودريا وانضمامه إلينا عام تسعمائة وعشر[٢٢٠]. وقد جئن برفقة عائلة باقى جغانيانى. وتزوجت (آى بيكم) من جهانكير ميرزا عند "كساهمرد". وأنجبت بنتا واحدة تعيش الآن فى ولاية "بدخشان " "فى كنف جدتها السيدة "خوانزاده بيكم ".

والبنت الخامسة هى السيدة زينب سلطان بيكم. وقد تزوجتها بعد أن أخذت كابل. نزولا على رغبة والدتى السيدة قتلق نكار خانم، لكن لم نسجم معا. وقد توفيت بعد سنتين أو ثلاث، على أثر إصابتها بمرض الجدرى. وإحدى بناتها السيدة مخدومة سلطان بيكم، الشقيقة الكبرى للسلطان "على ميرزا". وهى الآن فى ولاية بدخشان. وللسلطان محمود ميرزا، ابنان من جارية له.

---

[٢٢٠] هذا التاريخ يقابل عامى ١٥٠٤–١٥٠٥م.

(٢٨أ) إحداهما اسمها رجب سلطان، والأخرى محب سلطان.

نساؤه :

كانت خوانزاده بيكم بنت ميربزرك الترمذى هى كبرى زوجاته وأم "السلطان مسعود ميرزا ". كان الميرزا عاشقًا لها وعندما توفيت غشى الميرزا حزن شديد. وبعدها أخذ حفيدة ميربزرك[٢٢١]، وهى ابنة أخ خوانزاده بيكم هذه، واسمها أيضا خوانزاده بيكم. وأنجب منها خمس بنات وولد.

بشه بيكم :

وهى بنت على "شكربك " من أمراء تركمان "قرا قوينلو" البهارية[٢٢٢]. كانت متزوجة من قبل من "محمدى " ميرزا بن جهانشاه ميرزا من (تركمان) قرا قوينلو البارانية[٢٢٣].

عندما أخذ أوزون حسن[٢٢٤] وهو من (تركمان) "آق قوينلو" آذربيجان والعراق من يد أبناء جهانشاه هذا، لاذ أبناء "شكربك " ومعهم خمسة أو ستة

---

[٢٢١] كان اسمها أيضا خوانزاده بيجم كما تبين من بابر نامه ٢٧أ.

[٢٢٢] القره قويونلو البهارية، هي واحدة من طوائف القره قويونلو وكانوا قد استولوا على قلعة بهار فنسبوا إليها وسطروها فى همدان. وبعد سقوط دولة القره قويونلو، لجأ أمراء هذه الطائفة إلى "خراسان"، والتحقوا بخدمة الأمراء التيموريين، وكان لهم دور فى الفتن التى نشبت بين هؤلاء الأمراء. ثم استقروا فى "خراسان"، واشترك قسم منهم مع بابر فى حملته على الهند. أنظر فاروق سومر، قراقوينلو، ترجمة وهاب ولى، طهران ١٣٦٩، جلد اول ص٢٧-٢٨.

[٢٢٣] قرا قوينلو البارانية، اسم أسرة من القره قويونلو، لا يعرف سبب تسميتهم بهذا الاسم على وجه التحديد، وربما ترجع النسبة إلى اسم شخص أو مكان. انظر، فاروق سومر، نفس المرجع، ص٢٣.

[٢٢٤] أوزون حسن، هو زعيم تركمان الشاة البيضاء "الآق قويونلو" وقد توفى سنة ١٤٧٨م قبل اعتلاء بابر عرش فرغانه ولم يكن له دور يذكر فى هذه الوقائع ولم يرد ذكره فى هذا النص سوى فى هذا الموضع فقط، أما الآخر الذى يحمل نفس الاسم فقد عرفنا به عند ذكره للمرة الأولى وهو الذى سيتردد اسمه فى هذا النص.

آلاف أسرة من تركمان **قرا قوينلو**، بالسلطان **أبوسعيد ميرزا**. ولما انهزم السلطان **أبوسعيد ميرزا**، ظلوا هناك لفترة، ثم دخلوا في خدمة **السلطان محمود ميرزا** لدى مجيئه من "**سمرقند**" إلى "**حصار**". في هذه الأثناء أخذ الميرزا **بشه بيكم** هذه، وأنجب منها ولدا وثلاث بنات.

سلطان نكار خانم :

وقد شرحنا نسبها وذكرناه في وقائع الخانات[225].

السراري والجواري :

(٢٨ب) كان (**السلطان محمود ميرزا**) كثير الجواري والسراري أنجب من اثنتين منهن بنتين سلف ذكرهما[226]. وكانت "**زهره بيكى أغا**" أعلاهن قدرا. وهي من **الأوزبك**. وقد أخذها في شبابه أثناء حياة **السلطان أبوسعيد ميرزا**، وأنجبت ولدا[227] وبنتا.

أمراؤه :

"**خسرو شاه**"؛ أحد أمراء (**السلطان محمود ميرزا**) ؛ **وهوتركستاني** من القبجاق. خدم في شبابه لدى أمراء ترخان وكان قريبا منهم وربما كان غلاما. ثم التحق بخدمة **مزيد بك ارغون** الذي أولاه رعايته بشكل عام. ثم لحق

---

[225] انظر بابر نامه ورقة ٢٦ب.

[226] هما رجب سلطان ومحب سلطان، انظر بابر نامه ص٢٧ب وإن ذكر في ذلك الموضع أن البنتين من جارية واحدة.

[227] الولد هو السلطان "علي ميرزا".

بالسلطان محمود ميرزا أثناء واقعة هزيمة **العـــراق** وحظى برعايته لما أبداه من جهود مفيدة أثناء الطريق. ثم ارتقى عنده رقيا كبيرا، حتى صار لديه أثناء حياة **السلطان محمود ميرزا**، حوالى خمسة آلاف أو ستة آلاف جندي. وكانت الولايات الممتدة من **سيحون** إلى جبال هندكوش كلها تابعة له باستثناء **بدخشان** ولم يتورع عن التهام كل إيرادها .كان سخيا ومضيافا رغم شدة حرصه على المال ؛ فكان يجيد الحصول عليه، وفى الوقت نفسه مسرفا فى إنفاقه. بعد (وفاة) **السلطان محمـــود ميرزا**، ارتفع نجمه وتألق فى زمن أبنائه، وقارب عدد جنده العشرين ألفا. ورغم حرصه على أداء الصلاة وتحرى الحلال فيما يأكل من طعام، إلا أنه كان رجلا فاسدا، فاسقا، أحمقا، ضيق الأفق (١٢٩أ)، جاحدا ومنكرا للجميل. فمن أجل هذه الدنيا الفانية ذات الأيام الخمسة، سمل عينى أحد أبناء ولى نعمته الذى رباه[٢٢٨]، وقتل الآخر[٢٢٩]. فأصبح عند الله عاصيا، وفى أعين الناس منبوذا، عليه اللعنة والبغضاء إلى يوم الدين. ورغم ما فى حوزته من هذه الولايات العامرة، وهذا العدد من الجند المسلحين، لم يخض حربا ضد دجاجة. وهذا ما سوف يأتى ذكره، فى هذا التاريخ.

محمد إيلجى بوغـــه :

وهو من عشائر القوجين. كان شجاعا، وقد لكم **السلطان أبوسعيد مـيرزا** أثناء نزاع معه فى معركة الجزاره أمام باب بلسخ. كان يلازم **المــيرزا** بصفة دائمة ويتصرف **الميرزا** وفق مشورته. ولما حاصر " **المســـلطان حســين مـيرزا** " "

[٢٢٨] سمل عيني السلطان مسعود ميرزا، ابن السلطان محمود ميرزا، انظر بابر نامه ص ١٣٧أ.

[٢٢٩] قتل السلطان "باى سنقر ميرزا"، ابن السلطان محمود ميرزا،انظر بابر نامه ص ١٦٨أ.

"قوندوز"[٢٣٠]، أغار عليه ليلا بعدد قليل من الرجال بغير دروع وذلك مساندة منه لـ "خسرو شاه"، لكنه لم يتمكن من النيل منه"[٢٣١]. فماذا عساه أن يفعل أمام هذا الجيش الجرار. فأرسلوا وراءه من يتعقبه؛ فلم يسعه فى نهاية الأمر إلا أن يلقى بنفسه فى النهر، ليلقى حتفه غرقا.

أيوب:

كان يعمل فى خدمة **السلطان أبوسعيد ميرزا** ضمن فرقة "**فتية خراسان**". اتصف بالشجاعة. كان وصيا على "**بايسنغر ميرزا**"، غريبا فى مأكله وملبسه، محبا للدعابة. وكان **السلطان محمود ميرزا**، يخاطبه بأنه "عديم الحياء". **(٢٩ب)**

ولى:

(٢٩ب) هو الأخ الأصغر **لخسروشاه**. كان يهتم جيدا برجاله وقد تسبب فى سمل عينى "**السلطان مسعود ميرزا**"[٢٣٢]، ومقتل "**بايسنغر ميرزا**"[٢٣٣]. كان سليطا وفاحش اللسان ومغتابا، ومغرورا وضيعا، فاسد الفكر، شديد الإعجاب بنفسه، فلا يرضى قط عن عمل يقوم به أحد سواه. أثناء مجيئه من ولاية "**قوندوز**"، انفصل عن رجال "**خسرو شاه**" بالقرب من "**دوشى**"، وعندما أذنت له (بالانضمام

---

[٢٣٠] انفردت الترجمة الفارسية بترجمة العبارة على النحو التالى: "ولما أمعن السلطان حسين ميرزا فى القتل فى قوندوز". انظر الترجمة الفارسية ص ١٩.

[٢٣١] يقصد النيل من "السلطان حسين ميرزا".

[٢٣٢] فى تفصيل هذه الواقعة، انظر، بابر نامه، ورقة ٥٧ب.

[٢٣٣] فى تفصيل هذه الواقعة انظر، بابر نامه، ورقة ٦٨أ.

إلينا)، إذ به يهرب من خطر الأوزبك، ويأتي إلى أندرآب[٢٣٤] وسيرآب[٢٣٥] ويهاجم العشائر التي في ذلك الجوار وينهبها، ثم يلحق بنا في كابل. وبعد ذلك ذهب إلى محمد شيباني خان، وقطعت رأسه في مدينة "سمرقند".

الشيخ عبد الله برلاس[٢٣٦]:

كان متزوجا من بنت شاه سلطان محمد، التي هي عمة أبو بكر ميرزا والسلطان محمود خان. كان يرتدي الملابس الضيقة جدا. وهو رجل أصيل.

محمود برلاس :

وهو من برلاس نونداك[٢٣٧]. كان أميرا لدى السلطان أبوسعيد ميرزا الذي أعطاه كرمان، بعد استيلائه على ولاية العراق. وعندما تحالف أبو بكر ميرزا، (٣٠أ) ومزيد بك أرغون وأمراء التركمان القرا قوينلو وهاجموا السلطان محمود ميرزا في "حصار"، فلجأ السلطان محمود ميرزا إلى أخيه الأكبر في "سمرقند". لكن محمود برلاس لم يسلم "حصار"، وأبلى بلاء حسنا في الذود عنها. وكان شاعرا وله ديوان.

---

[٢٣٤] أندرآب،وتكتب أيضا أندرآبه، تقع في الجنوب الغربي لبدخشان على سفح السلسلة الرئيسية لجبال هندكوش.بارتولد، تركستان، ص١٤٩. ولها تذاب الفضة وهي مدينة حسنة.معجم البلدان ن ج١، ص٣٤٥. للمدينة نهران أحدهما يسمى أندراب والآخر يسمى نهر كاسان ولها حدائق ومتنزهات وبساتين. انظر، الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٤٨٤.

[٢٣٥] سيرآب، مكان في عمق نهر بزارق في شمال جبال الهندكوش.

[٢٣٦] برلاس، نسبة إلى قبيلة برلاس التي ينتمي إليها الأمير تيمور وكثيرا ما كان أفراد هذه القبيلة يوصفون بأنهم (أخوة تيمور). انظر : و.بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص٢٤٢.

[٢٣٧] نونداك أو نوندك، اسم مكان في شمال ترمذ، ويبعد عن الصغانيان بنسمة أميال، انظر، الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ٤٨٩.

بعد وفاة **السلطان محمود ميرزا**، أخفى "**خسرو شاه**" خبر موته، وامتدت يده إلى الخزائن. وكيف يظل خبر كهذا في طي الكتمان؟! إذ سرعان ما ذاع الخبر وانتشر في المدينة[٢٣٨] كلها. وكان يوم موت **السلطان محمود ميرزا**، يوم عيد كبير لأهل "**سمرقند**". وأراد الجند والناس أن يفتكوا بـ "**خسرو شاه**". لكن "**أحمد حاجي بك**"، وأمراء ترخان، قاموا بتهريبه من المدينة إلى "**حصار**" لإخماد هذه الفوضى. وكان **السلطان محمود ميرزا** أثناء حياته، قد أعطى ولاية "**حصار**" لابنه الأكبر "**السلطان مسعود ميرزا**"، كما أعطى "**بخارا**" إلى "**بايسنغر ميرزا**"؛ لهذا لم يحضرا وفاة والدهما. وبعد "**خسرو شاه**"، أرسل أمراء **سمرقند** و"**حصار**"، رسولا إلى "**ايسنغر ميرزا**" في "**بخارا**"، ليأتي ويعتلي عرش **سمرقند** خلفا لوالده.

هزيمة السلطان محمود خان أمام "بايسنغر ميرزا":

كان "**بايسنغر ميرزا**" وقت اعتلائه عرش السلطنة، في الثامنة عشر من عمره. وفي هذه الأثناء استجاب **السلطان محمود خان** لرأي **سلطان جنيد** (٣٠ب) **برلاس**[٢٣٩]، وبعض أعيان "**سمرقند**"، وجاء بجيشه قريبا من "**كنباي**"[٢٤٠]، مطالبا بعرش **سمرقند**. فخرج له "**بايسنغر ميرزا**" من "**خراسان**" على رأس جيش غفير مجهز. ودارت رحى الحرب بجوار **كنباي**. وكان **حيدركوكلداش**، أهم

---

[٢٣٨] يقصد مدينة "سمرقند".

[٢٣٩] سلطان جنيد برلا، أحد أمراء السلطان حسين بايقرا وزوج شهر بانو بيكم أخت بابر، وعمل أيضا في خدمته.

[٢٤٠] كنباي، مكان بالقرب من "سمرقند".

رجل في جند **المغول** في المقدمة[٢٤١].

ترجل الجند عن جيادهم، وبدأوا في إطلاق السهام. وتقدم إليهم فتية **سمرقند** **وحصار** على ظهور الخيل، مفعمين بالحماسة، فإذ بهؤلاء **المغـــول** الذين يقودهم **حيدربـــك**، يتساقطون تحت سنابك الخيل. ولما رأى بقية الجند مصير هؤلاء، جبنوا عن القتال وحلت بهم الهزيمة وهلك أكثرهم. فأمر **باى سنقرميرزا** بقطع رؤوس أغلب من وقعوا بأيديهم وكانوا كثرة، مما اضطرهم إلى تغيير موضع الخيمة ثلاث مرات.

فتنة ابراهيم ســـارو[٢٤٢]:

في هذه الأثناء، انشق علينا **ابراهيم سارو**، فدخل قلعة **اسفرا**، وأمر بقراءة الخطبة باسم "**بايسنغر ميرزا** ". **وابراهيم سارو** هذا من قوم **مـــانغليغ**[٢٤٣]. كان منذ صغره في خدمة والدي، وارتقى عنده حتى رتبة الإمارة، ثم طرده والدي فيما بعد بسبب ذنب اقترفه.

في شهر شعبان حركنا الجند، بنية دفع فتنة **ابراهيم ســـارو**(٣١أ) وبدأنا حصار **اسفرا** في أواخر الشهر نفسه. وفي ذات اليوم تحرك الجند من تلقاء أنفسهم، واستولوا فوربجيشهم على الحصن الواقع في الطرف الخارجي من قلعة

---

[٢٤١] يقصد مقدمة جيش السلطان محمود خان المغولي.

[٢٤٢] ابراهيم سارو، ويدعى أيضا مانغليغ بك. كان يعمل في خدمة عمر شيخ ميرزا والد بابر، وارتقى لديه، ثم خرج على بابر والتحق بخدمة بي سنقر ميرزا، ابن السلطان محمود ميرزا، ثم عاد إلى بابر مرة ثانية. انظر، بابر نامه، ورقة ٣٠ب، ٣١ب، ٣٨ب.

[٢٤٣] مانغليغ، جاء في الترجمة الإنجليزية أن هذا الاسم ربما يكون مشتقا من كلمة "مان" وتعني رقم ألف فيكون من الجماعة التي تقود الألف مثل كلمة هزاره الفارسية، انظر الترجمة الإنجليزية ص ١/٥٢.

كانت تحت الإنشاء.

أبلى سيد قاسم أشيك أغا في ذلك اليوم بلاء أحسن من كل من معه، بل وتفوق عليهم جميعا في استخدام السيف. فقد أجاد كل من سيد قاسم، والسلطان أحمد تنبل[٢٤٤]، ومحمد دوست طاغايي في استخدام السيف، لكن سيد قاسم انفرد بينهم بدرجة البطولة. ودرجة البطولة، عادة قديمة عند المغول. يحصل عليها المتفوق من الرجال في استخدام السيف في كل عيد أو احتفال. وقد حصل عليها سيد قاسم بدوره في شاهرخيه، وكان ذلك عندما ذهبت لمقابلة خالي السلطان محمودخان.

في اليوم الأول للحرب، استشهد ولي خداي بردي إثر إصابته بسهم زنبركي. كما لقي بعض الفتية حتفهم، وأصيب آخرون كثر، لأنهم حاربوا بغير دروع. وكان في صفوف ابراهيم سارو، رجل ماهر في رمي الزنبرك لم نعرف أمهر منه، وقد استطاع أن يصيب أغلب الجند. وانضم هذا الرجل إلي بعد أن تمكنت من السيطرة على القلعة[٢٤٥].

ولما طال الحصار، أصدرت الأوامر بأن ينشغل (الرجال) جديا بالأعمال اللازمة لإنشاء منصات[٢٤٦] في موضعين أو ثلاثة[٢٤٧]، وفتح ثغرات (٣١ب) في جدار

---

[٢٤٤] السلطان أحمد تنبل، احد الأمراء الخواص عند بابر. وأولاه عنايته ورعايته بما يليق به ويزيد عمن سواه، وارتقى إلى مصاف الأمراء الكبار، ثم انقلب على بابر بعد ذلك، وناصبه العداء، وكان السبب في ضياع فرغانه من يده وخروجه إلى "خراسان". انظر، بابر نامه، ورقة ٥١أ.

[٢٤٥] يقصد قلعة اسفرا.

[٢٤٦] المقصود بكلمة منصة كما في النص الجغتائي "سركوب"، وهو الشيء الذي يقصف الرأس. وفسرته الترجمة الإنكليزية بأنه ارتفاع عن مستوى الأرض مثل حائط المجوم من التراب أو الخشب يمكن منه ضرب الرؤوس التي تظهر أعلى الاستحكامات، انظر الترجمة الإنجليزية ص ٥٣ وجاءت في التركية "إنشاء قلاع صغيرة"، انظر الترجمة

القلعة والسيطرة عليها . واستمر الحصار أربعون يوما ، وفى النهاية أصبح **ابراهيم سارو** عاجزا (عن الصمود) . فى شهر شوال جاء إلينا **ابراهيم سارو** بوساطة **مولانا الخوجه القاضى**، وقد اختار الخضوع لنا وعلق السيف والكنانة فى رقبته[248]، والتحق بخدمتى، وسلم لنا القلعة .

استيلاء بابر على قلعة "خجند ":

كانت "**خجند** " لسنوات طوال،تحت حكم عمر **شيخ ميرزا** . وانتقلت إدارتها أثنا هذه الفترة إلى **السلطان احمد ميرزا**، وكان تراخي القائمين على أمرها سببا آخر لانتقال إدارتها .ونظرا لاننا كنا على مقربة منها فرأينا التوجه إليها . وكان عليها عبد الوهاب شقاوول والد ميرمغول. فلما اقتربنا منها سلم لنا القلعة سلما .

سعي بابر لكسب مودة خاله السلطان محمود خان :

وصل **السلطان محمود خان** فى هذه الأثناء إلى **شاهرخيه** . وكان قد حاصر **اخسى** من قبل. وكما ذكرنا من قبل فقد وصل **السلطان احمد ميرزا** إلى جوار "**اندجان** "[249] أثناء هذا الحصار . وفكرت فى الآتى : " مادامت المسافة بيننا قريبة إلى هذا الحد ، و**السلطان محمود خان** فى مقام أبى وأخى الكبير، فلم لا أذهب إليه وأجالسه عندئذ سيزول ما بيننا من كدر ، وسيكون لذلك أثره الطيب فى

التركية ص ٣٢.

[247] هذه الجملة غير موجودة فى الترجمة التركية ص٣٢.

[248] والكنانة فى رقبته، يعنى بهذا أنه استسلم له.

[249] كان ذلك فى عام ١٤٩٤م . انظر، بابر نامه، ورقة ١٦ب.

نفس كل من يعرف به قريبا كان أو بعيدا " . بناء عليه توجهت إليه و التقيت به في الحديقة التى أقامها **حيدربك** خارج **شاهرخيه** . وكان (**السلطان محمود خـــان**) يجلس[٢٥٠] في خيمة كبيرة مقامة في وسط الحديقة. (١٣٢أ) فلما دخلت الخيمة، انحنيت أمامه ثلاث مرات بتعظيم، فنهض بدوره من مكانه بتعظيم. وتحدثنا سويا و وبعد أن انحنيت له مرة أخرى تأهبا للذهاب، استدعاني إلى جانبه، وأظهر لى الكثير من العطف والمحبة. وبعد يوم أو يومين، تحركت قاصدا "**اخسى**" و"**اندجـان**" من عند ممر "**كندرلك**"[٢٥١] . فلما بلغت "**اخسى**" ، زرت قبر والدى وغادرت **اخســـى** وقت صلاة الجمعة[٢٥٢] . ثم واصلت المسير إلى " **ندجـسان** "،وسلكت الطريق عبر طريق "**بندسالار**"[٢٥٣]، فبلغت **اندجان** بين صلاتى المغرب والعشاء .

طريق "**بندســالار** " هذا طوله تسعة فراسخ[٢٥٤] . ومنطقة "**جكــرك** " التى تشكلت من مهاجري ولاية "**اندجـــان** "، منطقة شديدة الزحام، وهي عبارة عن مقاطعة تضم مايقرب من خمسة أو ستة آلاف أسرة يسكنون الجبال التى بين **فرغانه** و**كاشغر**. وخيولهم وأغنامهم كثيرة. وفى تلك الجبال يربون **القطــاس**[٢٥٥] بدلا من

---

[٢٥٠] يتكلم بابر عن خاله الخان هنا بصيغة الجمع دليل على الاحترام الذى يكنه بابر لخاله الخان.

[٢٥١] كندرلك، ممر فى فرغانه.

[٢٥٢] ويلاحظ هنا أن بابر لم يؤد صلاة الجمعة، ذلك لأن صلاة الجمعة لا تجب على المسافر، وإذا كان نازلا وقت إقامتـها فإن أكثر أهل العلم يرون أنه لا جمعة عليه، لأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يسافر فلا يصلى الجمعة فى سفره. انظـر، سيد سابق، فقه السنة دار التراث، القاهرة، ج١، ص ٢٥٦.

[٢٥٣] اسم موقع على الطريق الموصل بين آخسى واندجان.

[٢٥٤] جاء فى الترجمة الانجليزية "يطلق عليه الناس اسم طريق الفراسخ التسعة ". انظر الترجمة الانجليزية ص٥٥.

[٢٥٥] القطاس، هو ثور برى طويل الشعر يوجد فى التبت فى أواسط آسيا. الياس انطـون الياس، قساموس اليـاس العصرى،دار الياس العصرية للطباعة والنشر، بدون تاريخ، ص٨٤٦/٢.

الثور . والقطاس كثير جداً هنا . ونظرا لوعورة جبال "**جكـرك** " ووقوعها على الحدود، لم يكن لدى أهلها رغبة لدفع المكوس. فأرسلت الجُند إلى **جكرك** تحت إمرة "**قاسم بك**" لجمع الأموال من هناك واحضار بعض لوازم الجُند . فأخذ (من **جكـوك**) حوالى عشرين ألف رأس من الغنم، وألف وخمسمائة جوادا، وزعها على الجُند .

استيلاء السلطان محمود خان علـــى "اوراتيبـــه ":

بعد العودة من "**جكرك**" سار الجُند إلى "**اوراتيبـه** "، (٣٢ب) وكانت تحت إدارة (والدى) **عمر شيخ مـيرزا** لفترة، وخرجت من يده في نفس السنة التى توفى فيها"[٢٥٦] وهى الآن في يد **السلطان "على مـيرزا** "[٢٥٧]، ويحكمها باسم أخيه الأكبر "باى سُنْغُر مـيرزا ". فلما نما خبر (هذا التحرك) إلى علم **السـلطان "على ميرزا** "، خرج إلى جبال **مسيحا وبلغر**، وترك **الشيخ ذوالنون** الوصى عليه في "**اوراتيبه** ". واجتاز **خُجَنْد** . فلما بلغ منتصف الطريق، أرسلنا رجلا يدعى "**خليفة** "[٢٥٨]، رسولا إلى **الشـيخ ذوالنـون** . فلم يردُ ذلك الأحمق الوضيع ردا شافيا، وحبس "**خليفة** " هذا، وأمر بقتله. ولأن **خليفة**، لم يحن أجله بعد، فقد نجا (بنفسه)، وعانى مائة ألف مشقة وعذاب حتى جاء إلينا بعد يومين أو ثلاثة أيام قطعها ماشيا على الأقدام عاريا .

وصلنا إلى جوار "**اوراتيبه** "، فوجدنا الأهالى وقد جمعوا المحاصيل التى

---

[٢٥٦] يقصد عام ١٤٩٤م.

[٢٥٧] **السلطان على ميرزا**، هو إبن السلطان محمود ميرزا عم بابر.

[٢٥٨] **خليفة**، هو نظام الدين على بارلاس، إبن السلطان جنيد بارلاس، وكان نائبا لبابر.

فى المروج (خارج المدينة) بسبب اقتراب فصل الشتاء. لهذا السبب رجعنا بعد عدة أيام إلى "**اندجان**". وبعد عودتنا، سار رجال **الخان**[٢٥٩] إلى **اوراتيبـــــه**، فترك أهل أوراتيبه مدينتهم دون أن يقاوموا. فأعطاها الخان إلى **محمد حســـين كوركان**. وظلت فى يد **محمد حسين كوركان** منذ ذلك اليوم، حتى سنـــة تسعمائة وثمان[٢٦٠].

*****



[٢٥٩] يقصد خاله السلطان محمود خان.

[٢٦٠] هذا التاريخ يقابل عامى١٥٠٢-١٥٠٣م.

وقائع سنة إحدى وتسعمائة[٢٦١]

فى الشتاء ، ساق "السلطان حسين ميرزا "، الجند من "خراسان " إلى "حصار "(١٣٣أ) حتى وصل أمام "ترمذ ". كما جمع "السلطان مسعود ميرزا " جنده لمحاربته، وجاء واستقر أيضا أمام "ترمذ ". فى حين تحصن "خسرو شاه" فى "قوندوز"، وأرسل أخاه الأصغر ولى، على رأس الجند (لمساعدة السلطان مسعود ميرزا) . وقد أمضى كل الأطراف فصل الشتاء على حافة الماء هناك، دون أن يعبروه.

ولما كان "السلطان حسين ميرزا "، سلطانا خبيرا محنكا ومجربا، فقد توجه إلى الجانب الأعلى من الماء فى اتجاه "قوندوز". وأرسل عبد اللطيف بخشى على رأس خمسمائة أو ستمائة من رجاله الممتازين، إلى ممر "كليف"، منتهزا فرصة غفلة الجند الذين فى مواجهته هو[٢٦٢]، وانهماكهم فى الصيد. وإلى أن علم أولئك الجند بالأمر، كان عبد اللطيف بخشى قد اجتاز الممر بالفعل وسيطر رجاله على حافة الماء. فلما علم السلطان مسعود بالأمر، صمم "خسرو شاه "على ضرورة السير مع (أخيه) ولى إلى هناك فورا، لكن السلطان مسعود، تخلى عن السير إلى أولئك الرجال[٢٦٣] الذين عبروا هذا الماء وتراجع ناحية حصار كالمهزوم. وكان ذلك

---

[٢٦١] هذا التاريخ يقابل عامى ١٤٩٥-١٤٩٦م.

[٢٦٢] يقصد جند السلطان مسعود ميرزا.

[٢٦٣] يقصد رجال "السلطان حسين ميرزا"بايقرا.

إما جبنا منه، أو بسبب استجابته لرأى **باقى جغانيانى** الذى كان معارضا لولى"[٢٦٤]

عبر "**السلطان حسين ميرزا**" الماء، وأرسل "**بديع الزمان ميرزا**، وابراهيم حسين، ومحمد ولى بك، و"ذو النون" إلى ارغون، لمهاجمة "**خسرو شاه**". كما أرسل **مظفرميرزا**. (٣٣ب) ومحمد **برندق برلاس** إلى "**ختلان**"، وجاء هو بنفسه إلى "**حصار**". ولدى اقترابه منها، كان الأمر قد صار معلوما لمن فيها. فلم يتمكن "**السلطان** مسعود **ميرزا**" من البقاء في "**حصار**"، وغادرها إلى أخيه الأصغر "**بايسنغر ميرزا**" فى "**سمرقند**" سالكا طريق "**سروطاغ**"[٢٦٥] فى الطرف العلوى من ماء "**كمرود**". كما انسحب **ولى** قاصدا "**ختلان**" فى حين قام **باقى جغانيانى ومحمود برلاس** ووالد **السلطان قوج بك**، بتحصين قلعة "**حصار**".

على أثر هذه الهزيمة، انسحب **حمزه سلطان** و "**مهدى سلطان**". وكانا قد تركا "**شيبانى خان**"، والتحقا بخدمة **السلطان محمود ميرزا** لبضع سنين. انسحبا إلى "**قره تيكين**"[٢٦٦] ومعهما كل رجالهم **الأوزبك** وكذلك **محمود دوغلت**، **والسلطان حسين دوغلت**، وكل **المغول** الذين كانوا فى ولاية **حصار**. فلما علم "**السلطان حسين ميرزا**" بأمر هذا (الانسحاب)، أرسل (ابنه) **ابو**

---

[٢٦٤] **باقى جاغنيانى وولى**، هما أخوى "خسرو شاه" وكانا ضمن أمراء السلطان محمود ميرزا عم بابر، انظر. بابر نامه، ورقة ٢٩أ-ب..

[٢٦٥] **سروطاغ**، يعنى جبل السرو.

[٢٦٦] **قره تيكين**، تقع فى الجنوب الغربى من فرغانه.

المحسن ميرزا، وبعض الفتية إلى أعلى وادى كمرود، يتعقبون السلطان مسعود ميرزا. وأدركوه فور دخولهم الممر، لكنهم عجزوا عن النيل منه"[٢٦٧] .وكان ميرزا بك فرنكباز"[٢٦٨] شجاعا في استخدام السيف .كما أرسل "ابراهيم ترخان" و" يعقوب ايوب " ومجموعة من الجند إلى " قره تيكين "،في أعقاب حمزه سلطان والمغول[٢٦٩]، فأدركوهم في قره تيكين وحاربوهم، وانهزم مهاجموا "السلطان حسين ميرزا "(٣٤أ) ووقع أغلب أمرائهم في أيديهم. ثم أطلق سراحهم بعد ذلك.

لجوء بعض أمراء الأوزبك والمغول إلى بابر:

في شهر رمضان ، جاء "حمزه سلطان " و "مهدى سلطان " و "مامق سلطان "[٢٧٠] بن حمزه سلطان ومحمد دوغلست . الذى عرف فيما بعد باسم محمد الحصارى . والسلطان حسين دوغلبت والأوزبك الذين تحت إمرتهم، والمقيمون في ولاية حصار، والمغول من رجال السلطان محمود ميرزا، جاءوا جميعا إلى "اندجان "طالبين الدخول في خدمتنا .

كنت أجلس مستندا إلى المتكأ حسب عادة التيموريين، فلما دخل حمزه سلطان ومامق[٢٧١] سلطان لمقابلتي، اعتدلت ووقفت احتراما لهما، واستقبلتهما ثم

---

[٢٦٧] جاءت في الترجمة الإنجليزية ص٥٩ "إنهم لم يكونوا أقوياء بالدرجة اللازمة لمثل هذا العمل عندما وصلوا الممر".

[٢٦٨] ميرزا بك فرنكباز، هو من أمراء "السلطان حسين ميرزا "بايقرا.

[٢٦٩] لم ترد كلمة المغول في الترجمة الإنجليزية ص٥٩.

[٢٧٠] مامق سلطان، جاءت في الترجمة الفارسية جاق سلطان، انظر الترجمة الفارسية ص٢٢.

[٢٧١] مامق سلطان،جاءت في الترجمة الفارسية جاق سلطان، انظر الترجمة الفارسية ص٢٢.

أجلستهما القرفصاء عن يميني. وجاء كل المغول الذين تحت إمرة محمد الحصاري وأعربوا عن رغبتهم في الدخول في طاعتنا.

فشل "السلطان حسين ميرزا" في اقتحام قلعة حصار:

جاء "السلطان حسين ميرزا" إلى "حصار" وضرب حصارا حول قلعتها. وانشغل ليل نهار في فتح الثغرات ومهاجمة القلعة وقصفها بالحجارة وإقامة المراجل. ففتح عدة ثغرات في أربعة أو خمسة مواضع. واتسعت الثغرة التي فتحها في الباب الواقع ناحية المدينة. كما فتح الموجودون داخل القلعة فتحة أخرى، فلما وجد (من بداخل القلعة) تلك الفتحة (٣٤ب) سارعوا بإطلاق الدخان عليهم من أعلى. فقام (رجال السلطان حسين ميرزا) بإغلاقها، فاتجه الدخان ناحية حراس القلعة، فلما شارف هؤلاء الحراس على الموت، لاذوا بالفرار. ثم أتوا بالماء وأخذوا يسكبونه بالجرار من فوق القلعة، فأجبروا من دخلها على الفرار من تلك الفتحة. وتسلق عدد من الفتيان الأشداء سور القلعة، وأجبروا الفتية الذين عند الفتحة على الفرار.

ومرة أخرى أقاموا مرجلا شمال مكان الميرزا، وألقوا النيران على القلعة عدة مرات، فدمروا أحد أبراجها. وانهدم البرج وقت العشاء. وأراد بعض الفتية أن يعجلوا بشن الهجوم، لكن الميرزا لم يأذن لهم بسبب حلول الليل. وانشغل من في القلعة بإصلاحها حتى الصباح. وفي اليوم التالي، لم ينشب بينهما قتال. وظل الأمر لمدة شهرين أو شهرين ونصف لايعدو فتح ثغرات أو إقامة قلاع، وإلقاء الحجارة، بدون أن يدور قتال بالمعنى الصحيح.

قتال "خسرو شاه" و "بديع الزمان ميرزا" بسبب "قوندوز":

عندما وصلت الفرقة التي يقودها "بديع الزمان ميرزا" لمحاربة "خسرو شاه" إلى مكان أسفل "قوندوز" بحوالي ثلاثة أو أربعة فراسخ، نظم خسرو شاه كل رجاله وخرج له من " قوندوز" في اليوم التالي، لمحاربته . ورغم هذا العدد الكبير من الأمراء وأمراء الجند والقواد (١٣٥أ) والرجال الذين ضمهم جيش "بديع الزمان ميرزا "، والذي يقارب ضعف جند" خسرو شاه " ولا يقل عن مثلهم مرة ونصف، فقد جبنوا بالتزامهم الحيطة الزائدة وبقائهم في خنادقهم ، في حين كان عدد جند " خسرو شاه " بخيرهم وشرهم وكبيرهم وصغيرهم حوالي أربعة أو خمسة آلاف رجل. وفي سبيل هذه الدنيا الفانية، ورجال غير أوفياء سينتهي أمرهم في يوم من الأيام، مضى " خسرو شاه " في تكوين هذا العدد الكبير من الجند وضم الكثير من الولايات الكبيرة، متخذا من الظلم والضلال شعارا، وارتضى لنفسه كل هذه الآثام والسيرة السيئة. ثم زاد عدد رجاله وناهز العشرين أو الثلاثين ألفا .وأصبحت ولايته تفوق ما لدى سلطانه وما لدى أمرائه. وهذا هو العمل الوحيد الذي نجح في إنجازه طوال حياته. وحقق " خسرو شاه " وأتباعه شهرة واسعة في الشجاعة وقيادة الجيش. أما الذين جبنوا ولم يخرجوا له من الخندق فقد اشتهروا بالجبن والتخاذل، ولاكتهم الألسن.

تحرك "بديع الزمان ميرزا " من مكانه[٢٧٢]، واستطاع أن يصل إلى جبل

---

[٢٧٢] مكانه أسفل "قوندوز"

"آلغو " في "طالقـــان "[٢٧٣] بمشقة كبيرة. في حين ظل خســـرو شـــاه في قلعة "قوندوز"، وأرسل أخاه الأصغر "ولي " مع عدد من خيرة فتيانه إلى "أشـــمك" و "قلولي"[٢٧٤] وسفوح الجبال المجاورة، بغية نقل النزاع إلى خارج "قوندوز".

إلتقى "محب علــــي القورجــي "[٢٧٥] وعدد من الفتيان الشجعان، بهؤلاء الرجال[٢٧٦] عند حافة ماء ختلان (٣٥ب) فهزمهم، وقبض على بعضهم، وقطع رأس البعض الآخر. وفي المرة الأخيرة جاء "سيديم علي دربان " وأخوه الأصغر قولـــي بك وبهلول أيوب وعدد من فتيانه، للثأر لهذه الهزيمة. ودار القتال عند سفح جبل "العنبر " بالقرب من "خوجه جنكـــال "[٢٧٧] في نفس المكان الذي اجتازه جند "خراسان " وأدركهم بعض الرجال من الجانب الآخر، وقبضوا على سيديم علـــي وقول بابا وكل الفتيان الشجعان.

إنتهاء الحرب بالصلح والمصـــاهرة :

علم "الســـلطان حسين مـــيرزا " بهذه الواقعة، ولم يكن جيشه في وضع آمن بسبب أمطار "خراسان "الربيعية لهذا رأى عقد المصالحة. فالتقى الأمراء الكبار ومحمود برلاس نائبا عمن داخل قلعة (حصار)، وحاجي بير بقـــاوول

---

[٢٧٣] طالقان، هكذا في المخطوطة وفي الترجمة الإنجليزية ص ٦٠، وقد جاءت في الترجمة التركية "حديقة طالقان الكبـــيرة" انظر، الترجمة التركية ص ٣٦، وجاءت في الترجمة الفارسية "طالخان" انظر، الترجمة الفارسية ص٢٣.

[٢٧٤] قلولي، جاءت في الترجمة الفارسية قلول، انظر الترجمة الفارسية ص٢٣.

[٢٧٥] محب علي القورجي، هو أحد رجال "خسرو شاه" و"قورجي هو اسم مغولي يطلق علي الشخص الذي يقـــوم بحمل السهام والأقواس. انظر، فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ، القاهرة ١٩٨٠، ص ٣٥٩..

[٢٧٦] يقصد رجال "بديع الزمان ميرزا" ابن السلطان حسين بايقرا.

[٢٧٧] خوجه جنكال، تقع شمال طالقان بأربعة عشر ميلا علي نهر طالقان..

نائبا عمن خارجها . وجمعوا كل ما لديهما من مغنيين وموسيقيين، وزوجوا بنت **السلطان محمود ميرزا** الكبرى وابنة السيدة **خوانزاده بيكم**، إلى **حيدر ميرزا**، ابن السيدة **بائيه سلطان بيكم**، حفيدة بنت **السلطان أبوسعيد ميرزا ترخان**. ثم تحرك "**السلطان حسين ميرزا** "من عند **حصار**، قاصدا "**قوندوز**". فلما بلغها، انشغل بحصارها مستخدما شيئًا من السياسة[٢٧٨] . وفى النهاية توسط بينهما[٢٧٩] "**بديع الزمان ميرزا** "، فتصالحا وتبادلا الأسرى (١٣٦أ) ورجع كل منهما من حيث أتى.

كان مجيء "**السلطان حسين ميرزا** " مرتين إلى "**حصار** " وفشله فى أخذها، سببا فى استفحال أمر **خسروشاه**، وتجاوزه الحد فى تصرفاته.

لما جاء"**السلطان حسين ميرزا** " إلى **بلخ**، أعطاها إلى (ابنه) "**بديع الزمان ميرزا** "، كما أعطى ولاية "**استرآباد** " التى هى ولايته، إلى (ابنه الثانى) **مظفر حسين ميرزا**، حتى يستتب السلام والأمن فى ولاية ما وراء النهر. على أن يتبع الاثنان مجلسا واحدامشتركا **لبلخ واسترآباد**. وهذا ما أغضب "**بديع الزمان ميرزا** " وتسبب فى إثارة العداوة والفتنة بينهما لعدة سنوات.

تمرد الترخانيين فى "سمرقند ":

فى شهر رمضان من العام نفسه تمرد الترخانيون فى "**سمرقند** ". وسبب ذلك أن "**بايسنغر ميرزا** "كان وثيق الصلة بأمراء وفرسان "**حصار**". فى حين لم

---

[٢٧٨] جاءت فى الترجمة الإنجليزية "حفر عددا من الخنادق". انظر الترجمة الإنجليزية، ص٦١.

[٢٧٩] بينهما، يقصد بين السلطان حسين بايقرا و"خسرو شاه".

تكن علاقته بأمراء وفرسان سمرقند،بنفس الدرجة. وكان له صديق كبير اسمه "الشيخ عبد الله برلاس"، فتوثقت صلة أبنائه (بالميرزا)، وربطت بينهم وبين الميرزا أخوة عميقة، حتى صاروا يشبهون صلة العشاق والمعشوقين. وأثارت هذه العلاقة الحميمة، البغضاء بين أمراء ترخان وبعض أمراء سمرقند. بناء على ذلك جاء "درويش محمد ترخان "من " بخارا "، وجاءوا بالسلطان "على ميرزا "من "قارشى " إلى "باغ نو "[٢٨٠]، وأعلنوه سلطانا (فى سمرقند). وأخذوا باى سنقر من "باغ نو " إلى القلعة مجردا من رجاله وخدمه، وكأنه أسير. (٣٦ب)

هروب "باى سنقر ميرزا ":

أعلنوا الأميرين حاكمين فى مكان واحد. وفكر (الترخانيون) فى نقل "بايسنغر ميرزا " إلى "كوك سراى " عند صلاة العصر[٢٨١]. و دخل "بايسنغر ميرزا " تكية فى الطرف الشمالى من "بستان سراى "[٢٨٢] بحجة الوضوء ودخل معه محمد قولى قوجين وحسن شربتجى بينما ظل الترخانيون واقفين بالباب. وتصادف أن كان الباب الخلفى للمكان الذى دخله الميرزا للوضوء، مغطى بالقرميد وبه باب يوصل إلى الخارج. فكسر(الميرزا) هذا الباب وخرج من جسم القلعة الواقع ناحية "غاتفر " متتبعا طريق الماء. وألقى بنفسه من فوق جدار مرتفع،

---

[٢٨٠] باغ نو، يعنى الروضة الجديدة،وهى إحدى حدائق سمرقند.

[٢٨١] نقله إلى كوك سراى أى قصر السماء، يعنى الإشارة إلى قتله. فكما ذكر بابر أن"كوك سراى واحدة من التكايا الكبيرة التى ابتناها تيمور بك فى قلعة "سمرقند".وكان لهذه التكية سمة غريبة، فإذا اعتلى أحد أبناء تيمور العرش على أثر تمرد، فإنه يعتليه هناك. وإذا قطعت رأسه بسبب نزاع، فإنها تقطع هناك حتى صار القول بأنهم نقلوا الأمير المسئول إلى كوك سراى، كناية عن قتله. انظر، بابر نامه، ورقة ٣٧أ.

[٢٨٢] بستان سراى، يعنى قصر البستان.

وذهب إلى منزل "خوجه كا خوجه"[٢٨٣] فى "خوجه كفشير"[٢٨٤]. ولم يتبين الواقفون بباب الميضأة أمر هروب الميرزا إلا بعد فترة.

وفى صباح اليوم التالى، توجه الترخـــانيون فى جمع غفير، إلى منزل "خوجه كا خوجه " لكنه رفض أن يسلم لهم الميرزا. ولم يتمكنوا من أخذه عنوة، فمكانة الشيخ المرموقة تحول دون استخدامهم القوة. وبعد يوم أو يومين اجتمع خوجه أبو المكارم، و"أحمد حاجى بـك "، وبعض الفتية والفرسان، وكل أهل المدينة[٢٨٥] وباغتوا الترخانيين بهجمة رجل واحد .(١٣٧أ) وأخذوا "بايسنغر مـــيرزا " من منزل الخوجه، وحاصروا "على ميرزا " والترخانيين داخل القلعة. وعجز الموجودون داخل القلعة عن الدفاع عنها ليوم واحد . وخرج "محمد مزيد ترخـــان " من باب "جار راه "[٢٨٦] وذهب إلى "بخارا ". بينما قبضوا على السلطان "على مـــيرزا " و "درويش محمد ترخان ".

كان "بايســنغر مـــيرزا " فى منزل حـــاجى بـــك عندما جاء الناس بـ "درويش محمد ترخـــان " إليه. فسأله[٢٨٧] عدة أسئلة، فلم يجب عنها جوابا شافيا، وكل ما قاله إنه لم يقم بمثل هـذا العمل، وأمر به أن يعدم فعلقوه على العمود بسبب وهنه. لكن أيتركونه معلقا على العمود بهذه الصورة ؟! وأعدموه. كما طرد

---

[٢٨٣] خوجه كا خوجه، يقصد أكبر أبناء الشيخ عبيد الله وكنيته أبو المكارم ولقبه شمس الدين..

[٢٨٤] خوجه كفشير، مكان بجوار سمرقند.

[٢٨٥] يقصد مدينة سمرقند.

[٢٨٦] جار راه، الشكل المخفف لكلمة جهار راه. بمعنى الطرق الأربعة.

[٢٨٧] "باى سنقر ميرزا" سأل درويش محمد ترخان مثير الفتنة.

السلطان على ميرزا "إلى **كوك سراى**، وأمر بسمل عينيه.

كوك سراى واحدة من التكايا الكبيرة التى ابتناها **تيمور بك** فى قلعة "**سمرقند**". وكان لهذه التكية سمة غريبة هى أنه إذا اعتلى أحد أبناء تيمور العرش على أثر تمرد، فإنه يعتليه هناك. وإذا قطعت رأسه بسبب نزاع، فإنها تقطع هناك أيضا. حتى صار القول " إنهم نقلوا الأمير الفلانى إلى كوك سراى " كناية عن قتله.

صعدوا **بالسلطان** "**على ميرزا** " إلى **كوك سراى**، وسملوا عينيه، لكنه لم يتأثرا من عملية السمل؛ وقد يكون هذا بوعى الجراح أو بدون رغبة منه. (٣٧ب) لكن **السلطان** "**على ميرزا** " أخفى الأمر فى الحال، وتوجه إلى منزل "**خوجه يحيى** "[٢٨٨]، وبعد يومين أو ثلاثة هرب إلى "**بخارا** " حيث الترخانيين. ولهذا السبب نشبت العداوة بين أبناء الخوجه **عبيد الله**، وأصبح الكبير مريبا للكبير والصغير عضدا للصغير"[٢٨٩]. وبعد بضعة أيام ذهب "**خوجه يحيى** " أيضا إلى "**بخارا** ". وساق "**بايسنغر ميرزا** " الجند إلى هناك ضد **السلطان** "**على ميرزا**". فلما اقترب من "**بخارا** "، خرج له **السلطان** "**على ميرزا** "والأمراء الترخانيون، وجرت بينهم مناوشة بسيطة. وكانت الغلبة للسلطان "على

---

[٢٨٨] خوجه يحيى، هو ابن الشيخ عبيد الله وقد خلط فامبيرى بينه وبين اخيه الأكبر خوجه كا خوجه الملكى بأبو المكارم خوجه.لكن بابر يذكرهما باعتبارهما شخصين وليسا شخصا واحدا حيث أن أبو المكارم خوجه هو الأخ الأكبر ليحيى خوجه وهما إبنا الشيخ عبيد الله خوجه.انظر فامبيرى، تاريخ بخارى، ص٣٠٢.

[٢٨٩] جاء فى الترجمة الانجليزية تفسيرا لهذا القول يفيد أن خوجه أبو المكارم وهو الابن الكبير للشيخ عبيد الله صار مساندا للسلطان الكبير وهو السلطان "باى سنقر ميرزا"، كما صار خوجه يحى وهو الابن الأصغر للشيخ عبيد الله مساندا للسلطان الصغير وهو السلطان "على ميرزا".

ميرزا"وانهزم "بايسنغر ميرزا ". ووقع "أحمد حاجي بك " وبعض الفئة الآخرين في قبضتهم، فقتلوا أغلبهم، واتهموا "أحمد حاجي بك " بقتل "درويش محمد ترخان "[٢٩٠]، وقتلوه انتقاما بطريقة مهينة.

حصار "سمرقند":

سار السلطان "علي ميرزا " إلى سمرقند في أعقاب "بايسنغر ميرزا"[٢٩١]. وقد علمنا بهذ الأمر في شهر شوال أثناء وجودنا في أنديجان، فتحركنا بالجند في الشهر نفسه للاستيلاء على سمرقند. وكان "السلطان حسين ميرزا " في طريقه عائدا من "حصار " و "قندوز "، وبذلك هدأ بال "السلطان مسعود ميرزا " و "خسرو شاه " (٣٨أ) كما جاء "السلطان مسعود ميرزا " إلى "شهر سبز "[٢٩٢] قاصدا الاستيلاء على سمرقند، وسانده "خسرو شاه "، فأرسل معه أخاه الأصغر "ولي ". وهكذا حاصرنا سمرقند من جهات ثلاث لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر.

جاء "خوجه يحيى " من عند السلطان "علي ميرزا "، للاتفاق معنا على تكوين جبهة واحدة. واتفقنا على أن نتقابل (مع السلطان علي ميرزا) .

---

[٢٩٠] هكذا جاءت العبارة في الأصل الجغتائي والترجمة التركية. وجاءت في الترجمة الإنجليزية على النحو التالي: "إن إماء وعبيد درويش محمد طرخان قبضوا على أحمد حاجي بك الذي طردهم من بخارى، وقتلوه بطريقة مهينه ثأرا لدماء سيدهم "، انظر الترجمة الإنجليزية ص ٦٣. كما جاءت ذات العبارة بنفس المعنى في الترجمة الفارسية :"وقبض غلمان وإماء درويش محمد ترخان، على أحمد حاجي بك وقتلوه بطريقة مهينه إنتقاما لمقتل سيدهم ". انظر الترجمة الفارسية ص ٢٥.

[٢٩١] هذه العبارة غير موجودة في الترجمة الإنجليزية، انظر الترجمة الإنجليزية ص٦٤.

[٢٩٢] شهر سبز، بمعنى المدينة الخضراء،وتسمى أيضا كش. في "سمرقند".

توجهت بجنودى إلى المكان المتفق عليه من ناحية "**سـغد**"[٢٩٣] أسفل "**سمرقند**" بفرسخين أو ثلاثة فراسخ. كما جاء السلطان "**على ميرزا**" بجنده من الناحية الأخرى. وعبر مع أربعة أو خمسة من رجاله من جانب، وعبرت من الجانب الآخر مع عدد مماثل من رجالى، والتقينا وسط ماء "**كـوهك**". وتكلمنا ونحن على ظهور الخيل، ثم رجع كل فريق من حيث أتى. وهناك رأيت الملا[٢٩٤] **بنائى**[٢٩٥] **ومحمد صالح** فى خدمة الخوجه. ولم ألتق **بمحمد صالح** سوى هذه المرة فقط، والتحق **الملا بنائى**[٢٩٦] فيما بعد بخدمتى لفترة.

بعد أن تقابلت مع السلطان "**على ميرزا**"، رجعت إلى "**اندجـان**" نظرا لاقتراب فصل الشتاء، وأيضا حتى لا يتعرض أهل **سـمرقند** لمزيد من المعاناة، كما ذهب السلطان "**على ميرزا**" إلى "**بخـارا**". وكان لدى "**السلطان مسعود ميرزا**" ميل شديد لابنة "**الشيخ عبد الله برلاس**"، فتزوجها ورجع إلى "**حصار**"، صارفا النظر عن المطالبة بالحكم (٣٨ب) وربما كان هذا هو سبب مجيئه إلى

---

[٢٩٣] سغد، وتكتب أيضا "صغد، بضم أوله وسكون ثانيه وآخره دال مهملة. ناحية كثيرة المياه نضرة الأشجار خضرة الجنان ممتد مسيرة خمسة أيام لا تقع الشمس على كثير من أراضيها ولا تبين القرى من خلالها وفيها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند وقصبتها سمرقند. انظر معجم البلدان، ج٥، ص ٨٦. وموضعها المنطقة الجبلية بإقليم ما وراء النهر. فامبرى، تاريخ بخارى، ص٢٧.

[٢٩٤] الملا، الشكل الإملائي العربي لها "مولى"

[٢٩٥] بنائى، هو كمال الدين شير على الهروى، شاعر إيرانى، توفى عام ٩١٨هـ = ١٥١٢م) تخلص بنائى لأن والده كان معماريا. تعلم الأدب والموسيقى والخط فى هراة. وبرع فى الشعر والنثر وتفوق على شعراء عصره لقب فى بلاط محمد شيبانى خان بلقب ملك الشعراء. وكان معه عندما فتح "خراسان". انظر خواندامير، تاريخ حبيب السير، كتابفروشى خيام، جاب دوم ١٣٥٣ هجرى شمسى، ص ٢٨٦. وقد ترجم بابر ترجمة وافية لبنائى فى بابر نامه، ذكر فيها أنه لقب بهذا اللقب لأنه كان رئيس معماريين. وهو شاعر صاحب ديوان وله مثنويات ثم ذكر علاقته بمير على شير نوائى. انظر، بابر نامه، ورقة ١٧٩ب. وقد أوردت الترجمة الفارسية اسمه "ثنائى" بدلا من بنائى، انظر الترجمة الفارسية ص ٢٥.

[٢٩٦] الملا بنائى، جاء الإسم فى الترجمة الفارسية "المولى ثنائى" انظر الترجمة الفارسية، ص٢٥.

سمرقند. وهرب "مهدي سلطان" إلى سمرقند (مرورا) من جوار شيراز وكنباي. كما استأذن حمزه سلطان عند "زامين" وذهب إلى بخارا.

*****



وقائع سنة اثنتين وتسعمائة[٢٩٧]

نزاع الأخوين "على ميزرا " و "بايسنغر ميرزا ":

فى هذا الشتاء كانت كل جهود "**بايسنغر ميرزا** " تسيرعلى ما يرام بشكل عام. فقد جاء عبد الكريم اشرت من عند "**السلطان على ميرزا** "، واقترب من **كوفين**[٢٩٨]، وخرج له "**مهدى سلطان** " من "**سمرقند** " على رأس جيش "**بايسنغر ميرزا** " والتقيا وجها لوجه بالقرب من **كوفين**. فضرب "**مهدى سلطان** " جواد "**اشرت** " بسيفه الجركسى، فأهلكه وطرح اشرت الذى هم بالوقوف لكن "**مهدى سلطان** " بادره وقطع يده من المنصل، فسقط على الأرض ووقع فى الأسر ومنى جنده بهزيمة منكرة. ولما رأى هؤلاء السلاطين[٢٩٩] أن الفوضى تعم **سمرقند**، وأبواب الأمراء (**التيموريين**)، ذهبوا فى الربيع التالى إلى "**شيبانى خان** ". واستمد السمرقنديون الشجاعة من هذا[٣٠٠]، وجيشوا الجيش ضد السلطان "**على ميرزا** ". وذهب "**بايسنغر ميرزا** " إلى **سسربل**[٣٠١]، بينما توجه السلطان "**على ميرز**" إلى **خوجه كازرون**[٣٠٢]. وفى ذات الوقت وبتحريض من

---

[٢٩٧] هذا التاريخ يقابل عامى ١٤٩٦-١٤٩٧م.

[٢٩٨] كوفين، اسم مكان بجوار "سمرقند".

[٢٩٩] يقصد سلاطين الأوزبك ومنهم "مهدى سلطان"هذا.

[٣٠٠] يقصد هذا الانتصار على عبد الكريم اشرت.

[٣٠١] سربل، يعنى رأس الجسر. وهو مكان بجوار "سمرقند"

[٣٠٢] خوجه كازرون، جاء هذا الاسم فى الترجمتين الإنجليزية والفارسية كازرون. وهو اسم مكان بجوار "سمرقند".

خوجه منير الأوشى[٣٠٣]، أرسل **خوجه أبو المكارم**، كلا من **يس لاغـوى** أحد أمراء "**اندجان**"(١٣٩أ)، و**محمد بـاقر** وبعض الفتية الآخرين المقربين للأمير **قاسـم** دلدى و "**بايسنغر ميرزا** "، لمهاجمة "**بخــارا** ". وكان أهلها يعلمون بأمر الهجوم المرتقب، لهذا عجز هؤلاء المهاجمون عن النيل منهم، وعـادوا أدراجهم دون أن يظفروا بشيء.

تحرك بابر والسلطان "على ميرزا " لمحــاصرة "ســمرقند":

عندما تقابلت مع **السلطان** "**على مسيرزا** "(فى العام الماضى)، اتفقنا أن يأتى بجنده من "**بخارا** "، ونأتى نحن من "**اندجان** "، ونحاصر "**سمرقند** " فى الربيع القادم. وبناء على هذا الاتفاق، تحركنا من "**اندجــان** " فى شهر رمضان. فلما اقتربنا من "**يــاربيلاق** "؛ علمنا بأمر المواجهة الدائرة بين الأميرين. فأرسلنا تولون خوجه المغولى على رأس مائتي أو ثلاثمائة من الفتية المغيرين لشن الهجوم. وعلم "**بايسنغر ميرزا** " بأمرنا، فانسحب كالمهزوم. ودخل الفتية، معسكر أولئك الأمراء فى جنح الليل، وأمطروا أكثر رجالهم بالسهام، وعادوا بغنائم كثيرة.

التوجه إلى شيراز :

بعد يومين وصلنا إلى قلعة شيراز. وكانت شيراز فى يد قاســم دلداى[٣٠٤].

فلمـا عجــز والى القلعــة عــن الدفــاع عنــها، ســلمها لنــا. وأســندنا إدارتــها إلى ابراهيم سارو.

---

[٣٠٣] خوجه منير الأوشي، هو أحد رجال "باى سنقر ميرزا" بن السلطان محمود ميرزا.

[٣٠٤] قاسم دلداى، هو أحد رجال باى سنقر ميزا بن السلطان محمود ميرزا، ثم انضم إلى بابر بعد ذلك.

كان اليوم التالى هو عيد الفطر فصلينا صلاة العيد هناك، ثم استأنفنا السير إلى "سمرقند" فبلغنا مرعى "آيبار"[٣٠٥]. وفى ذلك اليوم جاء قاسم دلداى، وويس لاغرى، وحسن بنده، والسلطان محمد سيغل (٣٩ب)، والسلطان محمد ويس، وانضموا إلينا مع ثلاثمائة أو أربعمائة رجل، وقالوا :(عندما انسحب "بايسنغر ميرزا"، تركناه وجئنا لنلتحق بخدمة السلطان). لكن اتضح فيما بعد أنهم انفضوا عن "بايسنغر ميرزا" بغية الدفاع عن "شيراز". فلما صار أمر "شيراز" إلى ما صار إليه، أسقط فى أيديهم، فجاؤا إلينا. وعندما نزلنا "قرا بولاق"[٣٠٦]، أمسك رجالنا بالمغول المتمردين فى بعض القرى التى آلت إلينا، وجاءوا بهم فقتل "قاسم بك" ثلاثة أو أربعة منهم ومزقهم إربا لردع الباقين وتخويفهم. ولهذا السبب، انفصل "قاسم بك" عنا بعد ذلك بأربع أو خمس سنوات، ونحن فى الطريق من "مسيخا" لمقابلة حضرة الخان فى زمن المنازعات، وذهب إلى "حصار".

التحرك إلى يام[٣٠٧]:

تحركنا من قرا بولاق، وعبرنا الماء، ثم نزلنا أمام يام. وفى ذلك اليوم تقاتل بعض أمرائنا الخواص[٣٠٨]، مع رجال "بايسنغر ميرزا" عند رأس "خيابان"[٣٠٩]،

---

[٣٠٥] آيبار، هو اسم مرعى بجوار "سمرقند".

[٣٠٦] قرا بولاق، هو موقع بالقرب من "جكمند" فى ولاية سوغديا، انظر، عبد الرشيد إبراهيم، عالم الإسلام، ترجمة،أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمي، ط١، ص ٧٦.ويقول رشيد رحتى أرات إنه اسم مملكة تقع بين جبال مسيخه ويام بجوار "سمرقند" الترجمة التركية، الملاحق، ص٤٩٨/١.

[٣٠٧] يام، اسم مكان بجوار "سمرقند".

[٣٠٨] الأمراء الخواص بمثابة الأصدقاء وهم الأمراء المقربون من السلطان، كما أنهم طائفة من الأمراء القائمين على الخدمة الشخصية للسلطان ويشتركون فى كل وظائف القصر وقد يترقون إلى وظائف عالية فى الدولة. انظر، الترجمة التركية لبابر نامه، ج ٢، ص ٦١٣.

فأصابوا السلطان **أحمد تنبل** برمح فى حلقه، لكنه لم يسقط من فوق جواده. كما انتقل إلى رحمة الله الحاج **مولاى صدر**، الأخ الأكبر **لخوجـــه كـــلان**، على أثر إصابته بسهم فى عنقه. وكان فتى ممتازا، حظى برعاية والدى فاتخذه "**مــهردار**". وكان مشتغلا بالعلم (١٤٠أ)، جميل الإنشاء، عارفا بفنون الصيد. وإسقاط المطر عن طريق استخدام حجر اليشم.

أثناء وجودنا بجوار "**يام**"، خرج من المدينة عدد كبير من التجار وغيرهم، ليتاجروا فى سوق الجيش. وذات يوم، وفى وقت صلاة العصر، سرقت فجأة (بضائع) كل هؤلاء المسلمين. ولما كان النظام مستتبا بقوة بين الجنود، فقد أصدرنا أوامرنا على الفور بإعادة البضائع للأهالى، وألا يخفى أحد شيئا منها. وفى صباح التالى كانت كل الأشياء قد أعيدت إلى أصحابها ولم ينقص منها شيىء مهما قل شأنه، "فلم يبق خيط ولا طرف إبرة مكسورة".

الوصول إلى خان يــوردو[٣١٠]:

تحركنا من "**يام**"، ونزلنا "**خان يـــوردو**" على مسافة ثلاثة فراسخ[٣١١] من "**ســمرقند**"[٣١٢]. وأقمنا هناك حوالى أربعين أو خمسين يوما. وخلال هذه الفترة القصيرة، حدثت فى "**خيابان**" عدة مناوشات بين الفتية فى الجانبين. وقد اشترك

---

[309] خيابان، تعنى فى الفارسية شارع رئيسى، المتنزه.
Ziya Şükün.a.g.e.c.2.s.833.

[٣١٠] خان يوردو، بمعنى موطن الخان.

[٣١١] ثلاثة فراسخ، هذه المسافة تعادل خمسة عشر كيلو متر.

[٣١٢] ذكر بابر فى ص ١٤٨أ، أن خان يوردو هذا يقع على مسافة فرسخ واحد من شرق سمرقند.

إبراهيم باغجيك في إحدى هذه المناوشات، وجرح في وجهه، فسمي لذلك باسم "**إبراهيم جابوق** ". وفي مرة أخرى استخدم "**ابو القاسم كهبر**" دبوسه[٣١٣]، عند جسر **ماغاق** قرب "**خيابان**"، ودار قتال آخر في "**خيابان** " أيضا، بجوار نهر صغير (٤٠ب)، استخدم فيه "**مير شاه قوجين** " الدبوس، وأخذوا[٣١٤] يكيلون له الضربات حتى قطعت رقبته إلى منتصفها، باستثناء الشريان الرئيسي.

بينما نحن في "**خان يسوزدو** "، أرسل الذين داخل القلعة رجلا لخداعنا، برسالة فحواها أن : تعالوا إلى "**غار عاشقان** "[٣١٥] ليلا، لنسلم لكم القلعة. (بناء عليه) تحركنا في المساء حتى بلغنا جسر **ماغاق**. وأرسلت عددا من خيرة الفتيان والمشاة، إلى المكان المتفق عليه. وبعد ذلك علمنا أنهم قتلوا أربعة أو خمسة من مشاتنا الأشداء، وألقوا بجثثهم خارج القلعة. وكان أحدهم ويدعى **حاجي**، يعمل في خدمتي منذ طفولتي. وآخر يدعى **محمود كوندوسنك**.

أثناء وجودنا هناك[٣١٦]، جاء جمع غفير من أهل "**سمرقند** "وتجارها، فحولوا معسكر الجيش إلى مدينة، وتوفر في المعسكر كل ما نرجوه من المدينة.

في تلك الأثناء، استوليت على سائر القلاع والجبال والوديان، باستثناء "**سمرقند**". وقام بعض الرجال بتحصين قلعة "**أوزكست** "، وتقع على سفح جبل

---

[٣١٣] الدبوس، أداة قتال قديمة عبارة عن عمود على شكل هراوة مدملكة الرأس. انظر، شمس الدين سامي، انظر، قاموس تركي، ص ٣/٨٩٠.

[٣١٤] يعني رجال أمير خيابان.

[٣١٥] غار عاشقان، يعني غار العشاق.

[٣١٦] أي في خان يوردو.

"شـاودار "[٣١٧] فلما أدركنا أهمية التوجه إلى "أوزكـت"، تحركنا إليها ولم يقاوم أهلها، وأعلنوا طاعتهم لنا، وتوسط بيننا وبينهم مولانا القـاضى.(١٤١أ) فتجاوزنا عن أخطائهم، ورجعنا لمحاصرة سمرقند مرة أخرى.

نزاع " السلطان حسين ميرزا " مع " بديـع الزمـان مـيرزا ":

فى هذه السنة ،أدت الخلافات الناشبة بين "السلطان حسين ميرزا "، وابنه "بديع الزمان ميرزا "، إلى اشتعال القتال بينهما. والمسألة هى أنه ، كما ذكرنا فى السنة الماضية، أن "السلطان حسين ميرزا "، أخضع ولديه "بديع الزمان مـيرزا " و "مظفر ميرزا " بإعطائهما بلخ وأستراباد . ومنذ ذلك الحين، وحتى اليوم، لم تنقطع الرسل بينهما . ثم جاء "على شير بك " رسولا من عند حسين ميرزا وبذل محاولات كثيرة لإقناع "بديع الزمان مـيرزا " بالتنازل عن أستراباد إلى أخيه الأصغر، لكنه رفض قائلا :" إن السلطان حسين ميرزا "، أهدى هذه المنطقة إلى إبنى محمد مؤمـن عند ختانه ". وذات يوم اجتمع "علـى شـير بـك " مع الميرزا[٣١٨] فى مجلس دار فيه حديث دل على سرعة بديهة المـيرزا، ورقة قلب "على شير بك". ذلك أن "على شير بك " أفضى إلى الميرزا بأسرار كثيرة، ثم أردف قائلا له :" إنس كل ما قلته لك "، فبادره الميرزا متسائلا :"ماذا قلت ؟ "، فبدى التأثر على (وجه) على شير وأجهش بالبكاء.

---

[٣١٧] شاودار، ذكرها الأصطخرى باسم "جبال ساودار ". وقال : إن الساودار هو الجبل الذى عن جنوبى سمرقند. انظر، الاصطخرى، المسالك والممالك، القاهرة ١٩٦١، ص١٨٠. وذكرها الشريف الإدريسى باسم "جبال شـاوذار ". وقال: "إنها فجاج ذات أنهار جارية تسقى ضياعا ومزارع. انظر، الشريف الإدريسى، نزهة المشتاق، ج١، ص ٥٠٢.

[٣١٨] يقصد "السلطان حسين ميرزا"(بايقرا).

واشتعلت (الفتنة) بين الأب وابنه بسبب الشائعات، وساق الأب الجند ضد ابنه، وساق الابن الجند ضد أبيه إلى بلخ وأستراباد. وجاء "**السلطان حسين ميرزا**" من أسفل[319] و "**بديع الزمان ميرزا**" من أعلى"[320]، إلى جوار "**يك جراغ**" (**١٤١ب**) عند سفح "**كاروزن**". وفي يوم الأربعاء غرة رمضان، تقدم **أبو المحسن ميرزا** على رأس عدد من الأمراء والمغيرين من جند "**السلطان حسين ميرزا**"، فانهزم "**بديع الزمان ميرزا**" بغير أن تدر حرب بالمعنى المعروف. ووقع في الأسر عدد من خيرة فتيانه. فأمر "**السلطان حسين ميرزا**" بقطع رؤوسهم جميعا. ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة، فقد أمر **السلطان** بقطع رؤوس كل من يقع في أسره من الرجال، إذا انهزم من تمرد عليه من أبنائه وناصبه العداء. ولماذا لا يفعل هذا والحق بجانبه ؟.

لقد أطلق أولئك الأمراء العنان لشهواتهم ومتعهم، ولم يردعهم اقتراب سلطان عاقل ومجرب مثل والدهم، إلى مسافة نصف يوم منهم، أو دخول شهر مبارك وعزيز كشهر رمضان، من الانغماس في الخمر والمتعة واللهو بغير حياء من والدهم، أو خوف من الله. ولا ريب أن رجال هذا دأبهم، لابد وأن تحل بهم، وبكل من على شاكلتهم، هزيمة كهذه.

كانت **استرآباد** في يد "**بديع الزمان ميرزا**" لعدة سنوات. وكان المحيطون به وفتيانه، منغمسين في الملذات والترف. فأكثروا من الأدوات المصنوعة من الذهب والفضة، ولبس فتيانه الملابس الموشاه (**١٤٢أ**)، واقتنوا ما لا يحصى من الخيل

---

[319] يقصد جاء من بلخ.

[320] يقصد جاء من هرات.

الأصيلة. وقد خسروها كلها هنا. وأثناء هروبهم[٣٢١] عبر طريق الجبل، مروا بمنطقة صخرية ذات هاوية لقى فيها أغلب الرجال حتفهم، ونزلوا من الجبل بصعوبة.

استرداد " السلطان حسين ميرزا " بلخ ":

جاء "**السلطان حسين ميرزا** " إلى **بلخ** بعد أن هزم ابنه (**بديع الزمان ميرزا**).وكان "**بديع الزمان ميرزا** " قد ترك **الشيخ على طغايى فى بلخ**، والذى أظهر بدوره عجزا عن التصرف، فسلم **بلخ** طواعية إلى "**السلطان حسين ميرزا** "، فأعطاها بدوره إلى **إبراهيم حسين ميرزا**، وترك معه **محمد ولى بك**، و**الشيخ حسين جهره**، ثم رجع إلى "**خراسان** ".

لجوء " بديع الزمان ميرزا " إلى " خسرو شاه ":

بعد هزيمة "**بديع الزمان ميرزا** "، وضياع ملكه وماله، ذهب مع من تبقى من فتيانه ورجاله، حفاة عراة، إلى "**خسرو شاه**" فى "**قوندوز**". فأحسن **الأخير** وفادته، وأعطاه خيلا وإبلا وخياما من كل حجم، وكل ما يلزم الفرسان من تجهيزات، وما يحتاج إليه **الميرزا** أو من معه. وأظهر له من حسن المعاملة والرأفة الشيء الكثير، حتى أن من رأوا هذا قالوا : "ما خسر **الميرزا** بعد هزيمته، سوى الأدوات الموشاة بالذهب والفضة ".

نزاع "مسعود ميرزا " و " خسرو شاه ":

دب الخلاف بين "**السلطان مسعود ميرزا** "، و "**خسرو شاه** "، بسبب

---

[٣٢١] يقصد "بديع الزمان ميرزا" ورجاله.

عصيان أحدهما وغرور الآخر. وأرسل "خُسرو شـــاه "، "ولـــيٍ" و "بـــاقى" و"بديع الزمان ميرزا "(٤٢ب) إلى "حِصار" ضد "السلطان مسعود مـــيرزا "، وتبارز الطرفان قريبا من القلعة وفيما حولها لكنهم فشلوا فى الاقتراب من القلعة. وذات مرة انفصل "محب على القورجى" عن الجماعة وجاء إلى "قوشخانه"[٣٢٢] فى الطرف الشمالى من حِصار، والتحم معهم، فسقط من فوق جواده، وأوشك أن يقع فى الأسر، وبصعوبة استطاع أن ينجُ بنفسه بمساعدة إخوانه. وبعد بضعة أيام عقد صلحا بينهما، ورجع كل فريق من حيث أتى.

ذهاب بديع الزمان إلى قندهـــار :

بعد بضعة أيام أخرى، ذهب "بديع الزمان مـيرزا "، عن طريق الجبل، إلى "قندهار "و"زامين داور "عند ذو النون ارغون، وابنه شاه شجاع أرغون"[٣٢٣]. ولما كان ذو النون رجلا رؤوفا، فقد عامله معاملة طيبة، وأهداه أربعين ألف رأس من الغنم دفعة واحدة.

والأمر الغريب أنه فى يوم الأربعاء الذى انهزم فيه "بديع الزمـــان مـــيرزا "، أمام "السلطان حسين ميرزا "، انهزم أيضا محمد مؤمن ميرزا"[٣٢٤] فى اســـتر آباد

---

[٣٢٢] قوشخانه، بمعنى بيت الطير، وهو عبـــارة عن مكان مخصص للطيـــور كان فى القصـــور القـــديمة. قـــاموس تركى، ص١١٠١/٣.

[٣٢٣] عندما طرد بابر، شاه شجاع من كابل ومن غزنه، استولى شاه شجاع على المنطقة أسفل سيستان، ثم هزم جام فيروزى حاكم السند سنة ٩٢٧هـــ، وأسس دولة آرغون هناك، توفى سنة ٩٣٠هـــ=١٥٢٤م.انظر قاموس الأعلام، ج٤، ص ٢٧٧٣/٢.

[٣٢٤] محمد مؤمن ميرزا، هو ابن "بديع الزمان ميرزا".

أمام مظفر ميرزا. والأغرب من هذا أن رجلا يدعى "جهارشنبه"[٣٢٥]، جاء بمحمد ميرزا أسيرا.

*****



[٣٢٥] جهارشنبه، كلمة فارسية بمعنى "يوم الأربعاء".

وقائع سنة ثلاث وتسعمائة[٣٢٦]

محاولة بابر دخول " سـمرقند "[٣٢٧]:

سرنا خلف "**باغ ميـدان** "[٣٢٨]، فنزلنا إلى مرعى "**قلبـه** " وخرج فرسان "**سمرقند** " ونفر كثير من أهل المدينة إلى جسر **محمد جـب** ليمنعونا . كان جندنا غير مستعدين للقتال (٤٣أ) . وإلى أن أتموا استعداداتهم، كان أهل **سـمرقند** قد قبضوا على "**سلطان قولى** " و "**بابا قولى** " وحملوهما إلى القلعة.

وبعد بضعة أيام تحركنا إلى مرعى "**قلبه** " وراء "**كـسهك** " فوصلنا إليه. وفى ذلك اليوم،أخرجوا سيد **يوسف بك** من "**سمرقند** "، فجاء إلى معسكرنا ودخل فى خدمتنا . ظن (السلطان ورجاله) الذين فى **سـمرقند** أننا بقيامنا من مرعى "**قلبه** " ووصولنا إلى هذا المكان، أننا انسحبنا ، وبالتالى فقد اتجهت الفرق المعاونة والفرسان وأهل المدينة نحو جسر **الميرزا**، وجسر **محمد جـب** من باب "**شـيخ زاده**"[٣٢٩] . وعندئذ أصدرنا أوامرنا إلى الفتيان أن يحملوا أسلحتهم ويمتطوا جيادهم ويشددوا الهجوم على العدو من ناحية جسر **الميرزا** وجسر **محمد جـب** . وبعون الله هزموا العدو، وقبضوا على أقوى أمرائه وخيرة فتيانه، وجاءوا بهم إلينا . وكان

[٣٢٦] هذا التاريخ يقابل عامى ١٤٩٧-١٤٩٨م.

[٣٢٧] كانت "سمرقند" فى ذلك التاريخ تحت يد "باى سنقر ميرزا" ابن السلطان محمود ميرزا.

[٣٢٨] باغ ميدان،بمعنى حديقة الميدان.

[٣٢٩] باب "شيخ زاده،بمعنى باب ابن الشيخ. وقد وردت فى الترجمة التركية باسم باب شهزاده أى باب ابن الأمير، انظـر الترجمـة التركية، ص٤٥.

من بينهم "**محمد مسكين حافظ دلداى** " وقد قطعوا إبهامه، وكثير غيره من القتيان المعروفين أمثال "**محمد قاسم نابيره** " وأخيه الأصغر " **حسن نابيره** "، **وديوانه جامه باف**[٢٣٠] وكل قلشوق، وهؤلاء من أوباش المدينة، ومعهم (٤٣ب) عدد من الأعيان. فأمرنا بتعذيبهم وقتلهم قصاصا لمن ماتوا فى "**غار عاشقان**"[٢٣١]. وكانت الهزيمة ساحقة لأهل **سمرقند** ؛ كفوا بعدها عن مغادرة القلعة خاصة وأن رجالنا كانوا كلما خرجوا إلى حافة الخندق، عادوا بالأسرى.

دخلت الشمس برج الميزان، وبدأ البرد. فاستدعيت أصحاب الرأى من الأمراء لمشاورتهم في الأمر. وبعد التشاور قررنا ؛ إن أهل "**سمرقند** " صاروا عاجزين تماما (عن المقاومة)، ويمكننا بعون الله أن نأخذ (سمرقند) اليوم أو غدا. لكن المرابطين خارج القلعة يتعرضون للأذى بسبب برودة الهواء، لذلك فإنه من الأهمية أن نتحرك من عند سمرقند، ونقضى الشتاء بإحدى القلاع تفاديا للبرد. وإذا استدعى الأمر أن نغادر هذا المشتى، فسيكون الأمر كذلك بغير تردد. ورأينا أن قلعة "**خوجه ديدار** " تبدو مناسبة لهذا (الغرض). فتحركنا إلى المرعى الواقع أمامها، ثم دخلنا القلعة وحددنا أماكن المبيت والخيام، وتركنا هناك رجالا لنصب الخيام ومعهم المراقبون، ورجعنا إلى المرعى وأمضينا فيه بضعة أيام إلى أن تم إعداد المشاتى.

---

[٢٣٠] ديوانه جامه باف، اسم أحد زعماء العامة من أهل "سمرقند".

[٢٣١] انظر هذه الواقعة فى بابر نامه، ورقة ٤٠ب.

استعانة باى سنقر ميرزا بالشيبانيين :

فى تلك الأثناء أرسل "**بايسنغر ميرزا** " الرجال واحدا تلو الآخر، إلى "**شيبانى خان** " فى **تركستان** طلبا للمساعدة.

ولما صار المشتى جاهزا، آوينا إلى القلعة. (١٤٤أ) وجاء "**شيبانى خان**" من **تركستان** مهاجما، وهاجم معسكرنا فى تلك الليلة. ولم يكن جنودنا كلهم معنا . فقد ذهبوا بسبب الشتاء، فاتجه بعضهم إلى "**رباط خوجه**"[٣٣٢]، وبعضهم إلى **قابود**، والبعض الآخر إلى **شيراز**. ورغم هذا، فقد نظمنا صفوف من بقى معنا من الجند، وخرجنا إليهم، فانسحب "**شيبانى خان** " إلى "**سمرقند**" بدون قتال.

لجوء "باى سنقر ميرزا " إلى "خسرو شاه ":

لم تسر الأمور وفق ماقاله "**بايسنغر ميرزا** "، و لم يتفق مع "**شيبانى خان** مما حدا "**بشيبانى خان** " إلى الانسحاب بعد عدة أيام عائدا إلى **تركستان** يائسا بعد أن عجز عن إنجاز شيء .وظل "**بايسنغر ميرزا** " محاصرا (فى **سمرقند**) لمدة سبعة شهور إذ كان أمله الوحيد معقودا على "**شيبانى خان** "، وقد تبدد هذا الأمل، فذهب فى نهاية الأمر مع مائتين أو ثلاثمائة من رجاله الجائعين، ولجأ إلى "**خسرو شاه** " فى "**قوندوز**" . وأثناء اجتيازه **نهر جيحون** من عند "**ترمذ**"، علم بأمره "**سيد حسين أكبر**" حاكم "**ترمذ**"، وهو من أصحاب المكانة ومن أقارب "**السلطان مسعود ميرزا** "، فخرج لقتاله، لكن **الميرزا** عبر النهر بينما غرق **ميريم ترخان**.

---

[٣٣٢] **رباط خوجه**، اسم حصن فى مركز مقاطعة شاودار فى غرب "سمرقند".

واستولى سيد حسين أكبر على ما تركه **الميرزا** وراءه من متاع ورجال، وقبض على غلام له يدعى "**طاهر مصطفى** ". ونجح "**بايسنغر ميرزا** " في الوصول إلى "**خسرو شاه** "، فأحسن استقباله (٤٤ب).

دخول بابر "سمرقند " للمرة الأولى :

علمنا بأمر خروج "**بايسنغر ميرزا** " من "**سمرقند**"، فتوجهنا إليها عبر طريق "**خوجه ديدار**". وقد توافد أمراء **سمرقند** الكبار وفتيانها لاستقبالنا على الطريق. بلغت **سمرقند** في أواخر شهر ربيع الأول ونزلت في "**بستان سراي**". وبعون الله تعالى استولينا على مدينة **سمرقند** وولايتها وسخرناها لنا .

وصف سمرقند :

"**سمرقند** " مدينة جميلة، قل أن توجد مدينة في الدنيا بجمال **سمرقند** . وهي من الإقليم الخامس. طولها تسع وتسعون، ورمز نجومها ست وخمسون درجة ودقيقة، عرضها ثلاثون درجة ودقيقة. و**سمرقند** عاصمة ولاية اسم "**ما وراء النهر**". كما يسمونها أيضا إسم "**البلاد المحفوظة** " لعجز العدو مهما بلغت قوته وتفوقه، عن الاستيلاء عليها .

دخل الإسلام "**سمرقند** "في عهد أمير المؤمنين **عثمان بن عفان** . كذلك جاء إليها **قثم بن العباس** وهو من الصحابة وقبره موجود خارج "**باب آهنين**"[٣٣٣] . ويعرف الآن باسم "**مزار شاه** ".

---

[٣٣٣] باب آهنين، بمعنى باب الحديد. احد ابواب "سمرقند"

وسمرقند أسسها الإسكندر. ويطلق عليها أقوام المغـــول والـــترك اسم "سميز كند "[٣٣٤]. وقد أقام تيمور بـــك عرشه هنا في "ســـمرقند ". ولم يسبقه سلطان عظيم مثله في اتخاذ سمرقند عاصمة له[٣٣٥]. وقد أمرت بقياس طول القلعة من فوق السور، ووجدوا أن طولها يبلغ عشرة آلاف وستمائة خطوة.

وكل أهل "ســـمرقند " سنيون. وهم أطهار المذهب، ملـتزمون بالشريعة، ومتدينون. وظهر في ما وراء النهر منذ عهد رسول الله(صلى الله عليه وسلم) عدد كبير من أئمة الإسلام، ولا نعرف أنه ظهر في أي ولاية أخرى مثل هذا العدد من الأئمة (٤٥أ). فمن علماء الكلام الشيخ أبو منصـــور وهو من حي "مـــاتريد " أحد أحياء سمرقند. وأئمة علم الكلام فرقتان : "الماتريدية " و "الأشعرية ".

تأسست الماتريدية على يد الشيخ أبو منصور هذا. وخوجه اســـماعيل صاحب صحيح البخاري أيضا من ما وراء النهر. وصاحب كتاب الهداية، من ولاية اسمها "مرغينان " في "فرغانـــه ". ولا يوجد كتاب في الفقه على مذهب الإمام أبو حنيفة، يفوق في قيمته كتاب الهداية.

وفرغانـــه من بلاد مـــا وراء النـــهر. وتقع على حافة المعمورة. وتقع فرغانه وكاشغر في الشرق من "سمرقند "، و "بخـــارا " وخوارزم في الغرب منها، وتاشكند وشـــاهرخيه التي يكتبونها في الكتب "شـــاس وبنـــاكت " في الشمال. "وبلخ وترمذ " في الجنوب.

---

[٣٣٤] سميز كند،بمعنى المدينة الغنية.

[٣٣٥] يقول منجم باشي إن تيمور لنك نك عام ٧٧١هـ"سار في جيشه وعبر جيحون على جسر معموم بأمره، واتخذ سمرقند واتخذها دار الملك".انظر منجم باشي، جامع الدول، ورقة ٢٣١أ.

ويجرى ماء "كهك " شمال سمرقند د على مسافة فرسخين منها . وبين هذا الماء وسمرقند، تل يدعى "كهك "[٣٣٦] . ولما كان النهر يتدفق من سفح هذا التل، فقد أطلقوا عليه اسم ماء "كهك ". وينشق عن هذا الماء رافد كبير وعريض باتساع الوادي ويطلقون عليه اسم ماء "درغام ". ويجرى على مسافة شرعى واحد جنوب "سمرقند". وحدائق وأحياء "سمرقند " وعدد من أقضيتها، كلها معمورة من هذا الماء. كما يوجد سهل طوله حوالى ثلاثين أو أربعين فرسخا، يمتد إلى "بخارا" و "قره كول " وهذا السهل أيضا عامر ومزروع من ماء "كهك ". ورغم أنه نهر كبير جدا (٥٤ب)؛ إلا أن ماءه لا يكفى إلا للزراعة والعمران فقط. حتى أن "بخارا "تظل بلا ماء لمدة ثلاثة أو أربعة شهور من فصل الصيف.

وتشتهر "سمرقند " بعنبها وشمامها وتفاحها ورمانها وغيرها من الفواكه الممتازة. ولكن يشتهر منها نوعان فقط هما : "سيب سمرقند" (التفاح) و"صاحب سمرقند" (العنب).

لا يسقط الثلج فى سمرقند بقدر سقوطه فى كابل. ومع هذا فإن شتاءها بارد جدا . وهواء الصيف لطيف لكنه ليس كهواء كابل . وتكثر التكايا والحدائق التى أنشأها تيمور بك وأولغ بك فى سمرقند وأحيائها . وقد شيد تيمور بك فى قلعة سمرقند قصرا كبيرا مكون من أربعة طوابق، يشتهر باسم "كوك سراى ". كما ابتنى داخل القلعة جامعا بالقرب من "باب آهنين". وقد أعد أحجاره الحجارون

---

[٣٣٦] تل "كهك "، وتعنى الجبل الصغير، وهو حال يا "جوبان آتا" ويبلغ وفقا للإصطخرى نصف ميل ويمتد إلى أسوار شهرستان "سمرقند"، انظر، بارتولد، تركستان، ص١٧٣.

الذين جلب أكثرهم من بلاد الهند. وكتبوا أعلى الجامع بحروف كبيرة آية "وإذ يرفع إبراهيم القواعد "[٣٣٧]. ويمكن قراءتها من على مسافة فرسخ. وهو بناء ضخم جدا. كما أنشأ حديقتين في شرق سمرقند، إحداهما وهي الأبعد واسمها "باغ بولدى "والأخرى وهي الأقرب واسمها "باغ دلكشا"[٣٣٨]. وشق طريقا من باغ دلكشا إلى "باب فيروزه"[٣٣٩] وغرس على جانبيه أشجار الحور. كما شيد قصرا كبيرا في "دلكشا" وقد صوروا (على جدران) هذا القصر (١٤٦أ) حروب تيمور بك في بلاد الهند"[٣٤٠]، كما أنشأ فوق تل "كهك" في الطرف العلوي من "قان جيل "و"قره سو "الذي يطلقون عليه اسم "ماء الرحمة"، حديقة اسمها "نقش جهان". وكانت هذا الحديقة عندما رأيتها. قد صارت خرابا ليس بها ما يسترعي الانتباه.

وتقع حديقة "باغ جنار"[٣٤١] في جنوب "سمرقند" وفي مكان قريب من قلعتها، وحديقة "باغ شمال"[٣٤٢] وحديقة "باغ بهشت"[٣٤٣] في الطرف السفلي من سمرقند. كما ابتنى السلطان محمود ميرزا بن جهانكير ميرزا وحفيد تيمور بك مدرسة في قلعة سمرقند الخارجية وفيها قبور كل أولاد تيمور بك الذين تبوؤا

---

[٣٣٧] الآية ١٢٧ سورة البقرة.

[٣٣٨] باغ دلكشا، بمعنى الروضة المفرحة للقلب.

[٣٣٩] باب فيروزه، بمعنى باب الفيروز.

[٣٤٠] توجه تيمور لنك إلى الهند في شهر رجب من عام ٨٠٠هـ، انظر منجم باشي، جامع الدول، مرجع سبق ذكره، ج٢، ورقة ٢٣٣أ.

[٣٤١] باغ جنار، بمعنى روضة الحور.

[٣٤٢] باغ شمال، بمعنى روضة الشمال.

[٣٤٣] باغ بهشت، بمعنى روضة الجنة.

السلطنة فى سمرقند.

وفى الطرف الداخلى لقلعة "سمرقند" تقع مدرسة وخانقـــاه[٣٤٤] وهما من منشآت أولغ بك ميرزا، وقبة هذه الخانقاه كبيرة أكثر من المعتاد. ويقولون إنه ليس فى الدنيا قبة فى مثل حجمها. وإلى جانب هذه المدرسة وهذه الخانقاه[٣٤٥]، شيد المـيرزا حماما جيدا أرضيته مصنوعة من مختلف الأحجار أشتهر باسم حمام الميرزا، ولا نعرف فى "خراسان" و "سمرقند" حمام مثله.

(٤٦ب) كما شيد فى جنوب المدرسة مسجدا يطلقون عليه اسم "المســجد المقطع". وسبب تسميته بهذا الاسم أنهم نحتوا أشد الأشجار صلابة ثم حفروا عليها نقوش على الطرازين الإسلامى والصينيى. وعلى هذا النسق جملوا كل جدرانه وأسقفه. والفرق كبير بين قبلة هذا المسجد وقبلة مدرسة أولغ بـــك. ويبدو أنهم حددوا اتجاه قبلة هذا المسجد تبعا للنجوم.

ومن المبانى الكبيرة التى بنيت أيضا مرصد[٣٤٦] مكون من ثلاثة طوابق فــى سطح تل "كهك"، بداخله آله كتابة الزيج[٣٤٧]. وقد دون أولـــغ بــك بهذا المرصد

---

[٣٤٤] الخانقاه، هو رباط المتصوفة أو التكية، أى المكان الذى يقيمون فيه للعبادة والذكر تحت إمرة شيخهم، انظر، قاموس تركي، ص١/٥٧٦..

[٣٤٥] فى ذكر منشآت أولغ بك يقول منجم باشي: "أمر (أولغ بك) ببناء مدرسة عالية فى وسط ملكه سمرقند، وفى جنبها خانقاها كبيرا وغيرها من أبنية الخير فتمت فى عدة سنين وجاءت بحيث لم ير مثلها بل لم يسمع فاوقف عليها أوقافا جليلـــة وكان يحضر الدرس فى أغلب الأوقات ويناظر الطلبة" انظر منجم باشي، جامع الدول، ورقة ١٤٤ب.

[٣٤٦] يقول منجم باشي: "وكان ألغ بيك لما أراد المرصد الجديد إلى جما (يقصد مولانا علاء الدين على القوشجي والمولى الأعظم غياث الدين جمشيد الكاشي صاحب الزيج الخاقاني كما أشار إليهما) من كاشان وأتـى بكـل حكيـم ومنجـم ومهندس جمعه من كل الديار والبلاد فبنى لهم بيت الرصد وصرف أموالا عظيمة عليه وعلي عمل آلآته". انظـر، منجـم باشي،جامع الدول، ورقة ١٤٤ب. وأنظر أيضا، خواندامير، حبيب السير، ص ٢١.

[٣٤٧] الزيج، كل كتاب يتضمن جداول فلكية يعرف منها سير النجوم، ويستخرج بواسطتها التقويم سنة ســـنة. انظر، المعجم الوجيز ص ٣/٢٩٧، المعجم الوسيط ص ١/٤٠٩.

"**الزيج الجرجانى**" الذى يستخدم الآن أكثر من غيره من الزيجات. وكان المستخدم قبله "**الزيج الجرجانى**" الذى رتبه "**خوجه نصيرى طوسى**"[348] فى "**مراغه**"[349] فى زمن **هولاكو خان**. وأغلب الظن، أنهم رتبوا فى الدنيا أكثر من سبعة أو ثمانية مراصد مرتبة. أحدها يرجع إلى الخليفة المأمون وأطلقوا عليه اسم "**الزيج المأمونى**"[350] نسبة إليه. كما رتب **بطليموس**[351] مرصدا، وأقاموا فى **الهند** مرصدا فى زمن "**راجه بكر ماجيت هندو**". فى **أجين**[352] **ودهار** فى دولة **مالوه**[353] المعروفة اليوم باسم **ماندو**. وهذا الزيج يستخدمه الهنود اليوم فى بلادهم. وقد مضت ألف وخمسمائة وأربع وثمانون سنة منذ ترتيب هذا المرصد

---

[348] **خوجه نصيرى طوسى**، هو نصير الدين الطوسى، محمد بن فخر الدين محمد الرازى. فيلسوف وعالم كبير فى علم الهيئة. ولد فى طوس سنة ٥٩٧هـ. كان رئيسا لوزراء هولاكو خان. له مؤلفات كثيرة فى الهيئة والهندسة والإلهيات. إستطاع أن يقنع هولاكو بإنشاء مرصد فريد فى عصره فى مراغه سنة ١٢٥٩م، وكسان بسه أدق الآلات، واشتهرت أرصاده بالدقة فاعتمد عليها علماء أوروبا فى القرون الوسطى. وأسس مكتبة ضخمة ضمت أربعمائة ألف مجلد من الكتب النفيسة فى مختلف الفنون والعلوم. وقد أسدى خدمة جليلة لعلم الهيئة بما وضعه من مؤلفات مثل الزيج الإلخانية وجداول الأزياج. ومن مؤلفاته المشهورة التجريد وهو فى علم المنطق. وفى التصوف أوصاف الأشراف، وفى علم الكلام التخليص قواعد العقائد. هذا فضلا عن كتبه فى الهندسة وعلوم الرياضة مثل المتوسطات بين الهندسة والهيئة، وجوامع الحساب فى التخت والتراب والكرة والاسطرلاب وغيرها من الكتب. انظر قاموس الأعلام، شمس الدين سامى ج٦، ص ٤٥٨٢.

[349] **مراغه**، فى آذربيجان، وتقع على مسافة ٨٠كم جنوب تبريز، فى السفح الجنوبى لسهل كوهسك. انظر، قاموس الأعلام، ج٦، ص ١/٤٢٥٦..

[350] **الزيج المأمونى**، كان الخليفة المأمون مغرما بالفلك، وظهر فى عهده يحيى بن أبى منصور المأمونى الذى وضع جداول فلكية، وقام بمشاهدات فلكية فوق جبل قرب بغداد، وفوق جبل قسيون قرب دمشق فى سنة ٢١٥هـ=٨٣٠م. انظر، جواد بحش، الحضارة الإسلامية، ترجمة وتعليق، على حسنى الخربوطلى، بدون تاريخ طبع، ص١٦٤.

[351] **بطليموس**، واسمه كلود بطليموس. أحد العلماء المشهورين فى الفلك والرياضيات، عاش فى الأسكندرية فى مطلع القرن الثانى الميلادى. وله مؤلفات كثيرة فى علوم الهيئة والجغرافيا والرياضيات. ومن أكبر وأشهر مؤلفاته فى علم الهيئة، أثره المعروف عند العرب باسم المجسطى. انظر، قاموس الأعلام، ج٢، ص ٢/١٣٢١.

[352] **أجين** بضم الأول وفتح الثانى، مدينة فى ولاية ملوى من بلاد الهند. وهى مدينة مقدسة عند أهل الهند. وبها مرصد جعل للهندسين يمر به خط نصف النهار على رأى الجغرافيين منهم وكانت عاصمة لبلاد السند قبل سنة ١٢٢٥هـ. انظر، منجم العمران فى المستدرك على معجم البلدان، جمعه ورتبه السيد محمد أمين الخانجى، ط١، القاهرة ١٩٠٧، ج٩، ص١٥١.

[353] **مالوه**، وتكتب أيضا ملوه، إقليم كبير فى وسط الهند. قاموس الأعلام، ج٦، ص ٢/٤١٢٤.

(٤٧أ). وهو ناقص مقارنة بالزيجات الأخرى. وقد شيد أولغ بك مبنى كبيرا وسط حديقة "باغ ميدان" فى سفح الطرف الغربى لربوة "كـــــهك "، ويطلقون عليه اسم "جهل ستون "[٣٥٤] وهو عبارة عن مبنى من طابقين كل أعمدته من الحجارة، وفى أركانه الأربعة أقيمت أربعة بروج تشبه المآذن، ويصعدون من هذه البروج إلى الطابق العلوى. وتنتشر الأعمدة الحجرية فى كل أرجائه وبعضها ذو التواءات، وبعضها له ميزاب"[٣٥٥]. وفى جوانب الطابق العلوى، أربعة إيوانات أعمدتها من الحجر. وكل مقاعد البناء مبنية من الحجارة. كما أنشأ حديقة أخرى فى سفح تل "كـــــهك " فى المسافة بين هذا البناء و ربوة "كهك ". وشيد فى نفس المكان قصرا كبيرا ووضع حجرا كبيرا بمثابة العرش، طوله تقريبا أربعة عشر أو خمسة عشر ذراعا، واتساعه حوالى سبعة أو ثمانية أذرع، وارتفاعه ذراعا واحدا. وقد جلبوا هذا الحجر الضخم من مكان بعيد جدا. وكان فى وسطه شرخ قالوا إنه حدث بعد نقله إلى هنا. كما شيد قصرا آخر فى هذه الحديقة (٤٧ب) كانوا يطلقون عليه اسم "القصــــــر الصينى"، لأن كل جدرانه من الصينى، فقد أرسل أولغ بك رجلا إلى الصين لجلبه من هناك. وداخل قلعة "ســـمرقند "، مبنى قديم يطلقون عليه اسم مسجد "اللقلقه"، لأن فى وسطه موضع إذا وطأته القدم يصدر صوت "لق لق" وهذا أمر عجيب ولا أحد يعرف السر فى هذا الصوت.

وقد أنشأ الأمراء فى عهد السـلطان احمـــد مـــيرزا، حدائق وبساتين

---

[٣٥٤] جهل ستون، بمعنى الأربعين عمودا.

[٣٥٥] الميزاب أو المزراب، عبارة عن أنبوبة من الحديد ونحوه تركب فى جانب البيت وعلوه من أعلاه لينصرف منها ماء المطر المتجمع، المعجم الوجيز، ص٢/٢٨٧.

كثيرة، منها حديقة "**جار باغ**" التى أنشأها "**درويش محمـــد ترخـــان**"، وهى حديقة قل نظيرها فى جمالها وهوائها وساحتها الواسعة. وإلى أسفل قليلا من حديقة باغ ميدان، وفوق ربوة مرتفعة، توجد حديقة أخرى تطل على مرج "**قلبـــه**" فيبدو المرج كله أسفل منها. وجعلوا الحديقة على طبقات مستوية تعلو بعضها البعض، وغرسوا فيها أشجار الدرداء الجميلة وأشجار السرو الأبيض والصفصاف. وهى مكان جميل حقا لايعيبه سوى عدم وجود ماء كثير به.

ومدينة "**سمرقند**" جميلة ومزينة بشكل رائع. وتمتاز بميزة يندر وجودها فى أى مدينة سواها. فكل تاجر من تجارها له حانوت خاص به، ولا يختلط التجار ببعضهم، ولهم تقاليدهم وأصول تعاملهم. وفيها صناع الخبز والطهاة الشجعان.

وتنتج **ســـمرقند** أجود أنواع الورق فى الدنيا، وكل لوازم ورق الجوز تأتى إليها من "**كان كل**"[356]، الواقعة على ضفاف ماء "**قـــره ســو**"، (١٤٨) الذى يطلقون عليه اسم "**ماء الرحمة**". ويخرج أيضا من **سمرقند** المخمل الأسود الذى يشتهر باسمها، ويذهب إلى كل أنحاء الدنيا. وتحيط بها المراعى الجيدة. ومن مراعيها المشهورة مرعى "**قره سو**" فى الطرف الشرقى لمدينة **ســمرقند**، على مسافة فرسخ واحد فى اتجاه الشمال. ويجرى ماء "**قره سو**" من وسط "**كان كل**" وبه ماء يكفى لتشغيل سبع أو ثمان طواحين. وأطراف النهر كلها مستنقعات. والاسم الأصلى لهذا المرعى هو "**كان آبكير**"، لكنه يكتب فى كتب التاريخ دائما "**كان كـل**". وهو مرعى غاية فى الجمال. وقد أنشأ سلاطين **سمرقند** فى هذا المرعى أماكن لإقامتهم،

---

[356] كان كل، اسم مرعى فى الطرف الشرقى من "سمرقند".

يخرجون إليها مرة واحدة فى العام لمدة شهر أو شهرين.

وأعلى منه فى اتجاه الجنوب الشرقى ، يوجد واد آخر اسمه "خان يوردو"[٣٥٧] ويقع فى شرق سمرقند على مسافة فرسخ منها، يجرى بداخله ماء "قره سو" ويذهب إلى "كان كل". وينحنى هذا الماء داخل "خان يورد" فيظهر مكان يكفى لنزول الجيش. ومكان الخروج منه ضيق جدا. وقد أقمت على حافة هذا الماء عدة مرات أثناء حصار سمرقند عندما تبينت أنه يصلح لهذا.

ومن المراعى أيضا (٤٨ب) مرعى "بودانا" الواقع بين "دلكشا" وسمرقند. ويقع مرعى "كول مغاك"[٣٥٨] فى الشمال قليلا من سمرقند، على مسافة فرسخين ناحية الغرب. وهذا أيضا مرعى جميل. ويطلقون عليه هذا الاسم لأنه يقع على حافة بحيرة كبيرة. وأثناء محاصرتى لسمرقند، كان السلطان "على ميرزا" يقيم فيه، بينما أقيم أنا فى خان يوردو. هناك أيضا مرعى "قلبه" وهو أصغر من المراعى الأخرى. وفى شماله قرية "قلبه"، ونهر "كهك"، وفى جنوبه "باغ ميدان" وحديقة محمد ترخان، وفى شرقه تل "كهك"

بخارا[٣٥٩]:

[٣٥٧] خان يوردو، بمعنى موطن الخان.

[٣٥٨] كول مغاك، بمعنى حديقة البحيرة.

[٣٥٩] قال الإصطخرى فى وصف بخارا فى مطلع القرن الرابع الهجرى أى العاشر الميلادى : "لم أر أو بلغنى فى الإسلام بلدا أحسن خارجا من بخارى، لأنك إذا علوت قلعتها لم يقع بصرك من جميع النواحى إلا على خضرة، تتصل خضرتها بلون السماء، فكأن السماء بها مكبة خضراء مكبوبة على بساط أخضر تلوح القصور فيما بينها كالنواتر فيها، وأراضى ضياعهم مقومة بالاستواء كأنها المرآة، وليس بما وراء النهر وخراسان بلدا أحسن قياما بالعمارة على ضياعهم من أهل بخارى، ولا أكثر عددا على قدرها فى المساحة". الإصطخرى، ص١٦٤ ــ ١٦٥.

ولاية كبيرة تناظر "سمرقند". وتقع فى الغرب منها، على مسافة خمسة وعشرين فرسخا.

وفي "بخارا" عدة مراكز تجارية. والمدينة رائعة الجمال. فاكهتها وفيرة وجميلة، وشمامها طيب جدا. ولا يوجد فى ما وراء النهر شمام طيب ووفير مثل شمام "بخارا". وفى "الخسى" من ولاية فرغانه نوع من الشمام اسمه "شمام الأمير تيمور"، وهو ألذ وأطيب من أى شمام آخر. لكن شمام "بخارا" على اختلاف أنواعه وفير وجيد. كما أن برقوق "بخارا" أيضا مشهور، وليس مثل برقوق بخارا برقوق آخر يشبهه. وهم هنا ينزعون منه النواة، ويجففونه ويصبح بضاعة نادرة، ومنها يرسل إلى الولايات الأخرى (٤٩أ). وهو دواء ملين ممتاز. كما أن الطيور والدجاج والأوز وفير هنا.

كش[٣٦٠]:

ولاية فى جنوب "سمرقند"، على مسافة تسعة فراسخ[٣٦١]. و بين "سمرقند" و "كش" جبل اسمه "إيتمك دابان"[٣٦٢] ويقولون إن كل الأحجار التى تستخدم في النحت يجلبونها من هذا الجبل. كما يطلقون عليها اسم "شهر سبز"[٣٦٣]

---

[٣٦٠] كش، وصفها الإدريسي ف القرن السادس الهجرى بأنها "مدينة جليلة كثيرة الأهل عامرة بالناس والتجار، وبناؤها بالطين والخشب، ولها فواكه كثيرة يحمل فاضلها إلى سمرقند وبخارا، ويرتفع من مدينة كش من الملح الذراني المعدني ما يحمل إلى سائر الآفاق ويقع بجبالها الترنجبين كثيرا. انظر، الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٥٠٠.

[٣٦١] تسعة فراسخ، هذه المسافة تعادل حوالى خمسة وأربعين كيلومتر.

[٣٦٢] إيتمك دابان، بمعنى جبل البناء.

[٣٦٣] شهر سبز، بمعنى المدينة الخضراء.

لوقوعها وسط الخضرة الجميلة التى تكسو المدينة كلها والسهول فى الربيع. وقد سعى تيمور بك كثيرا ليقيم فيها عرشه لكونها مسقط رأسه، وشيد قنطرتين كبيرتين ليقيم فوقهما ديوانا له ويجلس على جانبيها من جهة اليمين والشمال أمراء النواحى وأمراء الديوان. كما ابتنى دوائر صغيرة حول هذا الديوان ليجلس ذوى الحاجات للسؤال عن حاجاتهم. ويقولون إنه يندر وجود ديوان بهذه الضخامة فى أي مكان آخر من العالم، بل إنه أكبر من ديوان كسرى. وشيد أيضا فى "كش" مدرسة ومقبرة. وبها قبر جهانكير ميرزا، وقبور بعض أبنائه (٤٩ب). ولأن "كش" مدينة غير مؤهلة للتطور مثل سمرقند، فقد اتخذ تيمور بك من سمرقند مقرا لعرشه.

ولاية قارشى[٣٦٤]:

ويقولون عنها أيضا "نسف" و "نخشب". وقارشى اسم مغولى يطلقونه على القبر فى اللغة المغولية. والغالب أن هذا الاسم أطلق عليها بعد استيلاء جنكيزخان عليها[٣٦٥]. وماؤها قليل، وربيعها لطيف. ومحصولها وشمامها طيب. وتقع قارشى على مسافة ثمانية عشر فرسخا من "سمرقند"، فى اتجاه الجنوب الغربى منها مع ميل قليل جهة الغرب. وفيها من الطيور فقط طير ذو ذيل من الشعر يشبه ديك الخلنج. وهو كثير جدا فى ولاية قارشى.

---

[٣٦٤] قارشي، وتكتب أيضا قرشي وقد وردت في الأصل الجغتائي لهذا النص "قرشي" وقد آثرنا أن نكتبها "قارشي" تحسبا لاحتمال قراءتها قرشي نسبة إلى قريش. وقارشي هي مسقط رأس علماء كثيرين منهم نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفي صاحب العقائد النسفية والمتوفى ٣٥٧هـ=٩٦٧م.، وأبو البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفي من مشاهير الفقهاء وصاحب كتاب الوافي وشرحه والمتوفى ٧١٠هـ=١٣١٠م.، انظر، معجم البلدان، ج٨، ص٣٧٣.

[٣٦٥] عندما استولى جنكيز خان على بلاد ما وراء النهر وقد اجتاحها كلها بالحديد والنار، قصد قارشي واتخذها مركزا لقيادته في الصيف. انظر فامبري، تاريخ بخارى، ص ١٧٥.

ويطلقون عليه هناك اسم "ديك قارشى ".

ومن الولايات ولايتى خزار و كرمينه[٣٦٦] وتقعان بين "سمرقند " و " بخارا ".

ولاية قره كول :

وهى أوفر ماء مقارنة بسائر الولايات الأخرى. تقع فى شمال غرب "بخارا "، على مسافة سبعة فراسخ منها . وبها أقضية جميلة مثل، قضاء سغد وأقضية أخرى قريبة منه. وهى منطقة مشهورة. ولا يخلو فرسخ واحد بين "قره كول " و "بخارا" من قرى أو أماكن معمورة. وقد قال تيمور بك :"عندى حديقة يبلغ طولها ثلاثون فرسخا "، ويعنى بقوله هذا، هذه الأقضية الجميلة.

قضاء[٣٦٧] شاودار :

وهو قضاء لطيف جدا يتصل بالمدينة وبأحيائها . وفى طرف منه يقع الجبل الذى يفصل بين "سمرقند" و "شهر سبز". (١٥٠أ) وأكثر قراه تقع فى سفح هذا الجبل. كمايجرى فى طرف منه أيضا نهر "كوهك ". وهو قضاء رائع الجمال لطيف الهواء. فمنطقة ذات صفاء، ماؤها وفير، وغلاتها كثيرة. ويقول السائحون الذين زاروا مصر والشام، إنهم لم يشاهدوا مكانا يشبه شاودار. وهناك أقضية أخرى

---

[٣٦٦] كرمينه، كانت تسمى كرمينية وتقع على مسافة خمس وعشرين كيلو متر من دبوسية وهى كرمينه الحالية ويعد نرشخى المسافة من بخارا إلى كرمينية على أنها أربعة عشر فرسخا أى حوالى سبعين كيلو متر بينما يجعلها السمعانى وياقوت ثمانية عشر فرسخا أى حوالى تسعين كيلومتر، انظر، بارتولد، تركستان، ص١٩٠

[٣٦٧] القضاء، تقسيم إدارى وجمعه أقضية ويعتبر أصغر التقسيمات الإدارية، قاموس تركى، ص٣/١٠٧٣.

غيره لكنها ليست مثله، لذا نكتفي بهذا القدر.

أعطى تيمور بك إدارة "سمرقند" إلى جهانكير ميرزا. وبعد موت جهانكير، أعطاها لابنه الأكبر السلطان محمد جهانكير. كما أعطى شاهرخ ميرزا ولاية ما وراء النهر كلها لابنه الأكبر ألغ بك ميرزا. فانتزعها منه ابنه عبد اللطيف ميرزا. ومن أجل هذه الدنيا الفانية، وأيامها الخمسة، استشهد والده الشيخ الورع. وقد ضبط تاريخ موت ألغ بك ميرزا على النحو التالي:

"أولغ بك"، بحر العلم والعقل، مسند الدنيا والدين، ذاق الشهادة بيد عباس، وأرخ له بجملة "قتل عباس"[٣٦٨].

ولم تستمر سلطنة (عبد اللطيف) أكثر من خمسة شهور.

وذلك البيت المشهور يقول:

" إن قاتل والده غير جدير بالسلطنة. وإن صار سلطانا،

فإن سلطنته لا يمكن أن تدوم لأكثر من ستة شهور"[٣٦٩].

وقد ضبط تاريخ موته على النحو التالي:

كان عبد اللطيف، سلطانا ذا جاه مثل جمشيد (٥٠ب) وكان فريدون وزردشت ضمن عبيده. فقتله بابا حسين بسهم في ليلة الجمعة، وأرخ له بأن "قتله بابا حسين"[٣٧٠]

---

[٣٦٨] البيت بالفارسية. وقد قتل أولغ بك ميرزا، بيد من يدعى سيد عباس، انتقاما لقتل والده، وبتحريض من ابنه عبد اللطيف ميرزا. وقد قتل سيد عباس هذا بعد ذلك بأمر عبد اللطيف ميرزا. انظر بابر نامه ورقة ٥٠أ وما بعدها.

[٣٦٩] البيت مكتوب بالفارسية وهو لنظامي الكنجوي.

[٣٧٠] البيت مكتوب بالفارسيه.

انتقل عرش "سمرقند" بعد عبد اللطيف ميرزا[٣٧١] إلى عبد الله ميرزا، حفيد شاهرخ ميرزا، وابن السلطان إبراهيم ميرزا، وصهر ألغ بك. وظل فى مقام السلطنة لمدة عام ونصف أو عامين. ثم آلت السلطنة من بعده إلى السلطان "أبوسعيد ميرزا". وتنازل عنها فى حياته إلى ابنه الأكبر السطان احمد ميرزا. وبعد موت السلطان "أبوسعيد ميرزا"، تبوأ السلطنة من بعد ابنه السطان احمد ميرزا، وأعقبه على عرش سمرقند بعد وفاته، السلطان محمود ميرزا، ثم "بايسنغر ميرزا". وقدقبض على "بايسنغر ميرزا" أثناء تمرد الترخانيين[٣٧٢]، وألقى فى الحبس، وأجلسوا مكانه أخاه الأصغر السلطان "على ميرزا" لمدة يوم أو يومين.

وكما ذكرنا فى هذا التاريخ، أن "بايسنغر ميرزا" استرد العرش مرة أخرى. وقد انتزعناه نحن من "بايسنغر ميرزا". أما بقية الأحداث الأخرى التى جرت، فسوف يرد ذكرها فيما بعد.

إعتلاء بابر عرش سمرقند :

بعد اعتلائى عرش "سمرقند"، أوليت أمراءها جل اهتمامى ورعايتى كسابق عهدهم. كما أظهرت مظاهر الإحسان والرعاية، لأمرائى الذين بجانبى، لكل حسب كفائته ومكانته. (٥٤أ) أما فيما يتعلق بالسلطان أحمد تنبل، فقد أوليته من

---

[٣٧١] يقول منجم باشى فى وصف عبد اللطيف ميرزا، إنه كان مهورا سفاكا فتاكا لم يوقر الكبير ولم يرحم الصغير ولم يترك قلبا إلا كسره من الصغير والكبير فتنفر منه القلوب تنفرا كليا"انظر، منجم باشى، جامع الدول، ج٢، ورقة٢٥١أ].

[٣٧٢] عن هذه الواقعة، انظر، بابر نامه، ورقة ٣٦ب–٣٧أ].

رعايتي ما يليق به، ويزيد عمن سواه. فقد كان من الأمراء الخواص، وارتقى إلى مصاف الأمراء الكبار. وقد حاصرنا سمرقند شهور سبعة، وملكناها بشق الأنفس. فلما جاء تنبل، تبين أن الجند قد استولوا على بعض الأشياء كغنائم[٣٧٣].

بعد "سمرقند"، انضوت بقية الولايات الأخرى تحت لوائي باختيار أهلها ورغبتهم، وصارت تحت إدارتي أو إدارة السلطان "علي ميرزا". ولا يمكن نهب هذه الولاية وهي تابعة لنا. والولايات التي تعرضت لهذا القدر من الاعتداءات لا يجنى منها ثمر، كما نفد ما غنمه الجند. وكانت سمرقند عندما أخذناها، مخربة تماما، وتحتاج لوقت طويل حتى تؤتي ثمارها، وتعود إلى حالها. فكيف والأمر كذلك، يستطيع المرء أن يظفر منها بشيء. لهذا كله عاش الجند في ضيق وشظف وأنا بدوري عاجز عن تقديم شيء لهم، فضلا عن شعورهم بالحنين إلى أهلهم. فأخذوا يفرون واحدا تلو الآخر. وكان أول الفارين قولي بيان قولي، ثم أعقبه إبراهيم بكجيك. كما هرب كل المغول. ثم هرب أيضا السلطان أحمد تنبل. ولكي نضع حدا لهذا الاضطراب، أرسلنا مولانا القاضي[٣٧٤]. وكان مولانا القاضي يثق تماما في إخلاص أوزون حسن (٥١ب) واتفق معه أن ينزل العقاب ببعض هؤلاء الهاربين، ويرسل لنا البعض الآخر. ولم يكن المتسبب في هذا الاضطراب، والمحرض لهؤلاء الهاربين على هذه المساوىء، سوى أوزون حسن هذا الجاحد. وقد

---

[٣٧٣] هذه العبارة جاءت في الإنجليزية "فلما دخلنا استولى الجند على بعض الأشياء كغنائم" دون ذكر لاسم تنبل. انظر الترجمة الإنجليزية ص ٨٧. وجاءت في الفارسية "در آن آمدن بدست مردم لشكر او جه جيزى نيفتاده بود" ومعناها: وفي المجيء هذه المرة، لم يجد الجند شيئا. انظر الترجمة الفارسية ص٣٤.

[٣٧٤] أرسله إلى اوزون حسن في أندجان كما سيتضح من سياق العبارة بعد ذلك.

اتضحت كل مساوئه بذهاب السلطان أحمد تنبل إلى هناك.

خلاف بابر مع أوزون حسن وأحمد تنبل :

كما نسير الجيوش بغير توقف، ولسنوات طوال بهدف الاستيلاء على "سمرقند". ورغم أننا لم نلمس خلالها، أي مساعدة تذكر من السلطان محمود خان، فإنه بعد أن فتحنا سمرقند، رغب [٣٧٥] أن يأخذ منا "اندجان". في هذه الأثناء هرب القسم الأعظم من الجيش وكل المغول وذهبوا إلى "اندجان" و "اخسى، فأراد أوزون حسن و (السلطان أحمد تنبل)، أن تؤول هاتان الولايتان [٣٧٦] إلى جهانكير ميرزا. وكان من العسير أن يتحقق هذا لسببين ؛ أولهما رغبة الخان في هذه الولايات على الرغم من عدم وجود وعد له بهذا. فإذا أعطينا هذه الولايات الآن إلى جانكير ميرزا، مع رغبة الخان فيها، فإنها ستؤدى إلى فساد العلاقة تماما معه [٣٧٧]. والسبب الآخر، أنهما طمعا في الحصول على هاتين الولايتين تحكما وإملاء لإرادتيهما، بعدما التحق بهما رجالنا الهاربون، ولو أن طلبهم هذا كان في وقت سابق، (٥٢أ) لأمكن تحقيقه، ولما اعتبرناه تحكما. أما الآن فقد فر جند المغول و"اندجان" وبعض الأمراء والخواص من عندي وذهبوا إلى "اندجان" ولم يبق معي في سمرقند سوى ما يقرب من ألف رجل بين جيد ورديء. فلما عجز أوزون حسن وأحمد تنبل، عن تحقيق ما يرميان إليه، ضما إليهما الهاربين والخائفين

---

[٣٧٥] أي السلطان محمود خان.

[٣٧٦] يقصد "اندجان" و"اخسى".

[٣٧٧] جاء معنى هذه العبارة مختلفا في الترجمة الإنجليزية، فجاء "إنه في حالة إعطائهما إلى جهانكيرميرزا، يجب عقد اتفاق مع الخان" انظر الترجمة الإنجليزية ص٨٧.

من الناس بعد أن أثارا مخاوف المتشككين منهم مما ينتظرهم فى المستقبل، حتى أصبحوا يسألون الله حدوث أمر كهذا. ثم ساقا الجند من "الخسى" إلى "اندجان"، وصارت مساوئهما وعداوتهما (لنا) علانية.

كان تولون خوجه[٣٧٨]، من شجعاء بارين وأعيانها، وكان جسورا. وقد أولاه والدى الشيخ عمر ميرزا رعايته. و ترقى عندى وجعلته أميرا. والواقع أن شجاعته وجرأته تؤهلانه لذلك. ولما أخذ جند المغول يفرون من "سمرقند"، أرسلنا إليهم تولون خوجه، وهو رجلنا الذى نحترمه ونثق فيه من بين المغول، ليسدى لهم النصح ويزيل الخوف من قلوبهم، حتى لا يكون خوفهم سببا لأن يلقوا بأنفسهم إلى التهلكة (٥٢ب) لكن هؤلاء الجند والخونة المثيرين للفتنة، بلغوا تلك الدرجة التى لا يجدى معها نصح أوتهديد. وكان تولون خوجه موجودا فى المكان الذى يطلقون عليه اسم رباطك – أورجنى[٣٧٩] الواقع بين مائين. فأرسل أوزون حسن والسلطان أحمد تنبل عددا من المهاجمين ضده، فانقضوا عليه، وأمسكوا به، وقتلوه هناك.

ضياع "اندجان" من بابر :

جاء أوزون حسن وتنبل، وجهانكير ميرزا، وحاصروا "اندجان". وكنا لدى تحركنا[٣٨٠] قد تركنا على دوست طغايى فى "اندجان"، وأوزون حسن فى

---

[٣٧٨] تولون خوجه، أحد أمراء المغول الذين عملوا فى خدمة بابر توفى عام ١٤٩٨.

[٣٧٩] رباطك – أورجنى، فى فرغانه ويقع فى الشرق من اندجان.

[٣٨٠] يقصد تحركنا إلى سمرقند

"اخسى" ولحق به فيما بعد مولانا القاضى. وكان فى "اندجـان" عدد كبير من الجند القادمين من "سمرقند". وأثناء تولى مولانا القاضى أمر تلك القلعة وزع ثمانية عشر ألفا من الغنم على فتية القلعة والفتية المهاجرين الذين معنا. وذلك لعلاقته الطيبة بى، واحتراما لى. وأثناء الحصار كانت الرسائل تتوالى علينا باستمرار من أمهاتنا اللاتى فى القلعة ومن مولانا القاضى، بما يفيد : "إنهم يحاصروننا، فإن لم تسرعوا لنجدتنا، سيزداد الوضع سوء. لقد أخذتم سمرقند بقوة "اندجـان "(١٥٣أ) فإن صارت "اندجان " فى قبضتكم، يمكنكم استرداد سمرقند بمشيئة الله".

فى تلك الأثناء، مرضت ثم تحسنت حالتى، لكنى لم أحتط جيدا فى فترة النقاهة، فانتكست واشتدت وطأة المرض هذه المرة، وتفاقم الأمر وأمسك لسانى عن الكلام لمدة أربعة أيام. وكانوا يقطرون الماء فى فمى بقطعة قطن. وقطع الأمراء والفتية الذين خلواعى، الأمل فى تحسن حالتى، وانشغل كل واحد منهم بما يدور فى خلده. وفى ذلك الوقت أساء الأمراء التصرف مع مبعوث أوزون حسن الذى جاء مهددا بفاسد القول، وقبل أن يأذنوا له بالانصراف سمحوا له أن يرانى وأنا بحالتى هذه. وبعد أربعة أو خمسة أيام، بدأت حالتى فى التحسن وإن ظل لسانى ثقيلا لبضعة أيام أخرى، رجعت بعدها إلى حالتى الطبيعية. وعندما كانت تصلنى رسائل بهذا المعنى من أمهاتى، أى أمى وجدتى إيسن دولت بيكم، و من الخوجه مولانا قاضى شيخى الحكيم، يلحون فيها كل هذا الإلحاح، (فى حضورى إلى اندجان)، كيف يمكن للمرء أن يتجاهل الأمر.

أن اعتليت السلطنة فى سمرقند هذه المرة لمدة مائة يوم (٥٣ب). وبلغت "خجند" فى يوم السبت (التالى). وفى ذلك اليوم جاء أحدهم من "اندجان" وأبلغنا أن على دوست طغايى قد سلم قلعة "اندجان" إلى المناوئين لنا قبل سبعة أيام، أى فى يوم السبت الذى غادرنا فيه سمرقند. وتفاصيل ذلك على النحو التالى :

"عندما رقدت مريضا فى "سمرقند"، وسمح أمرائى لرسول أوزون حسن بأن يرانى فى مرضى ثم سمحوا له بالعودة، ذهب بعدها إلى المناوئين لنا الذين يحاصرون قلعة "اندجان" وأبلغهم " أن لسان السلطان قدأمسك، وأنهم يقطرون له الماء فى فمه"، وكرر نفس الكلام أمام على دوست وأقسم له على ذلك. وكان على دوست فى تلك الأثناء فى "باب الخاقان"، وفت هذا الخبر فى عضده. فاستدعى المناوئين لنا وسلم لهم القلعة بميثاق وشرط. ولم يكن استسلام القلعة لنقص فى المؤونة والرجال، إنما بسبب جبن المنافقين والخونة والسفلة، الذين اتخذوا من مقولة ذلك الرجل ذريعة للاستسلام. ولما بلغهم خبر وصولى إلى "خجند"، بعد ضياع اندجان، علقوا مولانا القاضى على باب القصر وقتلوه بشكل مزر.

سيرة مولانا القاضى:

اسم مولانا الخوجه (٥٤أ) القاضى، هو عبد الله. وقد اشتهر بهذا الاسم. ويمتد نسبه من ناحية والده إلى الشيخ برهان الدين قليج، ومن جهة أمه إلى السلطان "ايليك ماضى". ومن أبناء هذه العائلة خرج الأئمة وشيوخ الإسلام والقضاة فى ولاية فرغانه. وكان مولانا القاضى مريدا لمولانا الشيخ عبيد الله.

فقد تربى على يديه. ولا يساورنى شك فى كرامات **الخوجه** إذ سرعان ما هلك كل من أرادوه بسوء، وامحى أثرهم. وماذا أدل من هذا على أنه صاحب كرامات.

كان **مولانا القاضى** رجلا عجيبا، جسورا. لم أر أبدا رجلا بشجاعته. وهذه الشجاعة دليل آخر على كراماته. فأى رجل مهما بلغت درجة شجاعته، يمتلىء أمامه خوفا ورهبة بينما **الخوجه** لا يعتريه أى خوف أو رهبة. وبعد مقتله، استولوا على كل رجاله ومزارعيه ونهبوا متاعهم.

ضاعت "**سمرقند**" من بين أيدينا فى خضم انشغالنا بـ "**اندجان**". ثم ضاعت "**اندجان**" أيضا. وانطبق علينا المثل القائل، "أن الغافل مطرود من هنا، ومحروم من هناك". وكان هذا ثقيل الوطأة على نفسى، فلم يسبق لى منذ أن تبوأت السلطنة، أن خلوت من رجالى وولاياتى (٥٤ب) كما أخلو الآن، ولم أعان منذ أن وعيت، قدر ما أعانه الآن من مشقة وعدم استقرار. فلما بلغنا "**خجند**"، لم يتحمل بعض المنافقين رؤية "**خليفة**" حاجبا على بابى. وبذل **محمود حسين ميرزا** وآخرون، جهودا كبيرة حتى سمحنا **لخليفة** بالذهاب إلى **تاشكند**.

استعانة بابر بالخان لاسترداد " اندجان ":

أرسلت "**قاسم بك**" إلى "**الخان**"[٣٨١] فى **تاشكند**، يسأله العون فى السير إلى "**اندجان**". فجاء **الخان** بجنده من وادى "**آهنكران**"[٣٨٢]، واتجه إلى أسفل ونزل

---

[٣٨١] يقصد خاله السلطان محمود خان.

[٣٨٢] آهنكران، فى فرغانه.

بجوار ممر "**كندرليك**"[٣٨٣]، وجئت بدوري من "**خجند**" والتقيت به هناك، وتجاوزنا الممر معا، ثم نزلنا إلى طرف "**اخسي**". وفي المقابل جمع أعداؤنا الخارجون علينا كل ما لديهم من قوة، وجاءوا إلى "**اخسي**". وقد أعرب من بداخل "**حصن بـــاب**" عن مساندتهم لنا بأن أغلقوا الحصن (في وجه أعدائنا) . لكن الخارجون علينا استطاعوا أن يستولوا على "**حصن باب**" بالقوة بسبب بعض التصرفات الثقيلة بعض الشيء من جانب **الخان** .

وواقع الأمر أن **الخــان** كان طيب السلوك والخلق، لكنه لا يفقه شيئا في الفروسية وقيادة الجيش. وفي موقف كهذا كان معنى السير إلى منزل آخر على الأكثر، يعني أن الولاية ستؤول إلينا بغير قتال. لكن **الخان** أصغى إلى كلمات أعدائنا الخادعة، حينما (١٥٥أ) أوفدوا إلينا "**بك تيلبه**" الأخ الأكبر لتنبل وكان في الوقت نفسه حاجبا **للخان**، وبصحبته **خوجـــه أبـو المكــارم**، مقترحين عقد الصلح. واختلقوا الأسباب لإنقاذ أنفسهم، كما عرضوا النقود والرشوة على **الخان** ومن حوله، ودفعوهم إلى قبولها .

تخلي الخان عن مساندة بابر لاســـترداد " اندجـــان ":

رجع **الخان**[٣٨٤]، بينما الأمراء والخواص وغالبية من هاجر معي من الفتية مازالوا في "**اندجان**". كما تخلى عني سبعمائة أو ثمانمائة من الأمراء والفتية، بعدما قطعوا الأمل في استرداد "**اندجان**". ومن هؤلاء الأمراء **علي درويش بك** ، وعلي

---

[٣٨٣] كندرليك، في فرغانه.

[٣٨٤] يقصد رجع إلى تاشكند.

مزيد قوجين ، ومحمد باقر بك ، والشيخ عبد الله أشـيك أغـا ، ومـيريم لاغرى . بينما تراوح عدد من ظلوا بجانبى ممن اختاروا طريق المعاناة والغربة، بين مائتين وثلاثمائة رجل بخيرهم وشرهم. أما الأمراء الذين تمسكوا بالبقاء بجانبى فهم ، قاسم قوجين، وويس لاغرى بك، وابراهيم سارو، ومينغليغ بك، وشـميريم طغايي، وسيدى قره بك، ومن الخواص، ميرشاه قوجين، وسيد قاسم أشيك أغا جلاير،وقاسم عجب، ومحمد دوست، وعلي دوست طغايي، ومحمـد علـى مبشر، وخداى بردى توغجي المغولي، ويارك طغايي ، وسلطان قولى بابـا قولي، وبيرويس، وشيخ ويس،(٥٥ب) ويارعلي بلال، وقاسـم مـيراخور، وحيدر ركابدار . ومن شدة وطأة هذا الوضع على نفسي، بكيت رغما عني.

رجعت إلى "خجند"، ولحقت بي أمي وجدتي وبعض رجالي. وأمضينا هناك شهر رمضان من هذا العام.

طلب المساعدة من السلطان محمود خـان مـرة ثانيـة لاسترداد سـمرقند :

أرسلنا إلى السلطان محمود خان فى طلب المساعدة، بينما تحركنا نحن إلى "سمرقند ". وأرسل الخان ابنه السلطان "محمد سلطان"، ومعه أحمد بـك، على رأس أربعة أو خمسة آلاف من الجند إلى سـمرقند، بينما تحرك هو إلى "اوراتيبه ". وتقابلت مع الخان هناك، ثم سلكت طريق "يار يـلاق "[٣٨٥] قاصدا سمرقند، وكان السلطان محمد سلطان وأحمد بـك قد وصلا قبلنا إلى "يـار

---

[٣٨٥] يار ييلاق، طريق جنوب غرب فرغانه.

ييلاق" عبر طريق آخر. بينما اجتزت مرعى "**بوركه**" حتى بلغت "**سنكزار**" مركز تلك المنطقة. فلما علم **السلطان محمد سلطان وأحمد بك** بأمر هجوم "**شيباني خان**" على شيراز وماحولها، رجعا برجالهما من حيث أتوا. فرجعت بدوري مجبرا إلى "**خجند** ".

مادام الهدف هو السلطنة وطلب الملك، فحري بالمرء ألا يتخلى عنه إذا أخفق في إدراكه مرة أو مرتين، ولا ينبغي له الوقوف أمامه موقف المتفرج.

طلب المساعدة من السلطان محمود خان للمرة الثالثة :

ذهبت إلى **تاشكند** (٥٦أ) لطلب المساعدة من الخان وفي تصوري أنه سيتحرك معي إلى "**اندجان** ". وقد مضت ثمان سنوات على رؤية **شاه بيكم**[٣٨٦] وأقاربها، فكان ذهابي إلى هناك فرصة لرؤيتهم. وبعد عدة أيام أمدنا بقوة معاونة عبارة عن **سيد محمد ميرزا دوغلت، وأيوب بكجيك، وجان حسن بارين** وحوالي سبعمائة أو ثمانمائة من الجند. وأسرعنا بهذه القوة المساعدة بغير توقف فتجاوزنا "**خجند** " وكانت "**كنيت بادم** " عن شمالنا، حتى بلغنا قلعة "**نسوخ**" الواقعة على مسافة عشرة فراسخ من **خجند** وثلاثة فراسخ من "**كنيت بادم**". وفي المساء وضعنا السلالم (على جدران القلعة) وشرعنا في الهجوم. وكان الموسم موسم الشمام. وينمو في "**نسوخ** " نوع من الشمام اسمه شمام "اسماعيل شيخي". قشرته صفراء، وقليل البذر. وهو نوع ممتاز. وبذره يشبه بذر التفاح. وله قشرة

[٣٨٦] شاه بيكم، هذه هي أم السلطان محمود خان خال بابر، وهي ابنة شاه سلطان محمد ملك بدخشان. وهي غير ايسن دولت بيجم جدة بابر، وأم قتلق نكار خانم.

سميكة بمقدار أربعة أصابع. وطعمه لذيذ جدا. ولا يوجد شمام مثله فى تلك الأنحاء. وفى صباح اليوم التالى أثار أمراء **المغول** مسألة قلة عدد رجالنا، بما لا يكفى لتحقيق الاستيلاء على القلعة. وكان الأمر كذلك بالفعل. و أدركنا أنه لاسبيل لنا إلى ذلك بسبب منعة القلعة. فرجعنا من هناك وتوجهنا إلى "**خجند**" مرة أخرى.

فى هذه السنة ساق "**خسرو شاه**" و "**بايسنغر ميرزا**"، الجند إلى "**جغانيان**"، واستولوا عليها بالحيلة. ثم أرسلا رسولا إلى "**السلطان مسعود ميرزا**" باقتراح مضمونه (٥٦ب)، أن يتحرك معهم إلى "**سمرقند**"، فإذا تمكنوا من أخذها، فليقم فيها أحد الأميرين، ويقيم الآخر فى "**حصار**". ورأى "**السلطان مسعود ميرزا**" حالة من التذمر بين أمرائه وخواصه وفتيانه، وذلك لأن "**الشيخ عبد الله برلاس**"، عندما انفصل عن "**بايسنغر ميرزا**"، وجاء إلى "**السلطان مسعود ميرزا**"، أولاه **الميرزا** عناية فائقة باعتباره صهره، وجعل له علوفة[٣٨٧] مقدارها ألف تومان[٣٨٨] رغم ضآلة (موارد) ولاية **حصار**، كما أعطاه ولاية "**ختلان**"، وبها الكثير من أمراء وخواص وأراضى **السلطان مسعود**، فوضع الشيخ يده على هذا كله. كما انتقلت إليه وإلى أبنائه كل أعمال الحجابة[٣٨٩]. لهذا هرب منه أولئك الأمراء

---

[٣٨٧] **العلوفة**، هي الرواتب التي تدفع للجند. شمس الدين سامي، قاموس تركي، ص٩٤٨/٣.

[٣٨٨] **ألف تومان**، التومان عبارة عن ألف وحدة، كل وحدة تتكون من عشرة آلاف عملة نحاسية، أى عشرة ملايين عملة نحاسية من عملات ذلك الوقت، انظر الترجمة الإنجليزية ص٩٣. وذكر شمس الدين سامي أن التومان رقم يعني عشرة آلاف. وتعني في إيران عشرة آلاف أقجه أي عملتين الذهب تعادل خمسين قرشا. قاموس تركي، ص ٤٥٤/١.

[٣٨٩] **الحجابة**، من الوظائف الهامة في الدولة التيمورية وغيرها من الدول الإسلامية في ذلك الوقت تشبه أعمال التشريفات والمراسم وشاغلها يتمتع بنفوذ وسلطات واسعة في المسائل الإدارية. انظر الترجمة التركية، ص٦٠٦.

المتذمرون، وذهبوا إلى "بايسنغر ميرزا". وبالخديعة، غافلا[390] "السلطان مسعود ميرزا"، وتحركا من "جغانيان"، ونجحا في فتح قلعة "حصار" في الصباح الباكر. وكان "السلطان مسعود ميرزا" مقيما في قصر دولت سراي الذي شيده والده في الأحياء الواقعة خارج القلعة، فلم يتمكن من دخول القلعة وانسحب هاربا ناحية ختلان مع "الشيخ عبد الله برلاس". وفي منتصف الطريق ترك "الشيخ عبد الله برلاس"، واجتاز ممر "أوباج"، وذهب إلى "السلطان حسين ميرزا" (بايقرا) (٥٧أ).

محاصرة "خسرو شاه" "بلخ":

بعد أن استولى "خسرو شاه" على ولاية حصار، أعطاها إلى "بايسنغر ميرزا"، كما أعطى "ختلان" إلى أخيه الأصغر "ولي". وبعد بضعة أيام تحرك بنفسه لمحاصرة بلخ. وقبيل تحركه، أرسل أحد رجاله الكبار ويدعى "نزار بهادر" ورفقته حوالي ثلاثة أو أربعة آلاف جندي، إلى جوار بلخ. وبعد ثلاثة أو أربعة أيام، ضم إليه "بايسنغر ميرزا"، وحاصر بلخ وكان بها إبراهيم حسين ميرزا، وعدد محدود من أمراء "السلطان حسين ميرزا". لذا أرسل أخاه الأصغر "ولي" بجند غفير لمحاصرة "شابوركان" ونهب ما حولها. ولما عجز "ولي" عن محاصرتها من قرب، أرسل قواته لمهاجمة الأهالي في صحراء "زرتك". فهاجموهم، واستولوا منهم على مائة ألف رأس من الغنم أو يزيد، وحوالي ثلاثة آلاف

---

[390] يقصد "خسرو شاه" و"باي سنقر ميرزا".

من الإبل. كما استولى (خسرو شاه) على بعض المناطق المنيعة من الجبل، وهاجم ولاية "سان وجاريك "[391] ونهبها، ثم أدرك أخاه الأكبر في بلخ.

أثناء محاصرة "خسرو شاه " لبلخ، أرسل "تزار بهادر" المار ذكره، لقطع طرق الماء الواصلة إليها . فتصدى له "تنبل بردى صامانج بك "، وكان مرموق المنزلة لدى "السلطان حسين ميرزا "، (٥٧ب) وبرفقته سبعين أو ثمانين من الفتيان، وقطع رأس "تزار "هذا، ثم رجع إلى القلعة. فيالها من شجاعة، فقد أنجز أمرا عظيما .

في السنة نفسها، ساق "السلطان حسين ميرزا " الجند لدفع شاه شجاع إبن ذو النون أرغون"[392] الذي التحق بخدمة "بديع الزمان ميرزا "، وزوجه ابنته، وسعى بالفتنة والفساد . ونزل السلطان حسين بجنده إلى "بست "[393] لكنه عجز عن تدبير ما يلزم جنده من مؤن من أي مكان. وبينما جنده يعانون من وطأة الجوع، إذ بوالي "بست " يسلم لهم القلعة، واستطاع السلطان أن يرجع إلى "خراسان " بما وجده في "بست " من مؤنة.

إن إرسال سلطان كبير مثل "السلطان حسين ميرزا "، الجند عدة مرات إلى "قوندوز"، وحصار، وقندهار، وقد توفرت لديه مثل هذه الاستعدادات، ومظاهر القوة، ثم رجوعه وقد عجز عن فتحها، كان ذلك سببا في تحرق أبنائه وأمرائه وسعيهم لإثارة العداوة والفتن.

---

[391] سان، من قرى بلخ، ويقال لها سان وجهار يك. معجم البلدان، ج٥، ص٢٠.

[392] جاءت في الترجمة الإنجليزية "لدفع ذو النون وابنه شاه شجاع"، ص ٥٩، وأيضا في الترجمة الفارسية ص٣٨.

[393] بست، تقع أسفل "زامين داور".

وفى الصيف أرسل "السلطان حسين ميرزا "، بعض الأمراء وجمع غفير من الجند تحت إمرة **محمد ولى**، لدفع ابنه **محمد حسين ميرزا**، الذى شارك فى فتن أدت إلى عدم استقرار الأوضاع فى "**استرآباد**"، بينما ظل هو بالقرب من "**تشين**". وفجأة خرج "**بديع الزمان ميرزا**" و**شاه بك** بن ذو النون، (٥٨أ) بالجند لمهاجمة **الميرزا**[٣٩٤].

لجوء مسعود ميرزا إلى السلطان حسين ميرزا :

لما عجز "**السلطان مسعود ميرزا**" عن الدفاع عن "**حصار**"، واضطر لتسليمها، ذهب إلى "**السلطان حسين ميرزا**". ومن قبيل الصدفة الطيبة أنه أدركه فى ذلك اليوم. كما لحق به[٣٩٥] أيضا فى اليوم نفسه، الجند الذين أرسلهم من قبل إلى "**استرآباد**"، وانضموا إليه، وعندما صاروا وجها لوجه، عجز "**بديع الزمان ميرزا**"، و**شاه بك** عن القتال، ولاذا بالفرار. وقد أحسن "**السلطان حسين ميرزا**"، استقبال "**السلطان مسعود ميرزا**"، وصاهره[٣٩٦]، وأولاه مودة ورعاية.

قبل هذا بفترة ،كان "**باقى جغانيانى**"، الأخ الأصغر **لخسروشاه**، قد لحق بـ "**السلطان حسين ميرزا**" وعمل فى خدمته، لكنه لم يقم فى "**خراسان**" بسبب فتنة (**باقى جغانيانى**)، واختلق الأسباب لمغادرتها بغير إذن "**السلطان حسين**

---

[٣٩٤] يقصد مهاجمة "السلطان حسين ميرزا".

[٣٩٥] يقصد بـ"السلطان حسين ميرزا".

[٣٩٦] صاهره، أى زوجه ابنته.

ميرزا "، ولجأ إلى "خُسرو شاه "، الذى استدعى بدوره "بايسُنغُر ميرزا "من "حِصار".

غدر خُسرو شاه بمسعود ميرزا :

فى هذه الأثناء دب الخلاف بين ميرانشاه ميرزا وأبيه أولُغ بك ميرزا[٣٩٧]. ولجأ إلى "هزاره "[٣٩٨]، ولم يستطع البقاء بها طويلا بسبب تجاوزاته، فذهب بدوره إلى "خُسرو شاه ". وفكر بعض قصار النظر، فى قتل الأمراء (التيموريين) الثلاثة[٣٩٩]، وقراءة الخطبة باسم "خُسرو شاه ". لكن "خُسرو شاه " وجد أن هذا أمر غير مقبول. ومن أجل هذه الدنيا الفانية، أمسك هذا الرجل الوضيع الخائن، بـ"السلطان مسعود ميرزا "(٥٨ب)، الذى رباه حتى كبر واتخذه وصيا، فسمل عينيه جحودا منه ونكرانا. فقام بعض إخوة "السلطان مسعود ميرزا " من الرضاع وأصدقائه ورجاله ذوى المكانة بجمله، وذهبوا به إلى "كش " قاصدين التوجه إلى "سمرقند " لدى (أخيه) السلطان "على ميرزا ". فلما بدت لهم سوء نوايا أولئك الموجودين فى كش، هربوا من هناك، واجتازوا ممر "جهارجو "[٤٠٠]، ولحقوا بـ "السلطان حسين ميرزا ". ألف لعنة تحل إلى يوم القيامة على كل من يسلك مثل هذا السلوك القبيح، ويقترف مثل فعلته. ولعنة الله على من علم بما فعله "خسرو شاه "، ومن علم به ولم يلعنه.

---

[٣٩٧] أولغ بك ميرزا، هو ابن السلطان أبو سعيد ميرزا، وهو غير أولغ عم ميرزا ابن شاهرخ ميرزا ابن تيمور لنك.

[٣٩٨] هزاره، جبال واقعة بجوار غزنة.

[٣٩٩] يقصد "باى سنقر ميرزا" ومسعود ميرزا، و ابن عمهم ميرانشاه ميرزا ابن أولغ بك.

[٤٠٠] جهارجو، ممر عند آمو.

وبعد هذا السلوك الدنيء الذي أتى به "خسرو شاه"، بوأ "بايسنغر ميرزا" السلطنة، وأذن له بالتوجه إلى "حصار". كما أرسل ميرانشـــاه إلى "بلميـــان"[٤٠١] وعين سيد كامل مساعدا له.

*****



[٤٠١] بلميان، بلده وكوره في الجبال بين بلخ وهراة وغزنة بها قلعة حصينة. معجم البلدان، ج٢، ص٤٨..

وقائع سنة أربع وتسعمائة[402]

لم نستطع أن نحقق من حملاتنا المتعددة على "سمرقند" و "اندجـــان نتيجة تذكر. ورجعنا مرة أخرى إلى "خجند". وخجند مكان محدود، يعاني فيه صاحب المائة أو المائتي جندي شظف العيش، (١٥٩أ) لكن صاحب القضية لا يكترث بهذا.

تخطيط بابر لاسترداد ســــمرقند :

في ذلك الوقت كان "محمـــــد حســـين كوركـــان دوغلــت "موجودا في "اوراتيبـــــــه"، فأرسلنا إليـه الرجـال بغيـة التعـاون معنـا فـي الهجـوم على "ســمرقند". واتفقنا على هذا. وطلبنا من محمـــــد حســـين أن يترك لنا مؤقتا قرية "بشاغر" إحدى قرى "يــاربيلاق" لنمضي فيها هذا الشتاء حتى نتمكن من الهجوم (قدر الاستطاعة) على ولاية سمرقند. (وقرية بشـــاغر هذه) واحدة من القرى الخاصة بحضرة الخوجه (يحيـــى)، وقد آلت إليه[403] أثناء هذه المنازعات. وقد وافق محمد حسين على هذا.

فشل بابر في دخول قلعة "ربـــاط خوجـــه":

تحركت من "خجند" إلى "بشاغر". و قبيل "زاميـــن "مرضت بالملاريا. ورغم هذا تحركت من "زامين"، وهجمت بسرعة على "ربـــاط خواجــة" من

---

[402] هذا التاريخ يقابل عامي ١٤٩٨-١٤٩٩م.

[403] يقصد إلى محمد حسين كوركان.

طريق الجبل، وكنت أنوي مباغتتهم وتسلق أسوار قلعة "**رباط خولجة**" مركز قضاء "**شاودار**"، والاستيلاء عليها. وقد بلغناها في الصباح، وكان أهلها قد علموا (بأمرنا)، فتراجعنا وتوجهنا إلى "**بشاغر**" دون التوقف في أي مكان. ولما كنت مريضا بالملاريا، فقد قطعت من الطريق مسافة ثلاثة عشر أو أربعة عشر فرسخا، بشق الأنفس.

بعد عدة أيام، كلفنا **ابراهيم سارو**، و**ويس لاغرى**، و**شيريم طغايى**، وعددا من الأمراء الخواص والفتيان، بالهجوم على قلاع "**يسار ييلاق**" والاستيلاء عليها طوعا أوكرها. وكانت "**يار ييلاق** "(٥٩ب) في يد **سيد يوسف بك** منذ غادرت "**سمرقند**"، وكان يحظى برعاية **السلطان** "**على ميرزا**". وقد أرسل **سيد يوسف بك**، أخاه الأصغر وابنه[٤٠٤]، للسيطرة على قلاع "**ياريبلاق**". وكان **أحمد يوسف** الذي أسندنا إليه إدارة "**سيال كوت**"[٤٠٥] (مؤخرا) موجودا في تلك القلاع آنذاك.

ذهب أمراؤنا وفتياننا وانشغلوا بهذا الأمر طوال الشتاء، فاستولوا على بعض القلاع بالصلح، وعلى بعضها بالحرب، وعلى بعضها الآخر بالحيلة والدهاء. ولا توجد قرية في تلك الولايات، لم تكن حصنا للمغول والأوزبك. أثناء ذلك ثارت الشبهات بسببنا حول **سيد يوسف بك** وأخيه الأصغر وابنه[٤٠٦]، فأذن[٤٠٧] لهم

---

[٤٠٤] جاءت في الترجمة الإنجليزية: "أرسل ابن أخيه الأصغر، انظر، الترجمة الانجليزية ص ٩٨.

[٤٠٥] يعني أسندت إليه إدارة سيال كوت الآن أي بعد فتح الهند مما يفيد أن كتابة هذا الكتاب كان بعد عام ٩٣٣ هـ = ١٥٢٧م.

[٤٠٦] جاءت هذه العبارة مختلفة في الترجمة الإنجليزية على النحو التالي: "وفي الوقت نفسه ثارت شكوك السلطان "علي ميرزا" حول سيد علي يوسف وابن أخيه بسببي فأبعدهما إلى "خراسان"، ص٩٨.

بالذهاب إلى "خراسان" .

إنقضى هذا الشتاء ونحن في قلق ونزاع. ومع حلول الصيف، جاء (السلطان "على ميرزا" ورجاله) إلى جوار شيراز وكابود بتشجيع من الجند[408]، وأرسل إلينا خواجة يحـــى لتصالح. كان معنا من الفرسان مايتراوح بين مائتى وثلاثمائة فارس، وهناك اعداء أقوياء يحيطون بنا من كل جانب، ولم يحالفنى التوفيق فـى الحملات التى قمت بها على "اندجـــان"، كما لم نظفر بنتيجة من استيلائنا على "ســـمرقند". ولهذا كله اضطررنا إلى عقد ما يشبه المصالحـة ورجعنـا إلى بشاغر[409]. (٦٠أ)

الذهاب إلى اوراتيبـــه :

"خجند"، مكان صغير[410] يعانى فيه أى حاكم ضيق العيش. وسبق وأن أمضينا فيه عاما ونصف عام مع رجالنا وعائلاتنا، لم يقصر خلالها المسلمون هناك، فى دفع الخراج وتقديم خدماتهم لنا . فبأى وجه نذهب إلى هناك مرة أخرى ؟ وإذا ذهبنا، فماذا بمقدورنا أن نفعل ؟.

لا سكن متاح نذهب إليه، ولا حظ دائم باق

وفى النهاية، ذهبنا ونحن مترددون إلى المصائف فى جنوب "اوراتيبــه" . وأمضينا هناك عدة أيام ونحن عاجزون عن التفكير وعن التحرك ولا نعرف وجهة

[407] يقصد السلطان "على ميرزا".

[408] يقصد جند "سمرقند".

[409] بشاغر، جاءت فى الترجمة الفارسية "بساغرج"، انظر، الترجمة الفارسية ص٣٩.

[410] المقصود أنها مكان صغير الموارد أى فقير وقدجاءت فى الترجمة الإنجليزية "إنه مكان فقير"، ص ٩٨.

نذهب إليها، أو مستقر لنا. وذات يوم جاء الخواجة أبو المكــارم لمقابلتى، وكان مثلنا حائرا، مطرودا من وطنه[٤١١]. وسألنى عن وجهتنا، وماذا نحن فاعلون. وقد تأسف لحالنا، فقرأ لنا الفاتحة[٤١٢] ثم انصرف. وكان لهذا أبلغ الأثر فى نفسى"[٤١٣].

دعوة بابر إلى مرغينـــان :

فى عصر ذلك اليوم، ظهر أمامنا فى الطرف السفلى من الوادى، رجل على صهوة جواد. كان الرجل واسمه "**يولجوق** " مبعوثا إلينا من عند "**علـــى دوســت طغايى** ". وقد أرسله برسالة فحواها[٤١٤]: "لقد بدرت منى آثام عظيمة، لكن أملى أن تعفوا عنا وتتجاوزوا عن سيئاتنا، وتأتوا إلينا (٦٠ب)، فأسلم لكم "**مرغينـــان**" وأكون عبدا وخادما لكم، فأكفر بهذا عن ذنبى وأمح عارى".

تلقينا هذه الرسالة ونحن فى هذا الوضع الحائر، فتحركنا على الفور بعد غروب شمس اليوم نفسه، بدون تردد أو تراخ، قاصدين "**مرغينـــان** ". والطريق من مكاننا هذا[٤١٥] إلى **مرغينان** يبلغ حوالى أربع وعشرين أو خمس وعشرين فرسخا لكننا واصلنا السير بغير توقف حتى صلاة الظهر من اليوم التالى. ونزلنا بإحدى قرى "**خجند** " وتسمى "تنك آب "[٤١٦]. فأرحنا الجياد، وقدمنا لها العلف، ثم استأنفنا

---

[٤١١] من "سمرقند".

[٤١٢] بمعنى دعا لنا. وقد جاءت فى الترجمة التركية بهذا المعنى، ص٦٣.

[٤١٣] أضافت الترجمة الإنجليزية كلمة "وأشفقت عليه"، انظر، الترجمة الإنجليزية ص٩٩.

[٤١٤] جاءت فى الترجمة الإنجليزية "أرسله برسالة مكتوبة"، انظر الترجمة الإنجليزية ص ٩٩.

[٤١٥] المسافة التى فى جنوب أوراتيه.

[٤١٦] تنك آب، بمعنى الماء الضيق.

السير في منتصف الليل مع دق الطبل. وواصلنا المسير من الليل حتى الصباح وطوال اليوم حتى غروب شمس اليوم التالي والليلة التالية. وقبيل الصباح، ونحن على مسافة فرسخ واحد فقط من "مرغينان"، تردد "ويس بك" وآخرون معه، وقالوا: "إن على دوست رجل سوء. فكيف نأتي إلى "مرغينان"، قبل أن نتبادل الرسل ونتفاوض معه مرة أو مرتين. ونأخذ عليه عهدا وموثقا". وواقع الأمر أن ترددهم هذا كان في موضعه لكن (١٦١أ) كان يجب التفكير فيه قبل مجيئنا إلى هنا. فقد واصلنا المسير ثلاثة أيام بلياليها، بغير توقف أو راحة، وقطعنا أربع أو خمس وعشرين فرسخا، كما أننا جميعا وكذلك الجياد، استنفدنا كل طاقتنا، فكيف لنا أن نرجع من هنا!، وإذا رجعنا، فإلى أين نذهب؟!. أما وقد بلغنا هذا المدى، فليس أمامنا سوى بلوغ هدفنا، ولن يكون إلا ما قدره الله لنا". وعلى هذا اتخذنا قرارنا، واستأنفنا سيرنا متوكلين على الله.

وصلنا إلى باب قلعة "مرغينان" وقت صلاة الضحى. وكان "على دوست طغايى" يقف خلف بابها. فطلب الأمان أولا قبل أن يفتح الباب. وبعد أن قطعنا له عهدا وميثاقا، فتح لنا الباب ووقف بين دفتيه. وتقابلنا، ثم نزلنا في مكان مناسب داخل القلعة. كان عدد رجالى كبيرهم وصغيرهم، مائتين وأربعين رجلا.

كان أوزون حسن والسلطان أحمد تنبل، قد اقترفا مظالم كثيرة بأهل الولاية، وأساءوا معاملتهم، لذا كان كل أهل المدينة يترقبون مجيئ.

إخضاع القبائل فى الجبال جنـــوب " اندجـــان ":

بعد يومين أو ثلاثة أيام من دخولنا "مَرغينان "، أرسلنا "قاسم بـــك " ومعه مايزيد عن مائتى رجل من رجال على دوست بـــك البشـــاغربين"[417] وكانوا حديثى العهد بالعمل فى خدمتنـا، إلى جنـوب "آندِجـــان "، ليُخضعوا قبائل "أشباريان"[418]، وتوروق شاران"[419]، وجكراك ". وهى من قبائل الجبل الواقع فى الطرف الجنوبى من "آندِجـان ". (فيُخضعوهم لنا) طوعا أو كرها. كما أرسلنا ابراهيم سارو، وويس لاغرى، وسيد قـوه ومعهم قوة تصل إلى مائة رجل، إلى "آخسِى"، ليعبروا نهر "خُجَنْد "، ويُخضعوا أهل الجبل والقلاع التى فى تلك الناحية بأى طريقة (٦١ب).

الدفاع عن قلعة مَرغينـــان :

بعد بضعة أيام، أخذ أوزون حسن والسلطان أحمد تنبَل، جهانكير ميرزا والمُغول وما لديهم من الفرسان، ورجال "آندِجان" و "آخسِى" القادرين على القتال، ونزلوا قرية "سبان "[420]" فى الطرف الشرقى من مَرغينان على مسافة فرسخ واحد منها، بغية محاصرة مَرغينـان. وبعد حوالى يومين، نظموا صفوفهم وجاءوا إلى ضواحى مَرغينان. ولم يكن معى سوى عدد قليل جدا من الجُند لأننى كنت قد

---

[417] البشـــاغربين، نسبة إلى بشاغر وهى إحدى قرى يار ييلاق بجوار "سمرقند".

[418] أشباريان، جاءت فى الترجمة الفارسية "اسباريان"، ص٤٠.

[419] توروق شاران، جاءت الترجمة فى الفارسية "ساران"، ص٤٠.

[420] سبان، جاءت الترجمة فى الفارسية "سبان".ص ٤٠.

وجهت تلكما القوتين إلى ناحيتين[٤٢١] تحت إمرة "**قاسم بك** " و **ابراهيــم ســارو**"، و**ويَس لاغـــرى** . ورغم هـذا، فإن فتيانى الشجعان، نظموا صفوفهم، وخرجوا للتصدى للعدو ولم يسمحوا له بتجاوز تلك الضواحى. وقد أحسن "**خليل جـــهره** "التصرف فى ذلك اليوم، وبذل جهودا كبيرة. فجاء الأعداء (ثم رجعوا) دون أن يظفروا بشىء قط، أو يقتربوا من القلعة.

نجاح رجال بابُر فى مهمتـــهم :

(٦٢أ) توجه "**قاسم بك** " إلى الجبال جنوب "**أندجـــان**"، وأخضع لسيادتنا الكاملة كل الأهالى المقيمين فـي الجبال والوديان فـى تلك المناطق، و (قبائل) **اشباريان، وطوروق شاران، وجكـــرك**. وهرب الفرسان (من تلك المناطق) ولاذوا بنا، واحدا تلو الآخر.

أما الذين كانوا تحت إمرة **ابراهيم ســارو، وويَــس لاغـــرى**، فقد ذهبوا إلى "**أخسى** " وعبروا إلى الشاطىء الآخر من النهر، ونجحوا فى أخذ قلعة "**بـــاب** "، فضلا عن قلعة أو قلعتين أخريين. وقد عانى أهل الولاية[٤٢٢] الكثير من ظلم **أوزون حسن وتنبل**، فقد كانا ظالمين فاسقين كافرين. وحرّض **حسن ديكچه** - الذى كان من أعيان "**أخسى** " ورجاله، بعض أوباش تلك المنطقة على التمرد، كما حرضوا من فى قلعة المدينة الخارجية على إغلاق القلعة. واستدعوا القوات الموجودة تحت إمرة **ابراهيم سارو، وويَس لاغرى، وسيد قره**، وأدخلوهم قلعة "**أخسى**" الخارجية.

---

[٤٢١] يقصد بالناحيتين : جنوب "اندجان" والأخرى "أخسى".

[٤٢٢] يقصد "اندجان".

وجاء السلطان محمود خان و بنده على، وحيدر كوكلداش، ومعه أيضا حـاجى غازى الذى هرب في تلك الأثناء من عند "شَيْبانى خــان" ولجأ إلى الخان محمود ومعه أمراء قضاء بارين، وقد جعلناهم معاونين لنا . وجاء (ابراهيم ســارو ومن معه) أيضا فى تلك الأثناء تماما .

لما علم أوزون حســن بهذا، تـكدَّر، وأرسل أتباعـه الذين قـام بتربيتـهم (٦٢ب) وخيرة فتيانـه، إلى قلعة "أخْسِيــى" للمساعدة. وصلت (هـذه القـوة) إلى حافة النهر فى وقت السحر . فلما علم جنودنا وجنود المُغول بوصولهم، عبر عدد منهم ماء النهر بجياد غير مسرجة، فاضطرب القادمون للمساعدة، ولم يسـحبوا بالسفينة إلى أعلى (النهر)، إنما سارعوا بتركها فى مكانها . فاتجهت السفن إلى أسفل بدون أن تعبر إلى ناحية القلعة. وبدأ جند المُغــول الذين معنا فى خوض الماء من كل صوب، بجيادهم العارية غير المسرجة. ولم يتمكنوا من مقاتلة أولئك الذين فى السفينة. وجذب "قارلوغاچ بخشى"[٤٢٣]، ابن أحد الأمراء المُغـول من يده، وقتله بالسيف. وهكذا انفلت زمام الموقف، وتسبب بحركـه هـذه فى موت أغلب من كانوا على ظهر السـفينة. فقـد أمسكوا[٤٢٤] بكل مـن سـقطوا فـى المـاء وذبحوهم. وكان قارلوغاچ بخشى، وخليل ديوانچه، وقاضى غـلام، من رجال أوزون حسن المرموقين ولم ينجُ من بينهم سوى قاضى غــلام حيث ادَّعى أنه من رجالنا . كما نجا أيضا سيد علــى وهو من الفرسان المرموقين، الذين يحظون اليوم

---

[٤٢٣] قارلوغاچ بخشى، أحد رجال أوزون حسن المعتبرين.

[٤٢٤] يقصد جنده ومن معهم من المغول.

بالمكانة عندي، وكذلك "حيدر قولي " و"قوليكه الكاشغري". ولم ينجُ من بين سبعين أو ثمانين رجلا، سوى خمسة أو ستة من الفتيان الشجعان (٦٣أ).

إسترداد "انديجان ":

لما سمع العدو بما حدث، لم يطق البقاء بجوار مرغينان، ورحل عنها مهزوما قاصدا "آنديجان ". وكان العدو قد ترك في "آنديجان " من قبل، ناصر بك زوج أخت أوزون حسن، وهو رجل مجرب شجاع، يأتي بالتأكيد في الدرجة الثالثة بين رجال (أوزون حسن)، إن لم يكن في الدرجة الثانية. فلما علم ناصر بك هذا بما جرى، أغلق قلعة "آنديجان "، وأرسل إلينا رسولا، فقد أدرك أن العدو فقد أرضه. فلما وصل أوزون حسن إلى "آنديجان "، وعرف أن القلعة قد أغلقت دونه، عجز عن التفاوض مع زوج أخته وتنازع معه، ثم انسحب إلى ناحية "آخسي" حيث تقيم أسرته. أما السلطان أحمدتنبل، فقد ذهب إلى ولايته في "أوش ". وتم تهريب جهانكير ميرزا وعدد من خواصه وفتيانه من عند أوزون حسن، ولحقوا بتنبل قبل أن يبلغ أوش.

لما علمنا بإغلاق "آنديجان " في وجه العدو، تحركنا من مرغينان في الحال مع شروق الشمس، وبلغنا (آنديجان) بعد الظهر. وهناك قابلتُ ناصر بك وأبناءه دوست بك، وميرم بك، واطمأننتُ عن أحوالهم، وأظهرتُ لهم العناية والرحمة. وكنتُ قد فقدتُ (آنديجان) . التي هي ولاية أبي - لمدة سنتين، (٦٣ب) وهأنذا

بعون الله أستردها في شهر ذي القعدة من سنة تسعمائة وأربع"[٤٢٥].

انسحب السلطان **أحمد تنبل** وبرفقته **جـهانكير مـيرزا** إلى **أوش**، فلما دخلها، تمرد عليه أهلها، وأخرجوه منها، وحافظوا على القلعة لحين مجيئنا. وأرسلوا إلينا رسولا. فذهب **جهانكير ميرزا** و**تنبل** وعدد من المؤيدين لهما إلى **أوزكنـــد**، ودخلوها وهم في حالة اضطراب.

دخول قلعة آخســى :

لما عجز **أوزون حسن** دخول "**أنديجان**"، اتجه إلى "**آخسِـى**". فلما علمنا باتجاهه إلى هناك، لم نستطع (الصبر على) البقاء في "**أنديجان**" أكثر من أربعة أو خمسة أيام، ثم تحركنا إلى "**آخسِى**" لأن **أوزون حســـن** هو رأس كل هذه الفتن. فلما وصل (**أوزون حســـن**) إليها، وضاقت أمامه السُبُل، طلب الأمان وعقد الميثاق وسلم القلعة.

أقمتُ في " **آخسِـــى** " عدة أيام. قمنا أثناءها بتنظيم أعمال " **آخسِـــى** " و "**كاشان**"، ثم أعطينا الإذنَ لأمراء **المغول**، وكانوا قد جاءوا من قبل لنجدتنا، وأخذنا **أوزون حسن** وأهله ورجاله ورجعنا بهم إلى "**أنديجان** ". وتركنا **قاســـم عجب** في "**آخسِيى** "بصفة مؤقتة، وكان فيما مضى من درجة الخواص من رجالى، ثم ارتقى حتى وصل إلى رتبة الإمارة.

سمحنا **لأوزون حسن** بالتوجه إلى "**حصار** " عبر طريق "**قره تكيـــن** " من

---

[٤٢٥] هذا التاريخ يقابل عام ١٤٩٨م.

غير أن يتعرض أحد له أو لأمواله بسوء أو أذى، ذلك لأننا قد عقدنا معه عهدا على ذلك، (٦٤أ) فتوجه إلى "حصـــار" ببعض رجاله. ولم يلحق به بقية رجاله لأنهم فضلوا البقاء معنا .

ضياع " اندجان " للمرة الثانيـــة :

كان لهؤلاء الرجال[٤٢٦] قصة معنا : أثناء فترة الاضطرابات، قبض هؤلاء الرجال على رجالنا وعلى مولانا القاضى ورجاله، وأعملوا فيهم السلب والنهب. فتشاورت بشأنهم مع بعض الأمراء ثم قررنا بشأنهم القرار التالى : " إن هؤلاء الرجال سبق وأن نهبوا الكثير من المؤمنين والمسلمين من أتباعنا، كما تسببوا فى الكثير من الفساد والهزيمة. (وكيف بهم وقد) كانوا أوفياء لأمرائهم، يظهرون لنا الإخلاص (الآن) ! ! . فماذا يحدث إن نحن أمرنا بالقبض عليهم وأخذنا أموالهم. ومن ذا الذى يتحمل بقاءهم ورؤيتهم أمام أعيننا وهم يركبون جيادنا ويلبسون لباسنا ويأكلون خبزنا . وإذا نحن رحمناهم ولم نقبض عليهم ولم نأخذ أموالهم، وإذا سمحنا (لرجالنا) الذين شاركونا الفتوح وأوقات المحن، أن يستردوا منهم أموالهم، فلابد (لأولئك الرجال) أن يشكروا (الله) لأنهم استطاعوا أن ينجوا بأنفسهم" . والواقع أن هذا الرأى بدا لنا معقولا، فأمرنا بأخذ متعلقاتهم.

والحقيقة أن هذا القرار كان معقولا وسليما لكنه صَدَر على عَجَلٍ. فلم يكن هناك معنى قطُّ لأن نتصرف مع هؤلاء الرجال بهذه الطريقة التى أفزعتهم (٦٤ب)،

---

[٤٢٦] يقصد رجال اوزون حسن الذين انضموا إليه.

بينما عدو مثل "جـهانكير مـيرزا " على مقربة منا .قد تبدو بعض القرارات (المتعلقة) بأخذ البلدان وحكمها تبدو فى ظاهرها سليمة وحكيمة، إلا أن منا لحكمة والضرورة التفكير فى هذه القرارات مائة ألف مرة قبل اتخاذها . فقد أسفر هذا القرار الذى اتخذناه بدون إمعان فكر، عن فوضى وفتن كثيرة. وأدركنا أخيرا أن هذا القرار الذى اتخذناه بدون إعمال فكر ، تسبب فى خروجنا من "أنديجـــان " للمرة الثانية. ونتيجة لهذا اتسع المجال لإشاعة الفوضى والخوف بين أولئك الذين فضلوا البقاء معنا وهم المغول ، فارتحلوا من "رباط أورجينى" الذى يطلقون عليه اسم "مـابين المـائين"، إلى أطراف "أوزكنـد "، وأرسلوا رسولا إلى تنبـــل (ليلحقوا به) .

كان لدى أبى ألف وخمسمائة أو ألفين من المغول. وجاء "حمزة ســلطان" و"مهدى سلطان " ومحمد دوغلت من حصار ومعهم مثل هذا العدد من المغول. وسرعان ما ظهرت الفتن والهزائم وكانت مصدرها دائما جنس المغول. وقد ناصبنى هؤلاء العداء خمس مرات حتى الآن. ولم يكن عداؤهم لنا بسبب عجزهم عن التفاهم معى. وإنما كان هذا ديدنهم فقد تصرفوا بنفس هذه الطريقة أيضا مع خاناتهم عدة مرات.

إتصال المغول بأحمد تنبـــل :

جاءنا السلطان "قلى جناق " بهذا الخبر[٤٢٧]، وكان أبوه "خـداى بـردى

---

[٤٢٧] يقصد خبر اتصال المغول بأحمد تنبل.

بوقاق ". الذى توفى مؤخرا من المغول الذين أوليهم رعايتى. (٦٥أ) وكان "قلى جناق" هذا موجودا عند المغول. (فلما علم بالأمر) انفصل عن أهله وعشيرته وجاء يحيطنا بالأمر خبرا. والحقيقة أنه بذلك أحسن التصرف، لكنه ارتكب فيما بعد من المساوئ، ما لا يجد معه مائة ألف صنيع طيب كهذا. وسيذكر هذا الأمر فيما بعد.

عندما علمت بهذا الخبر، جمعت الأمراء وتشاورنا. وكان رأى الأمراء أن (اتصال المغول بأحمد تنبل) عديم القيمة، وأنه أمر لا يستأهل خروج السلطان بنفسه على رأس الجيش. ويكفى خروج كل الأمراء تحت قيادة "قاسم بك ". وتم اتخاذ القرار بهذا. لقد ظنوا أن الأمر هين. لكن يبدو أن هذا التفكير كان خطأ.

هزيمة رجال بابر أمام أحمد تنبل :

فى ذلك اليوم أخذ "قاسم بك " الأمراء والجند وخرج (لمحاربة تنبل). وقبل أن يدركوه، كان تنبل قد التحق بالمغول. وعندما اجتاز أمراؤنا جسر "ياصى كجيت" من نهر "آيلامش " فى صباح اليوم التالى، وجدوا أنفسهم فجأة أمام (تنبل ورجاله). فتحاربوا معهم. اشتبك "قاسم بك" مع السلطان "محمد ارغون "، وتبارزمعه بالسيف مرتين أو ثلاث مرات، لكنه لم يتمكن من دحره. كما تبارز كثير من الفتيان مع المغول، لكنهم انهزموا فى نهاية المطاف (٦٥ب).

استطاع "قاسم بك " و "على دوست طغابى " و "ابراهيم سارو"،

و" وِيْس لاغرى "، و "سِيَدى قره "، وثلاثة أو أربعة من الأمراء والخواص، أن ينجوا بأنفسهم. بينما وقع أغلب الأمراء الآخرين والخواص في يد (تَنْبَـل ورجاله)، ومن بينهم؛ "على درويش بك " و"ميريم لاغرى " و"طوقه بك " و"طاغـاى بك " و"محمد دوست " و"على دوست " و"ميرشـاه قوجيـن " و "مـيريم ديوان". في هذه المعركة تبارز اثنان من الفتيان بشكل جيد، واحد (من رجالنا) يدعى "صَمَد " وهو من أخوة "ابراهيم سـارو" الصغار، ضدّ واحد من مغول منطقة حصار يدعى "شهسوار ". وظل "شهسـوار " هذا يتبارز حتى اخترق سيفه خوزة " صَمَد " وشج رأسه. وتمكن " صَمَد" رغم جرحه، من إنزال ضربة قوية برأس " شهسوار" الذى لم يكن يرتدى خوزة على رأسه. فأطار بسيفه قطعة بحجم قبضة اليد من عظام رأس " شهسوار ". وقد ضمدوا رأس " شهسـوار" وتحسنت حالته، أما " صَمَد " فلم يجد من يضمد له رأسه، فمات متأثرا بهذا الجرح بعد ثلاثة أو أربعة أيام.

حلت بنا هذه الهزيمة بمجرد أن استرجعنا الولاية[428] ونجونا من غارات العدو ومصائبه، ولم يكن هذا بالوقت المناسب. وكان قَنبَر على المُغولى وهو أكبر المؤيدين لى غير موجود معنا، فقد رجع إلى ولايته عندما أُخِذَت "أنديجان ".

فشل تنبَل فى الاقتراب مـن " انديجـان ":

(١٦٦أ) بينما نحن فى هذا الوضع، وصل تنبَل ومعه "جـهانكير"، إلى السهل

---

[428] يقصد أنديجان.

الواقع أمام تل "**عَيْش** " على مسافة فرسخ من "**أندجان** ". نظم (**تَنبَل**) جنوده مرة أو اثنين وجاء إلى سفح تل "**عَيْش**" من فوق "**جلدُختران** ". ونظم فتياننا قواتهم وخرجوا لملاقاتهم حتى وصلوا إلى الناحية الأخرى من الرياض والأحياء ،ولم يستطيعوا أن يتقدموا (أكثر من هذا)، وانسحبوا راجعين من عند سفح التل. وعندما جاء **تَنبَل** إلى هذه المنطقة، أمر بقتل اثنين من الأمراء الذين وقعوا فى يده وهما "**ميريم لاغرى، وطوقاى** ".

أقام **تنبل** فى تلك المنطقة القريبة حوالى شهر، رجع بعده إلى "**أوش**" بدون أن يقدر على إنجاز شيىء. وكانت **أوش** قد أعطيت إلى **ابراهيم سارو** وكان بها أحد رجاله الذى أمر بإغلاق **أوش** أمام **تَنبَل**.

*****



وقائع سنة خمس وتسعمائة[٤٢٩]

تحرك بابُر إلى أوش لمحاربة أحمد تَنبَل والمغول :

أرسلنا على وجه السرعة مجموعة من رجال البريد والمُحصلين[٤٣٠] إلى جنود الولايات من الفرسان والمشاة. ومجموعة أخرى من رجال البريد إلى "قُنبُر علي" وإلى الجنود الذين ذهبوا إلى ولاياتهم. وعيننا. المحصلين ذوى التدبير من أجل (توفير) الدروع والبلطات والقسوس، وكل ما يلزم لتسليح الجُند. وجمعنا من الولاية كل الفرسان والمشاة القادرين على القتال، كما استدعينا كل من كلفناه بمهمة فى مكان ما، وكل الفرسان التابعين له. وفى الثامن عشر من شهر المحرم تحركت بالتوكل على الله (٦٦ب)، قاصدا حدائق حافظ بك.

أقمنا فى هذه الحدائق يوما أو يومين استكملنا خلالهما ما ينقصنا من أسباب وأدوات وأكملنا استعدادنا، ونظمنا الجُند من الفرسان والمشاه فى شكل ميمنة وميسرة وقلب ومقدمة. ثم تحركنا فى صفوف متراصة فى اتجاه المناوئين لنا عند أُوش. وعندما اقتربنا من أُوش، علمنا أن أعداءنا لم يطيقوا البقاء عند أوش، وأنهم ذهبوا ناحية "رباطِ سرهنك أورجيني" الواقعة فى شمالها.

فى تلك الليلة نزلنا قرية " لات كند ". وفى الصباح ونحن على وشك مغادرة

---

[٤٢٩] هذا التاريخ يقابل عامى ١٤٩٩–١٥٠٠م.

[٤٣٠] موظفو الضرائب.

أوش فى انتظام عسكرى، علمنا بتحرك المناوئين لنا إلى " أندجان". فتوجهنا بدورنا إلى أوزكند، وأرسلنا قوات المغيرين لتسبقنا إلى هناك ويغيروا عليه .

وصل هؤلاء المعارضون إلى "أنديجان "، ودخلوا خنادقهم فى الليل. وعندما بدأوا فى وضع السلالم على جدار (القلعة) شعر بهم من بداخلها، وإذا بالمعارضين ينسحبون بدون أن ينجزوا شيئًا أبدا .

ورغم هجوم رجالنا المغيرين على جوار أوش، إلا أنهم رجعوا بدون أن يستولوا على شيء .

فتح قلعة مـــادو :

قلعة "مادو" من القلاع المنيعة فى ولاية "أوش ". كانت تشتهر فى ذلك الوقت بقوة تحصينها . وقد ترك تنبل أخاه خليل فى هذه القلعة، ومعه حوالى مائتى أو مائتين وخمسمائة رجلا وأمر خليل بدوره بإغلاق القلعة . (٦٧أ) وقدجئنا وتحاربنا وشددنا الهجوم على قلعة "مادو " .

وقلعة "مادو" قلعة منيعة للغاية. وفى الجانب الشمالى منها يجرى أحد الأنهار . تقع القلعة على ارتفاع شاهق. فإذا أطلق سهم من ناحية النهر (إلى القلعة)، ربما لايصل إلى جدارها . والنهر يقع فى هذا الجانب. وقد أقاموا جداران يهبطان من القلعة إلى أسفل مباشرة على شكل طريق ضيق يصل إلى النهر. وأطراف الربوة عبارة عن خندق. ولأن النهر قريب جدا (من القلعة)، فقد رفعوا إليها أحجارا ضخمة من الموجودة هناك ، الواحد منها فى حجم المرجل . وقد ألقوا علينا من

القلعة أحجارا بلغت من الضخامة حدا كبيرا .فلم نُلقَ علينا من قبل أحجار كهذه من أي قلعة من القلاع .

صعد عبد القدوس كُهبَر – الأخ الأكبر لـ " كتّه بـــك "– حتى بلغ سفح جدار (القلعة) . فألقوا عليه من فوق الجدار أحجارا كثيرة ، لكنها لم تصبه ، وقفز من ذلك المكان الشاهق الارتفاع فأخذ يتدحرج حتى وصل إلى أسفل السفح بدون أن يُصب بأذى. وعلى الفور امتطى صهوة جواده وانطلق. كما ألقوا حجرا على "يار عليّ بلال " أثناء سيره في طريق الماء، فهشموا رأسه. ومات كثيرون بسبب هذه الحجارة.

(٦٧ب) في الصباح بدأ القتال مرة أخرى ، وسيطرنا على مجرى الماء قبيل الضحى ، واستمرت الحرب إلى المساء. وعندما سيطرنا على مجرى الماء عجزوا عن القيام بشيء. وفي الصباح التالي طلبوا الأمان، وخرجوا من القلعة. وأسرنا مابين سبعين أو ثمانين، وربما مائة رجل[٤٣١] ممن كانوا تحت إمرة خليـــل شقيق تنبَــل الصغير، وأرسلناهم إلى "أنديجان " للتحفظ عليهم جيدا . كما وقع في أيديهم أمراؤنا وخواصنا وخيرة رجالنا . وصار الأمر على ما يرام.

بعد الاستيلاء على قلعة "مادو"، نزلنا بمكان من قرى أوش اسمه "اونجـــي توبــة". ومن الناحية الأخرى خرج تنبَـل من أنديجان إلى مكان اسمه "آب خان "[٤٣٢] من قرى رباط "ســرهنك أورجينـــي". وكانت المسافة بين الجيشين

---

[٤٣١] جاءت في الترجمة الإنجليزية ستون أو سبعون أو ثمانون رجلا، ص١٠٩.

[٤٣٢] آب خان، بمعنى ماء الخان.

فرسخا واحدا. فى هذه الأثناء مرض "قُنْبر على"، وذهب إلى أوش.

أقمنا فى مكاننا هذا لفترة تتراوح بين شهر وأربعين يوما، بدون قتال، إنما جرت مناوشات بين الموظفين المكلفين بالتعيينات فى الجانبين. وكنا فى ليالى هذه الفترة نتخذ ترتيبات احتياطية جيدة فى أطراف معسكر الجيش؛ فنحفر الخندق، ونقيم الموانع من جذوع الأشجار حيث لا يوجد خندق. وكان فرساننا يخرجون إلى حافة هذا الخندق فى كامل أسلحتهم.

(١٦٨أ) كنا نتصرف بمنتهى الحذر، وكان يتم استنفار الجُنْد لحمل السلاح فى ليلة كل ثلاثة أو أربعة أيام. وذات يوم خرج سَيِّدى بك طغايى على رأس المسئولين عن التعيينات. فباغتهم رجال العدو بقوة أكبر منهم، وأسَروه.

غدر خُسرو شاه وقتله باى سُنقُر ميرزا:

فى هذه السنة عزم "خُسرو شاه" على مهاجمة بلخ، فاستدعى "بايسُنغُر ميرزا" إلى "قوندوز" واتجه هو إلى بلخ. وعند "أوباج"[٤٣٣]، قام "خُسرو شاه" الخائن الكافر، مطالبا بالسلطنة. وهل لرجلٍ خسيس، وعديمِ الإنسانيةِ والشرف، وجبانٍ وظالمٍ وباغٍ مثله، أن يكون له نصيب من السلطنة؟! وقبض على بايسُنغُر ميرزا ورجاله وأمر بخنقه بوتر القوس. فمات هذا الأمير الرقيق الفاضل المعطاء الأصيل، شهيدا فى العاشر من شهر محرم.

---

[٤٣٣] أوباج، مكان بين بلخ و"قوندوز".

مولد باى سنقر ميرزا ونسبه :

ولد "ايسنْغُر ميرزا" فى ولاية حِصار عام ثمانمائة واثنين وثمانين[٤٣٤] وهو ثانى أبناء السلطان محمود ميرزا، وهو أصغر من السلطان "مسعود ميرزا"، وأكبر من السلطان "علي ميرزا" والسلطان "حسن ميرزا"، والسلطان "ويس ميرزا" المعروف باسم خان ميرزا. وأمه بشه بيكم (٦٨ب).

هيئة باى سنقر ميرزا وصفاته :

كان فتى جميل الهيئة، واسع العينين، مستدير الوجه، متوسط القامة، ذو ملامح تركمانية.

أخلاقه وشمائله :

كان أميرا عادلا، رحيما، حسن المعشر والأخلاق. أتهم بالتشيع لأن أستاذه سيد محمود كان شيعيا، ثم اتضح فيما بعد أن "بايسنْغُر ميرزا" قد برئ من هذه العقيدة الفاسدة أثناء وجوده فى "سَمَرْقَنْد"، وصار سُنياً نقى العقيدة. كان مفرطا فى شرب الخمر، ويؤدى الصلاة فى الأوقات التى لا يشرب فيها الخمر، معتدلا فى كلامه وإحسانه، ماهرا فى كتابة خطى النسخ والتعليق، طيب الاستعداد فى أعمال النقش وكان يقرض الشعر الجيد ومخلصه[٤٣٥]"عادل". وإن كان شِعره لا يرقى لدرجة ترتيب ديوان. وهذا المطلع له، ويقول فيه :

---

[٤٣٤] هذا التاريخ يقابل عام ١٤٧٧م.

[٤٣٥] المَخْلَص: اعتاد الشعراء الفرس والترك القدامى استعمال اسم مستعار يتخذه الشاعر لنفسه ويذكره فى أشعاره وغزلياته وهذا الاسم المستعار هو المَخْلَص، انظر، Türk Dili ve Edebiyati Ansiklopedisi,c.6,s. 114

كنت من فرط الوهن أتساقط فى كل مكان كالظل

فإن لم أجد جدارا أتكئ عليه، أسقط (على الأرض) ."[٤٣٦]

وقد شاعت غزلياته فى " **سمرقند** "، حتى قيل إنه لا يوجد بيت يخلو من شعر له.

معارك باى سنقر ميرزا :

خاض "**بايسنغر ميرزا** " حربين، الأولى ضد **السلطان محمود خان** ؛ ذلك أنه عندما اعتلى **بايسنغر ميرزا** العرش، ساق إليه **السلطان محمود خان** جيشا للاستيلاء على "**سمرقند** "، وذلك بتحريض من **السلطان جنيد برلاس** وآخرين (٦٩أ) . فاجتاز الجيش "**آق كوتل** "، ووصل إلى "**رباط سغد** " بجوار "**كنباى**"، وقد هزمه **الميرزا** هزيمة منكرة، وأمر بقتل ثلاثة أو أربعة آلاف من **المغول**. وقتل فى هذه الحرب **حيدركوكلداش** وكان بيده الحل والعقد لدى الخان.

أما الحرب الأخرى، فقد جرت فى "**بخارا** " ضد **السلطان** "**على ميرزا**"، وانهزم فيها.

ولاية باى سنقر ميرزا :

أسند إليه والده **السلطان محمود ميرزا**، ولاية "**بخارا** ". وبعد وفاته اتفق **الأمراء** على تنصيب "**بايسنغر ميرزا** " سلطانا عليهم فى "**سمرقند** ". وظلت "**بخارا** " لفترة ضمن ديوانها . لكنه خسرها بسبب تمرد **الترخانيين**. فلما ضاعت منه

---

[٤٣٦] البيت مكتوب بالفارسية .

سمرقند، لجأ إلى " خسرو شاه ". واسترد " خسرو شاه " منطقة حصار وأعطاها إليه.

لم يخلف "بايسنغر ميرزا " ذرية من بعده. وقد تزوج من ابنة عمه السلطان خليل ميرزا عندما لجأ إلى "خسرو شاه "، ولم يكن له زوجة أو سرية سواها.

وكان عدم انفراده بالسلطنة سببا فى عدم نجاحه فى إعداد أوتهيئة أحد من الأمراء المرموقين، وكان أمراؤه هم (نفس) أمراء والده وعمه. (٦٩ب)

إنضمام بعض رجال باى سنقر ميرزا إلى بابر:

بعد وفاة "بايسنغر ميرزا "، خرج السلطان أحمد قراوول[٤٣٧] من ولاية "تكين" ومعه والد قوج بك وإخوته كبيرهم وصغيرهم وأشياءه ومتعلقاته، وجاء راغبا فى الانضمام إلينا . كما لحق بنا "قنبرعلى" الذى كان طريح الفراش فى اوش بعد أن برئ من مرضه.

اعتبرنا تلقى هذه المساعدة غير المتوقعة، ومجيء السلطان أحمد قراوول ومعه رجاله، والانضمام إلينا فى مثل هذا الوقت ، من قبيل الفأل الحسن، وفى الصباح التالى نظمنا صفوفنا، وتوجهنا فى الحال لمحاربة العدو.

المواجهة مع تنبل :

غادر تنبل معسكره فى "آب خان " ومضى بدون أن يحارب. فلما وصلنا إلى معسكره غنم الجند بعض الأشياء كالخيام والبسط والمهلهلات. وفى تلك الليلة

---

[٤٣٧] السلطان أحمد قراوول، هو السلطان احمد بك والد قوج بك تردى.

ابتعد **تنبل**،ومعه **جهانكير ميرزا** وسلك طريقًا عن يميننا ، ودخل قرية "**خوبان**" ناحية **اندجان** ، على مسافة ثلاثة فراسخ من موقعنا . وفى اليوم التالى، حددنا أجنحة اليمين والشمال والقلب والمقدمة فى جيشنا ، وارتدينا ملابس الحرب، ونظمنا صفوفنا . وجعلنا المشاة لابسى الدروع فى المقدمة. كان **علـــى دوســت طغـــايى** ورجاله فى الميمنة، **وابراهيم سارو، وويس لاغرى، وسيدى قــره، ومحمـــد على مبشر خوجه** (١٧٠أ) **وكجيك بك** أخو **كلان بــك الكبــير**، وبعض الخواص الآخرين، **والسلطان أحمد قراوول، وقوج بك** واخوته الكبار والصغار فى الميسرة، و"**قاسم بك** " إلى جوارى فى القلب ، و"**قنبر علــى**" وبعض الخواص الآخرين فى المقدمة. ووصلنا قرية "**سبقا**"[٤٣٨] فى جنوب شرق **خونــان**[٤٣٩] على مسافة فرسخ منها .

خرج لنا العدو من قرية "**خونـــان**" وقد نظم صفوفه، فأسرعنا فى سيرنا . كان المشاة ذوى الدروع منظمين لمواجهة أى احتمال. فلما أصبحنا أمام العدو وجها لوجه،كان هؤلاء المشاه متخلفين وراءنا . وبعناية الله، لم تكن هنـاك حاجـة إليهم. فى البداية التحمت ميسرتنا مع ميمنة العدو. وقد أجاد **كيجيك بـــك الأخ الأكبر لخوجه كلان بك**، القتال بالسيف، كذلك **محمد على مبشر**، ولم يصل القتال إلى الميمنة والمقدمة، فقد اكتفى العدو بهذا القدر من القتال، وولى هاربا بغير

---

٤٣٨ صبقا، هكذا فى الأصل، وجاءت "صقا "فى الترجمة التركية ص ٧٣،و الترجمة الإنجليزية ص ١١٤، وجاءت سـقاله فى الترجمة الفارسية ص ٤٥.

٤٣٩ خونان، هكذا فى الأصل وجاءت "خوبان"فى الترجمة التركية ص ٧٣ والترجمـة الإنجليزيـة ص١١٤ و الترجمـة الفارسية ص٤٥.

مقاومة. ووقع فى أيدينا عدد كبير من فرسان العدو، فأمرنا بقطع رؤوسهم.

طرحت فكرة ارسال بعض جنودنا ليتعقبوا العدو إلى مسافة بعيدة، وذلك من قبيل الاحتياط الزائد، إلا أن قاسم بك وعلى دوست وهما من أمرائنا، لم يوافقا على هذه الفكرة، وكان على دوست بالذات أكثر المعارضين لها. وكانت النتيجة أننا لم نتمكن من أسر معظم جنود العدو (٧٠ب)، ونزلنا قرية "خونـــان". كانت هذه الحرب هى أول حرب أخوضها، وقد أنعم علينا الله ذو الفضل الكريم، فجعل النصر من نصيبنا. واعتبرنا هذا النصر من يمن الطالع.

مع الخيوط الأولى من صباح اليوم التالى جاءت جدتى السيدة شاه سلطان بيكم[٤٤٠]، إلى "اندجـــان"، بغية أن تتشفع لإنقاذ جـهانكير مـيرزا إذا وقع فى قبضتنا.

مغادرة بابر اندجـــان :

مع اقتراب الشتاء نقصت المؤن فى الوادى، ففضلنا عدم مواصلة السير إلى "اوزكند" ورجعنا إلى اندجان. وبعد عدة أيام تشاورنا فى الأمر وقررنا أنه من الأفضل أن نقطع الشتاء فى مكاننا هذا، فنخفف عن الجند وطأة المعاناة من نقص المؤن، ومن ناحية أخرى نتمكن من التضييق على العدو بما يشبه بالحصار، فإقامتنا فى "اندجـــان" فى فصل الشتاء، لن تضير العدو فى شىء، بل ربما استفاد منها، وهجم علينا وسرقنا. لهذا غادرنا اندجان، عاقدين العزم على قضاء الشتاء

---

[٤٤٠] شاه سلطان بيكم، هى جدته لأبيه زوجة أبو سعيد ميرزا وأم عمر شيخ ميرزا.

في منطقة "**ايكي ارا سو**"[441] في "**رباط اورجيني**" بجوار "**آرميان**" و "**نسوش آب**" (171أ)، وقد وأقمنا المشتى بالقرب من هذه القرى.

وأماكن الصيد هنا جيدة. فتكثر الغزلان والخنازير في الغابات الكثيفة القريبة من نهر "**آيلامش**". كما تكثر الديوك البرية والديوك العادية في نباتات الخلنج. وتكثر الثعالب في الأماكن ذات التلال وفي المنخفضات العميقة، وهذه الثعالب تفوق سرعتها الثعالب في المناطق الأخرى.

كنت أثناء إقامتنا في هذا المشتى، أخرج للصيد مرة كل يومين أو ثلاثة أيام. وكنا نتجول بين الغابات الضخمة لصيد الغزال، وننصب الشراك في الغابات الصغيرة لصيد الطيور، ونصيد الديوك البرية بالسهام وهي من النوع السمين جدا. وكانت لحومها متوفرة لدينا طوال فترة إقامتنا في المشتى.

كان **خداى بردى التوغجى** حديث العهد بنا، وقد رقيته إلى رتبة أمير. وأثناء إقامتنا في هذا المشتى، أغار على العدو مرتان أو ثلاث مرات، كما هزم المغيرين أتباع **تنبل**، وأتى إلينا برؤوسهم. ولم يكف فتياننا المغيرون في **اندجان** وأوش، عن مهاجمة العدو بدهاء، فسلبوه جياده وقتلوا رجاله وأعجزوه. وربما لو قضينا الشتاء في ذلك المكان (71ب) لكان الاحتمال الكبير أن نهزم العدو قبيل الصيف بدون أن تدور الحرب. لكننا ونحن نستنزف قوة العدو على هذا النحو حتى أعجزناه، طلب "**قنبر على**" الإذن ليرجع إلى ولايته. وكلما حاولنا أن نثنيه عن رغبته هذه بشتى الطرق، ونشرح له حقيقة الموقف، كان يظهر المزيد من عدم

---

[441] **ايكي ارا سو**، بمعنى ما بين الماءين أو النهرين.

الأكتراث. فقد كان رجلا غريبا، متهورا، وعديم التفكير. فاضطررنا إلى تلبية رغبته.

كان "قنبر علي" في بدء الأمر واليا على "خجند"، وقد أعطيته منطقتي "اسفره" و "كندبادم" بعد فتح اندجان في المرة الأخيرة. وكان يفوق كل الأمراء في عدد الولايات والرجال التابعين له. ولم يكن لأحد من الأمراء مثل حظ "قنبر علي" من الولاية والرجال.

بقينا في هذا المشتى لمدة أربعين أو خمسين يوما. وكما سمحنا لـ "قنبر علي"، بالعودة، سمحنا بالتالي لجنود آخرين بالعودة أيضا إلى ولاياتهم. وأخيرا رجعنا كلنا إلى "اندجان". خلال الفترة القصيرة التي قضيناها في المشتى وفي "اندجان"، كان رجال تنبل لا يكفون عن الذهاب إلى الخان[٤٤٢] في "تاشكند". وكان أحمد بك وصيا على "السلطان محمد" بن الخان. وهو من الأمراء الذين تمتعوا برعاية الخان بشكل خاص، كما كان عما شقيقا لـ "تنبل". أما بك تيلبه الذي كان يعمل حاجبا للخان، فكان شقيق تنبل الذي يكبره. وفي النهاية، أقنع أحمد بك وبك تيلبه الخان بأن يرسل (جنوده) لمساعدة إلى تنبل. (٧٢أ) وقبل أن يرسل المدد كان "بك تيلبه" قد ترك أسرته وعشيرته في تاشكند، وانضم إلى أخيه الأصغر تنبل. وكان "بك تيلبه" يعيش منذ مولده في مغولستان، ونشأ بين المغول. ولم يذهب إلى الولايات، ولم يخدم لدى سلاطين الولايات، واقتصر على خدمة الخانات فقط.

وقع أثناء ذلك أمر عجيب؛ كنا قد تركنا قاسم عجب في "اخسي" مؤقتا.

---

[٤٤٢] السلطان محمود خان خال بابر.

فخرج ذات مرة فى أعقاب مجموعة من قطاع الطرق لمطاردتهم. وأثناء عبوره ماء "خجند" عند "بجراتا"، وجد نفسه أمام جمع غفير من أتباع تنبل، فوقع فى قبضتهم.

عندما علم تنبل بخبر تفرق رجالنا، وقد تأكد من مجيء المساعدة التى قررها أخوه الأكبر بنفسه مع الخان. تحرك من "اوزكند" وجاء إلى "ايكى ارا سو". فى هذه الأثناء. وتبعا للخبر الذى بلغنا. أن الخان كلف كلا من ابنه السلطان محمد المشهور باسم "سلطانم"، وأحمد بك، بمساعدة تنبل، وأمدهما بحوالى خمسة أو ستة آلاف من الجند، وأنهما وصلا بجنودهما عبر طريق "ارجه كند" وحاصروا "كاسان". لذلك لم ننتظر مجئ بقية رجالنا الموجودين فى أماكن بعيدة، وتوكلنا على الله فى هذا الشتاء القارس، وغادرنا "اندجان" فى الحال بمن معنا من الرجال، للتصدى لسلطانم وأحمد بك، وسلكنا طريق "بندسالار".

(٧٢ب) قطعنا الليل كله سيرا بغير توقف، فوصلنا "اخسى" فى الصباح. كان الليل شديد البرودة لدرجة أن أطراف بعض رجالنا تجمدت، وتورمت آذان أكثرهم وصارت منتفخة مثل التفاحة. وتركنا "يارك طغايى" مؤقتا فى "اخسى" بدلا من قاسم عجب، واستأنفنا السير فورا قاصدين "كاسان". وقبيل "كاسان" بفرسخ واحد، علمنا أن أحمد بك "سلطانم" لما علما بمجيئنا، تقهقرا وكأنهما مهزومان.

إفلات تنبل من يد بابر :

لما علم تنبل بتحركنا، أسرع لنجدة أخيه الأكبر وقد اعترته الدهشة لوصولنا

إلى "كاسان " بهذه السرعة، وتقهقر أخيه بهذه السهولة. ومع حلول المساء ظهر غبار يجئ تنبل من ناحية "توكنــــد "[443]. فقلت (لرجالى) : "هـذا ما قدره الله. إن خيول تنبل الآن فى منتهى الإرهاق، فإذا استأنفنا سيرنا وهاجمناهم (وهم فى هذه الحال)، لن ينج منهم أحد بإذن الله ". قال ويــس لاغـــرى وآخرون: " لقد انقضى النهار، فإن أرجأنا الهجوم إلى الصباح، نستطيع أن نهاجمهم فى الصباح الباكر وندركهم حيثما كانوا ". (١٧٣) ولم يؤيدوا فكرة مواصلة السير لمهاجمة تنبـــل ورجاله.

وهكذا أفلت العدو الذى جاء إلينا حتى الباب، ونجا بدون أن يلحق به أدنى ضرر. والمثل يقول "مالا تغتنمه وهو عند بابك، ستندم عليه حتى آخر العمر ".

" أداء الأعمال مرهون بأوقاتها،

فما يؤدى منها فى غير وقته يكون ناقصا "[444].

اغتنـم العــدو الفرصــة وواصــل سـيره طـوال الليـل بغـير توقــف، ودخل قلعة "ارخيسان "[445]. وفى اليوم التالى توجهنا ناحية العدو فلم نعثر عليه. واقتفينا أثره، وكنا نرى أنه من غير المناسب محاصرته ونحن على مقربة من القلعة، فذهبنا إلى "غزنه نمنكان " على مسافة فرسخ من قلعة "ارخيان ".

أقمنا فى مكاننا هذا لمدة ثلاثين أو أربعين يوما، وأقام تنبـــل فى قلعة "ارخيان". كان الجند خلالها يذهبون من هنا ويأتون من هناك على شكل مفرزات

---

[443] يعنى المدينة الجديدة وتقع بين اوزكند وكاسان شمال نهر سرداريا.

[444] البيت مكتوب بالفارسية وهو لسعدى الشيرازى.

[445] ارخيان، قلعة فى فرغانه.

صغيرة ويتبادلون إطلاق السهام عبر الطريق الفاصل بيننا ثم يرجعون. وذات مرة، شن رجال العدو غارة ليلية وأطلقوا علينا السهام من خارج المعسكر، ثم انسحبوا. واتخذنا تدابير احتياطية، على صورة حفر خندق حول المعسكر ووضع الموانع من الأشجار، فلم يستطع (**تنبـل**) عمل شيئ قط. أثناء إقامتنا فى مكاننا هذا، غضب " **قنبر على** " مرتين أو ثلاث مرات، **(٧٣ب)** وطلب العودة إلى ولايته. بل إنه في إحدى المرات تحرك من تلقاء نفسه، فأرسلنا في أعقابه بعض الأمراء ، وقد أعادوه بصعوبة.

فى هذه الأثناء أرسل "**سيد يوسف مجمى** " رجلا إلى **السـلطان أحمـد تنبل**، وانضم إليه. من سفوح جبال " **اندجان** " سفحين يقولون عنهما "**اويغـور**" و"**مجم** "، **وسيد يوسف** هذا من الكبار فى هذين السفحين. وبعد ذلك صار مشهورا عندى. فلما عظم أمره طالب بالإمارة. لكن أحدا لم يقلده هذه المكانة. فقد كان منافقا وغير أهل للثقة. ومنذ أن أخذت **اندجان** هذه المرة وإلى الآن، فإنه كما انضم إلى مرتين أو ثلاث مرات واتخذ موقف العداء من **تنبـل**، تحالف أيضا مع **تنبـل** مرتين أو ثلاث مرات وناصبنى العداء وكانت هذه هى المرة الأخيرة (التى ناصبنى فيها العداء) . وكان يتبعه كثير من القبائل والعشائر والأقوام. فتحركنا فى أثره لنلحق به فى الطريق، وناشده ألا ينضم إلى **تنبـل** . وفى اليوم التالى وصلنا إلى قرب "**بشخاران** "[٤٤٦]، لكن يبدو أن رجال **تنبل** كانوا قد دخلوا قلعتها . وعند باب "**بشخاران** "، إشتبك معهم أمراؤنا المهاجمون ؛ وهم **على درويش بك** و**قوج بـك**

[٤٤٦] بشخاران، فى فرغانه.

واخوته كبارا وصغارا، وهؤلاء أبلوا في القتال بلاء حسنا (٧٤أ) وقاموا بأعمال كثيرة وهامة. ونزلنا إلى مكان مرتفع على مسافة فرسخ من "بشخاران"، بينما نزل تنبل وجهانكير ميرزا وراء قلعتها.

تصالح بابر مع جهانكير ميرزا :

بعد يومين أوثلاثة أيام، بدأ الأمراء المعارضون لنا: "علي دوست" و"قنبر على السلاخ" والتابعون لهم، في الحديث بشأن الصلح. ولم أكن وأتباعي المخلصون نفكر هذا الصلح أبدا وكنا نرفضه رفضا تاما. ولما كان هذان الرجلان من أمرائنا الكبار، فمن المحتمل أن يتصرفا بشكل آخر إذا لم نكترث بقولهما. لهذا اضطررنا إلى عقد الصلح على أن تكون الولايات التي في ناحية "اخسى" من ماء "خجند"، لجهانكير ميرزا، وتكون الولايات التي في ناحية "اندجان"، من نصيبي، وأيضا "اوزكند" تكون تابعة لديواننا بعد إجلاء أتباعه[447] وأهله عنها. وبعد عقد هذا الاتفاق مع جهانكير ميرزا بشأن الولايات، اتفقنا أيضا على أن نتوجه معا إلى "سمرقند"، وبعد أن اعتلى عرشها أترك له "اندجان". (٧٤ب)

وقد اتخذنا الشروط والمواثيق اللازمة لتنفيذ هذا الاتفاق وكان ذلك في أواخر شهر رجب. وفي صباح اليوم التالي تحرك جهانكير ميرزا وتنبل إلى "اخسى" ورجعت أنا إلى "اندجان".

بعد الرجوع إلى "اندجان"، أطلقنا سراح خليل الأخ الأصغر لتنبل،

---

[447] يقصد أتباع جهانكير ميرزا.

وكل المحبوسين لدينا، وألبسناهم الخلع، وسمحنا لهم بالانصراف. كما أطلقوا هم بدورهم سراح المحبوسين لديهم من أمرائنا وخواصنا وعلى رأسهم **طغـايى بـك**، **ومحمد دوست**، **وميرشاه قوجين**، **وسَيْدى بك**، **وقاسم عجب**، **ومـيرويَس**، **وميريم ديوان**، وأعادوهم إلينا .

سوء تصرف عليّ دوست وابنـه :

بعد عودتنا من "**آندجان**"، تغير تماما سلوك **علـى دوسـت**. وبدأ يسيئ معاملة رجالى الذين شاركونى الحروب والمحن. و قد سبق له أن طرد "**خليفـة**"، ثم أمر بالقبض على "**ابراهيم سارو**"، و **ويس لاغـرى** بدون أى سبب أو ذنب. وأمر بنهب أموالهما وتجريدهما من ولاياتهما وطردهما. كما كان يتنازع مع "**قاسم بك**". وكان السبب الظاهرى لسلوكه هذا هو ميل (**إبراهيـم سـارو**) **وخليفة** إلى "**مولانا القاضى**" وبرر تصرفاته بأنهما ربما يفكران فى الانتقام منه. كذلك كان ابنه **محمـد دوسـت**، يتصرف وكأنه سلطان، (۷۵أ) فيقيم المجالس والمآدب ويعقد الديوان مثل السلاطين، ويحيط كل هذا بمظاهر الفخامة. وكان كلاهما؛ الأب والابن، يتصرفان وفق أهوائهما، اعتمادا على مساعدة **تنبل** لهما. فى حين أننى لم يعد لدىّ من القوة ما يُمكّننى من منع هذه التصرفات الغريبة، فضلا عن كونهما يتمتعان بحماية عدو لى مثل **تنبـل** هذا. وكان الوقت حرجاً، ولا مجال للاعتراض عليهما. فانتصارهما علىّ كان سيجرّ علينا وبالا كبيرا .

زواج بــابُر :

كان للسلطان أحمد ميرزا بنت تدعى "عائشة سلطان بيكــم " وقد اتفق أبي وعمي وهما على قيد الحياة، على خطبتها لى. وقد تزوجتها[٤٤٨] في شهر شعبان عندما ذهبت إلى "خُجَنْد ". كان شعوري ناحيتها في البداية عاديا، فقد كان هذا أول عهدي بالزواج. وكنت أزورها مرة واحدة كل عشرة أو خمسة عشر يوما، خجلا وحياء. وفيما بعد وهَنَ حبها في قلبي، كما ازداد خجلي. وكانت السيدة والدتي تُعَنِّفني وتجبرني على زيارتها مرة كل ثلاثين أو أربعين يوما.

في هذه الأثناء، (٧٥ب) كان لرجل ممن ينتسبون إلى "سوق الجيش" ولد يدعى "بابُرى"؛

اعترانى ميل غريب إليه

حتى جعلت من نفسي ظِلا له ومجنوناً به

وقبله لم أظهر ميلا لأحد قط بل ربما لم أصْغ إلى أولئك الذين يتكلمون عن الحب والعشق، ولم أشارك في الحديث عنه. وكنت في ذلك الحين أردد بيتا أو اثنين بالفارسية فقلت هذا البيت :

لا هالك وعاشق وذليل مثلي

ولا محبوب جافٍ وقاسٍ مثلك[٤٤٩]

وكان بابُرى يزورني أحيانا. لكني لا أجرؤ على النظر إلى وجهه من فرط

---

[٤٤٨] كان بابور آنذاك في الخامسة عشر من عمره. حيث أنه ولد عام ٨٨٨هـ.

[٤٤٩] البيت مكتوب بالفارسية.

حياتى ؛ فكيف أستطيع التكلم معه ومحادثته. وكنت من فرط سعادتى وانفعالى أعجز عن شكره لمجيئه. فكيف أشكو له ابتعاده عنى. وأى طاقة لى حتى أستطيع أن آمره بملازمتى. وكنت أسير ذات يوم مع رجالى، فظهر بـابُرى فى طريقى فجأة وأنا فى لحظات المحبة والعشق هذه، فكدت أذوب من فرط الانفعال. ولم يكن بمقدورى النظر إليه مباشرة أو محادثته (١٧٦أ). وعانيت ألف عذاب وخجل. وجال بخاطرى هذا البيت لمحمد صالح[٤٥٠] وهو ينطبق على حالى :

كلما نظرت إلى محبوبى، اعترانى الخجل

فينظر إلىّ رفاقى، وأنظر أنا إلى الجانب الآخر.[٤٥١]

ومن فورة الحب والعشق، ومن قوة الشباب والجنون، كنت أطوف فى الجوار والشوارع والغابات والحدائق، عارى الرأس حافى القدمين. فلم ألحق بقريب أو غريب، ولم أكترث بنفسى أو بالآخرين.

عندما أكون عاشقا، أتوه عن نفسى وأصبح كالمجنون

ولا أدرى، أهذا هو حال من يعشق صاحب الخدود الملائكية.

وكنت أحيانا أخرج بمفردى إلى الجبل والقفار، كالمجنون، وأحيانا أخرى أسير هائما فى الحدائق والأحياء وأطوف بها شارعا شارعا. لا إرادة لى فى السير أو البقاء ولا قدرة لى على أن أقرر، هل أذهب أم أبقى.

---

[٤٥٠] محمد صالح وهو من الشعراء الجغتائيين. كان شاعرا لفترة فى بلاط السلطان حسين بايقرا، ثم التحق ببلاط شيبانى خان، وكتب مثنوى يصور فيه انتصارات شيبانى خان يعرف باسم شيبانى نامه، وهو من الآثار التاريخية الهامة فى تاريخ الشيبانيين إلى جانب قيمته الأدبية. توفى عام ١٥٣٤م. انظر، Türk Dili ve Edebiyati Ansiklópedisi, c.6,s.420

[٤٥١] البيت مكتوب بالفارسية.

لا طاقة لي على الذهاب، ولا طاقة لي على البقاء

أيها القلب، أنت الذي أوصلتني إلى هذه الحال.

النزاع بين السلطان " علي ميرزا " و " محمد مزيد ترخان ":

في هذه السنه ثار النزاع بين السلطان "علي ميرزا " و "محمد مزيد ترخان "[٤٥٢]. والترخانيون قوم ذوي شأن وقوة عظيمين. وكان باقي"[٤٥٣] قد استولى على "بُخارا " كُلّيَةً، (٧٦ب) وصار لا يدفع من خراجها قرشا واحدا لأحد. كما كان "محمد مزيد تَرخان " حاكما على "سَمَرَقَنْد ". وقد وزع الولاية وكل توابعها ولواحقها على أبنائه ورجاله. وكانوا لا يؤدون إلى السلطان "علي ميرزا " قرشا واحدا من إيراداتها مهما بلغت. أما وقد كبر السلطان "علي ميرزا "، فكيف له أن يتحمل مثل هذه التصرفات منهم. لذا دبَّر مع بعض خواصه مؤامرة تستهدف حياة "محمد مزيد تَرخان ". فلما علم "محمد مزيد تَرخان " بهذا، غادر المدينة برجاله وأتباعه وكل الأمراء الذين معه، وكان من بينهم السلطان "حسين ارغون "، وبير أحمد، وخوجه حسين، وقرا بَرلاس الأخ الأصغر لـ "اوزون حسن "، وصالح محمد، وبعض الأمراء والفتية.

في تلك الأثناء، عيَّن السلطان محمود خان، ابنه "خان ميرزا"[٤٥٤] (أميرا) على "سَمَرَقَنْد "، وأرسل معه محمد حسين دوغلت وأحمد بك، وبرفقتهم عدد

---

[٤٥٢] محمد مزيد ترخان، أحد أمراء عمه السلطان أحمد ميرزا، انظر، بابر نامه، ورقة ٢٢ب.

[٤٥٣] باقي، يقصد باقي ترخان أحد أمراء رجال السلطان أحمد ميرزا،، انظر ترجمة حاله في بابر نامه، ورقة ٢٢ب.

[٤٥٤] خان ميرزا، يقصد ابنه ويّس سلطان والمعروف أيضا باسم ميرانشاهي.

كبير من أمراء المغول. وكان حافظ بك دلداى وابنه طاهر بك، هما الوصيان على الخان ميرزا، فهرب حسن بيره، وهندو بك وبعض الفتية من عند السلطان "على ميرزا "(١٧٧) ولحقوا بخان ميرزا بسبب علاقتهم بحافظ بك وابنه.

أرسل "محمد مزيد ترخان "، الرجال فى طلب "خان ميرزا " وجنده من المغول. وجاء والتقى به بجوار " شاودار "[٤٥٥]، وعقد مقابلات مع أمراء المغول. لكن أمراء المغول عجزوا عن التفاهم جيدا معه. بل ربما فكروا فى القبض عليه. فلما أدرك (محمد مزيد ترخان) وأمراؤه مايدور بخلد (المغول)، تعلل بأمر ما وابتعد بأمرائه عن جند المغول ومضى، فلم يطق جند المغول البقاء ورجعوا بدورهم إلى "يار ييلاق ".

فى تلك الأثناء، تحرك السلطان "على ميرزا " بسرعة من "سمرقند" على رأس عدد قليل من الجند، وهاجم "خان ميرزا " وجند المغول، الذين عجزوا عن قتاله، وانهزموا، ولاذوا بالفرار. وكان هذا من أفضل الأعمال التى قام بها السلطان "على ميرزا " فى الآونة الأخيرة.

استعانة " محمد مزيد ترخان " ببابر :

انقطع أمل "محمد مزيد ترخان " ورجاله فى هؤلاء الأمراء"[٤٥٦]، فأرسلوا إلينا عبد الوهاب المغولى، لطلب المساعدة. وكان عبد الوهاب هذا فيما مضى، من

---

[٤٥٥] شاودار، إحدى مقاطعات "سمرقند". انظر، بابر نامه، ورقة ٥٠أ.

[٤٥٦] جاءت فى الترجمة الإنجليزية "أرسل "محمد مزيد ترخان" ورجاله، مير مغول ابن عبد الوهاب شغاوول، قاطعين الأمل فى المغول وفى هؤلاء الأمراء" ص ١٢٢.

رجالى، وأثناء حصار "آندِجان"، أنجز أعمالا طيبة هو والخواجة القاضى. وكنا نحن أيضا فى ذلك الوضع السيئ، الذى دفعنا إلى عقد الصلح، واتخاذ قرار حاسم بالسير إلى "سمَرْقَنْد". وعلى الفور، أرسلنا "مير مغول" إلى جِهانكير ميرزا فى "أخسِيى" (٧٧ب) ليبلغه بمكان تجمع الجُند، بينما تحركنا نحن إلى سَمَرْقَنْد.

استيلاء خليل، على قلعة أوش :

فى شهر ذى القعدة تحركنا صوب "سَمَرْقَنْد"، فبلغنا "قُبا"[٤٥٧] فى اليوم الثالث. وفى وقت صلاة العصر، علمنا أن خليل أخ تَنْبَل الصغير، هاجم قلعة "أوش"، واستولى عليها. وتفصيل ذلك على النحو التالى:

عندما عقدنا الصلح، كما ذكرنا من قبل، أطلقنا سراح الأسرى وعلى رأسهم خليل شقيق تَنْبَل. وقد أرسل تَنْبَل أخاه خليل إلى "أوزكَنْد" لكى يُخرج أهل بيته وأقاربه من هناك. فدخلها خليل بهذه الذريعة، وأخذ يختلق الأسباب كل يوم حتى لا يغادرها. فلما خرجنا نحن فى حملتنا، وظلت أُوش بدون حامية، انتهز خليل الفرصة، وهاجم قلعتها واستولى عليها. فلما علمنا بهذا، واصلنا سيرنا إلى "سَمَرْقَنْد". حيث بدا لنا أن بقاءنا هنا[٤٥٨] والانشغال بهؤلاء، أمر يجانب التوفيق لعدة أسباب، أحد هذه الأسباب أن كل فرساننا، قد تفرقوا فى مختلف الأنحاء

---

[٤٥٧] قُبا، بضم القاف، مدينة فى فرغانه بالتركستان، وهى مسقط رأس الصوفى المعروف أبي إسحاق القبارى وغيره من العلماء الأجلاء. شمس الدين سامى قاموس الأعلام حطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة. ج٥ ص ٣٥٩٣. وهى الآن قرية "كوفا"، وكانت تعتبر الثانية من بين مدن فرغانه، وتقع على مجرى ماء يحمل نفس الاسم، وأصبحت قرية منذ عهد بابر، وبينها وبين أوش سبعة فراسخ، انظر، بارتولد، تركستان، ص٢٧١،٢٧٠.

[٤٥٨] فى قبا.

وعادوا إلى مواطنهم من أجل استكمال تجهيزاتهم. كما أننا ارتبطنا بمصالحة دون أن يكون لدينا علم بالحيلة والخيانة التى قاموا بها[٤٥٩]". كما أن أمراءنا الكبار أمثال "علـى دوست "(١٧٨) و"قَنْبَر على "، بدت منهم عدة مرات تصرفات ذكرناها من قبل، وأصبحنا لا نثق فيهم.

أرسل إلينا كل أمراء سَمَرْقَنْد وعلى رأسهم "محمـد مزيـد ترخـان "، ميرمغول يدعوننا للذهاب إليهم. فإذا كانت أمامنا عاصمة مثل سَمَرْقَنْد، فلما نبدد الرجال والوقت فى مكان مثل "أنديجان"؟!. وتحركنا من "قُبا " إلى "مَرغينـان ".

فى الطريق إلى " سـمرقند ":

كانت مَرغينان قد أعطيت إلى السلطان أحمد بك[٤٦٠] والد قوج بـك. ولم يستطع أن يتحرك معنا من مَرغينان بسبب بعض الأعمال والصعوبات، فأرسل معنا ابنه قوج بك واثنين من أقاربه. وتحركنا عبر طريق "أسفَرَه " فبلغنا قرية "مَحَـن " من أعمال "أسفَرَه ". ومن محاسن الصدف أن جاء إليها فى تلك الفترة كثير من الفتية كما لو كنا على موعد، وانضموا إلينا. وغادرنا المكان وعبرنا "دشـتِ خسبان"، وجسر "جوبان "، وبلغنا "اوراتيبـه ". وذهب "قَنْبَر علـى " إلى "أخسيى " ثقة في تَنْبَل، ليتكلم بشأن الجُند القادمين من "خُجَنْد "، التى هى ولايته. فلما ذهب إليه، أمر تَنْبَل بتقييده (٧٨ب) وأخذه معه إلى ولايته. وهناك مثل تركى يقول: "الصديق المخادع يملأ مقعدك بالتبن". وأثناء الطريق، هرب "قُنْـبَر علـى "

---

٤٥٩ يقصد خليل ورجاله.

٤٦٠ السلطان أحمد بك، هو السلطان أحمد قراوول.

وجاء اوراتيبه سيرا على الأقدام وبمشقة بالغة. وفى اوراتيبه علمنا أن "شَيباني خان " هزم باقي ترخان فى قلعة "دبوس"، وأنه فى طريقه إلى "بُخارا ". فتوجهنا من اوراتيبه إلى "سنكِ زار"عبر طريق مرعى "بوركـه ". فسلم والى سنكِ زار القلعة. ولما كان "قُنبُر علي " قد جاء بعد أن فقد كل ما يملكه، فقد تركناه هناك.

ولما وصلنا إلى "خان يوردو " جاء أمراء "سَمَرقَنْد" وعلى رأسهم "محمد مزيد تَرخان"، وانضموا إلينا. وتكلمنا معهم بشأن الاستيلاء على سَمَرقَنْد. فقالوا : " إن "خوجه يحيى "، شديد الارتباط بالسلطان"[1]، فإن استطعنا أن نستميله إلى جانبنا، أمكننا الاستيلاء على سَمَرقَنْد بسهولة وبغير قتال". بناء عليه أرسلنا رسلا، أكثر من مرة، إلى "خوجه يحيى ". ولم يعطنا الخوجه ميثاقا قاطعا بإدخالنا سَمَرقَنْد، لكنه لم يقل ما يجعلنا نقطع الأمل.

تحركنا من خان يوردو ، وجئنا إلى ساحل "دَرِ غَم ". ومن هناك أرسلنا "خوجه محمد علي كتابدار" إلى "خوجه يحيى ". (٧٩ أ) ورجع إلينا بقوله : "ليأتوا، ونحن نسلم لهم المدينة ". فتحركنا مساءً من "دَرِ غَم "، صوب المدينة . وهرب من هناك والد السلطان محمد دُلداي والسلطان محمود دُلداي، وقد علم الموجودون فى "سَمَرقَنْد " بأمر (هذا الاتفاق) . لهذا لم تتحقق الخطة المقترحة. ورجعنا ثانية إلى ساحل "دَرِغَم ".

غدر على دوست برجال بابر:

ابراهيم سارومينكليغ هو أحد أمرائى الذين حظوا برعايتى، وقد أمر"علـى

---

[1] يقصد السلطان "علي ميرزا".

دوست " بالقبض عليه وطرده. فجاء إلينا ونحن عند يار ييلاق مع **محمد يوسف** أكبر أبناء **يوسف بك**.كما قام **على دوست** بطرد بعض أمرائنا الكبار والخواص المعارضين له وأمر بنهب بعضهم والقبض على البعض الآخر، وقد جاءوا إلينا فرادى. وأحس **على دوست** بضعف موقفه. فقد آذاني وجافاني أنا ورجالي.وكنت بدوري لا أطمئن إلى هذا الوضع. ومن فرط خوفه وانفعاله، لم يطق البقاء وطلب الإذن له بالذهاب، فأذنت له بمغادرتنا منّة منّي.

عندما انصرف **على دوست** و**محمد دوست** من عندى (٧٩ب)، ذهبا إلى **تنبل** وانضما إليه. وقد بدرت من هذا الأب وابنه، اللذين صارا من المقربين **لتنبل**، الكثير من العداوة والمفاسد. وبعد عام أو اثنين، ظهر خرّاج في يد **على دوست**، مات على أثره. ولحق **محمد دوست** **بالأوزبك**، ونال لديهم مكانة ليست سيئة. لكنه خانهم كدأبه وهرب، وذهب إلى سفوح جبل "**آلبجان**"، وأشعل العداوة والفتنة هناك. وفى النهاية وقع فى يد **الأوزبك**، فسملوا عينيه. وهناك قول ينطبق تماما على هذا، يقول : "إن التراب ملأ عينيه".

استسلام "على ميرزا" لـ "شيبانى خان":

بعد أن سمحنا لهذين[٤٦٢] بالذهاب،أرسلنا"**غورى بولاس**"وبعض الفتيان إلى نواحى "**بخارا**"ليأتوا لنا بالأخبار.فأبلغونا أن **شيبانى خان** استولى على "**بخارا**"،وأنه فى طريقه إلى "**سمرقند**". ووجدنا من غير المناسب أن نظل هنا،

---

[٤٦٢] يقصد على دوست وابنه. وهنا يعود للحديث عما جرى بعد أن استرسل فى الحديث عما فعله على دوست.

فتوجهنا إلى "كش". وكان فيها أهل معظم أمراء سمرقند. وبعد أن أقمنا فيها حوالى أسبوع أو اثنين، علمنا أن السلطان "على ميرزا"، قد سلّم سمرقند إلى "شيباني خان". وتفصيل ذلك أن أم السلطان "على ميرزا"، "زهرة بيكى أغا"، أرسلت سرًا بجهل وحماقة منها، رجلا إلى "شيباني خان"، تقول له "إن ابنها سيسلم له سمرقند فى حالة زواجه منها"[463] (180أ). وإن "شيباني خان" (بدوره) بعد أن يستولى على المدينة، يردّها إلى السلطان "على ميرزا" مرة أخرى لأنها ولاية أبيه"[464]. وكان والد "يوسف أرغون" على علم بهذا، وربما كان هذا الخائن هو صاحب هذه الفكرة.

*****



---

[463] جدير بالملاحظة هنا أن هذه السيدة أوزبكية مثل شيباق خان الأوزبكي. انظر بابر نامه ص ٢٧أ، ٢٨ب.

[464] يقول خواندمير أن شيباق خان لما تعذر عليه فتح سمرقند عن طريق القتال، لجأ إلى المكر والحيلة والخداع، واستغل رغبة زهرة بيكى أم السلطان على ميرزا فى الحصول على زوج، خاصة وأنها أرسلت سرا إليه تعرض عليه العون معه إذا قبل الزواج منها. انظر، خواندامير، تاريخ حبيب السير، جلد جهار، ص٢٧٧. يختلف ما ذكره بابر مع ما ذكره منجم باشى فى تاريخه جامع الدول فى هذا الأمر، فيقول منجم باشى ما نصه: "فوصل الخبر إلى شيبك خان فسار إلى سمرقند ونزل بموضع "كان كل" فأرسل إلى ميرزا سلطان على سرا يخدعه بأنه إنما أتى لرفع تسلط خواجه يحيى وأتباعه على تلك وتخليصه منه وكذا أرسل إلى والدة سلطان على يعدها بأن يتزوجها وكانت ازبكية الأصل فمالت إليه وانخدعت منه فحركت ولدها سلطان على، على الخروج إلى حضور شيبك خان فرصد سلطان على الفرصة للخروج من سمرقند "انظر، منجم باشى، جامع الدول، ج٢، ورقة ٢٧١ب. ويقول فاميرى إن "شيبانى خان" كتب إلى الأمير الضعيف – يقصد السلطان "على ميرزا" – ينصحه أن يقر بالولاء لبيت أبى الخير – أى الأسرة الشيبانية – الصاعد بنعمة الله، وهنا يؤمن مستقبله بمحالف ودى، وتقدم شيبان من بعد ذلك إلى أم السلطان "على ميرزا" يطلب يدها إظهارا لمودته وتأكيدا لصداقته فقبلت ذلك منه" انظر، فاميرى، تاريخ بخارى، ص٤٠٣.

وقائع سنة ست وتسعمائة[٤٦٥]

مقتل السلطان على مـــيرزا :

" بناء على وعد هذه المرأة[٤٦٦] جاء "شَـــيْبانى خـــان ، ونـزل إلى "باغِ ميدان"[٤٦٧] . وفى وقت الظُهر، خرج السلطان "على ميرزا "سِرًا من "بـــاب جار ره "[٤٦٨] وبدون أن يخبر أحدا من الأمراء والفرسان، أو يشاور أحدا فى الأمر، واصطحب معه بعض صغار الشأن من المقربين له، وذهب إلى "شَيْبانى خـان " فى "باغِ ميدان " . ولم يُحسن "شَـيْبانى خـان " استقباله. وبعد أن تقابلا، أجلسه "شَيْبانى خان " إلى جواره فى مكان دونه. ولمَّا سمع "خوجـــه يحيـــى " بخروج الميرزا شعر بالقلق ، ولما ضاقت به السبل، خرج بدوره (إلى شَيْبانى خـــان)، وقد استقبله " شَيْبانى خان" بدون أن ينهض من مكانه. فقال بعض الكلمات من باب الشكوى. وعندما نهض الخوجه من مكانه (استعدادا للانصراف)، نهض الخان أيضا من مكانه تحية وتعظيما له. وكان جان على، ابن الخوجه على بـــك موجودا فى "رباط خوجه". فلما علم بأمر خروج الميرزا، جاء هو أيضا لمقابلة "شَـيْبانى خان " . كانت هذه المرأة المشؤومة السبب فى هلاك ابنها وموطنها ، بضيق أفقها ،

---

[٤٦٥] يقابل عامى ١٥٠٠– ١٥٠١م.

[٤٦٦] يقصد أم السلطان "على ميرزا".

[٤٦٧] باغِ ميدان، بمعنى حديقة الميدان.

[٤٦٨] باب جار ره، بمعنى باب الطرق الأربعة وهى مخففة من جهار ره.

ورغبتها في الحصول على زوج. (٨٠ب) ولم يُعِرها "شيبانى خان" ذرّة اهتمام، ولم يعدها حتى من سراريه. وصار السلطان "على ميرزا" نادما على ما أقدم عليه من عمل، وخَجِلا لخروجه (من سمرقند وذهابه إلى شيبانى خان).

وأدرك بعض المقربين للسلطان "على ميرزا" الموقف، وأرادوا أن يأخذوه ويفروا به. لكن السلطان على ميرزا أبى أن يفعل هذا، ولم يستطع أن ينجُ بنفسه. فقد كانوا يقيمون مع "تيمور سلطان"[٤٦٩]. وقد قتلوا (على ميرزا) بعد أربعة أو خمسة أيام في وادي "قُلبه"[٤٧٠]. وفارق الدنيا مذموما في سبيل هذه الحياة الدنيا الفانية ذات الأيام الخمسة، وانخدع بكلمات (تلك) المرأة، وأخرج نفسه من زُمرة الكِرام. وليس من الصواب الإسهاب في كتابة المزيد من وقائع رجل كهذا، وسماع المزيد من مثل هذه التصرفات الوضيعة.

بعد مقتل السلطان "على ميرزا"، أرسلوا "جان على" بدوره، إلى أميره. لم يكن "شيبانى خان" يثق في "خوجه يحيى"، لهذا سمح له بالذهاب مع ابنيه "خوجه محمد زكريا"، و"خوجه باقى" إلى ناحية "خراسان". وأرسل في أعقابهم، عددا من الأوزبك، قتلوا "خوجه يحيى" وابنيه بجوار "خوجه كاروزن"[٤٧١]. وقد أنكر "شيبانى خان" أن له صلة بمقتلهم (٨١أ)، والأسوأ من

---

[٤٦٩] تيمور سلطان، هو ابن "شيبانى خان".

[٤٧٠] يقول فامبرى نقلا عن شيبانى نامه، أن السلطان "على ميرزا" غرق في حادث حين كان يركب عند شواطئ نهر زرفشان ولم يُقتل كما يذكر بابر. انظر، فامبرى، نفس المرجع، ص٣٠٥/١.

[٤٧١] حول مقتل خوجه يحي يذكر فامبرى أنه خرج هاربا من سمرقند، وعمد إلى التنكر فأزال لحيته، وبرغم هذا التنكر انكشف أمره وقبض عليه رجال "شيبانى خان"، وحين سأله "شيبانى خان" عن سبب إقدامه على هذه الفعلة المشينة، فحاول الخوجه أن يستعطفه بمدحه ببيت من الشعر لكن "شيبانى خان" لم يتأثر بهذا المديح، وأمر به فقتل. انظر، فامبرى، نفس المرجع، ص ٣٠٨.

هذا أنه اتهم "قَنْبَر على "و "كويك بـــك " بقتلهم. والمثل يقول : "عُذرُه أقبح من ذَنبِه"[٤٧٢] . فإذا بدأ الأمراء في القيام بمثل هذه الأعمال من تلقاء أنفسهم، وبدون علم الأمراء والخانات والسلاطين، فأي اعتبار (إذن) يبقى للخانية والسلطنة.

تخلى أمراء " سمرقند " عن بـــــابُر :

عقب استيلاء الأوزبك على "سَمَرْقَنْد "، توجهنا من "كَش " إلى "حصــــار" مباشرة. وتوجه معنا أمراء سَـــمَرْقَنْد، وأهلهم وعشيرتهم، وعلى رأسهم "محـــمد مزيد تَرخان ". وعندما هبطنا وادى "جلتو " من جغانيـــــان، انفصل عنا أمراء سَمَرْقَنْد الذين تحت قيادة "محمد مزيد تَرخان "، وذهبوا إلى "خُســـرو شـــاه " ودخلوا في خدمته. ولما كنا محرومين من المدينة والولاية، وليس لنا مُستقَر ولا وجهة واضحة. كنا مرغمين على المرور من داخل ولاية "خُسرو شاه " رغم ما اقترفه من مظالم ضد عائلتنا (التيموريـــة). فجال بخاطرى المرور من "قـــير تكيـــن "، والذهاب إلى خالى الخان الصغير "الجه خان"[٤٧٣] . لكننا لم نتمكن من هذا.

تفرق رجال بابُر من حولـــه :

قررنا اجتياز تل "سره تاق " سيرا من "كمـــرود " إلى أعلى. فلما وصلنا إلى جوار "تونْداك "، جاء رسول "خُسرو شاه " وأحضر معه تسعة جياد وتسع قطع من القماش[٤٧٤] . فلما نزلنا مضيق "كمـــرود"، هرب "شـــيرعلى جـــهره "،

---

[٤٧٢] المثل بالفارسية ونصه : عذرش بتر از كناه.

[٤٧٣] الجه خان، يقصد السلطان أحمد خان.

[٤٧٤] نلاحظ أن رقم تسعة عظيم القدر عند الأتراك والمغول، فالهدايا أعظمها بالعدد تسع، والطرفات الدالة علـــى المكانـــة

(٨١ب) وذهب إلى "ولى " شقيق "خسرو شاه" . وفى اليوم التالى، انفصل (عنا) "قوج بك "، وذهب "حصار" . ومن وادى "كمرود" اتجهنا إلى أعلى، وتركنا الكثير من الخيل والإبل فى الطرق الضيقة الشاهقة الارتفاع، والممرات الوعرة. وبعد ثلاثة أو أربعة أيام، وصلنا إلى ممر "سيره تاق"[٤٧٥] . إنه ممر، لكن ياله من ممر. فلم نر ممر مرتفع وضيق بهذا الشكل فى أى مكان قط. كما لم نمر أبدا فى مثل هذه الطرق الضيقة الهاوية. وصلنا إلى جوار "فـان" بعد أن عبرنا المضيق والطرق عالية الارتفاع المحفوفة بالخطر بمعاناة ومشقة، واجتزنا هذه الممرات الضيقة العالية الخطرة، بألف معاناة ومشقة.

بين جبال "فـــان"، بحيرة كبيرة وجميلة، يبلغ محيطها تخمينا، حوالى "شرعى"واحد ولا تخلُ من غرابة.

تبعا لما تلقيناه من أخبار، (علمنا) أن "ابراهيم ترخـان " قام بتحصين قلعة " شيـراز" كما قام " قنبـر على " بتحصين قلاع " يار ييـلاق " . وأن " ابو القاسم كهبر " فى " خوجـه ديدار " . وأنه لم يستطع البقاء فيها بعد استيلاء الأوزبك على " سمرقند "، فذهب إلى يـــاربيلاق، وقام بتحصين القلاع الموجودة أسفل منها . (بناء على هذا) توجهنا إلى " كشتـود "، جاعلين " فــان " عن يميننا .

أرقاما تسعة طوغات، وعدد مرات الانحناء للتعظيم هو الانحناء تسع مرات كما سنلاحظ فى هذا الكتاب.

[٤٧٥] هكذا جاءت فى النص الجغتاى وفى الترجمة التركية ص٨٥، وجاءت فى الترجمة الإنجليزية"وقبل أن نبلغ ممر "سيره طاق"اضطررنا (فى مسافة خمسة وعشرين ميلا) أن نبيت ثلاث أو أربع ليال"ص ١٢٩. وذلك لحرص الترجمة الإنجليزية على ترجمة المعهودون التقيد بحرفية النص.

شكوى بابُر من جفاء أهل الكــرم معــه :

وكان خان "قـــان" مشهورا ومعروفا بأصالته وكرمه، وإنسانيته فى تقديم العون (٨٢أ). فعندما هاجم السلطان حسين مــيرزا " حصــار "، سَلَك "الســلطان مســعود مــيرزا " هذا الطريق نفسه أثناء ذهابه إلى أخيه الصغير "بايسُنغُر ميرزا " فى "ســمرقند"، وأهدى إليه حاكم "قـان" ستين أو سبعين حصانا، وقدم إليه خدمات أخرى مشابهة. أما أنا فقد أرسل إلى حصانا واحدا سيئا، ولم يأت بنفسه. فما بال المشهورين بالكرم يتعاملون معنا بخِسَّة، والمعروفون بسموّ مكانتهم، ينسون هذا معنا. كذلك "خُســرو شــاه "كان مشهورا ومعروفا بكرمه وأصالته. وقد ذكرنا المساعدات التى قدمها إلى "بديع الزمان مــيرزا ". وبعد ذلك أظهر جودا وكرما بالغين تجاه باقى ترخان والأمراء الآخرين. (أما نحن) فقد عبرنا من ولايته مرتين، لم يتذكر فيهما أنه من نفس جنسنا، ولم يظهر لنا من السخاء، ما أظهره إلى أقل رجالنا. بل أنه لم يظهر من الاحترام، ما أظهره إلى رجالنا .

أيها القلب، يامن تأمل الخير من أهل الدنيا

لا تنتظر الخير ممن لا يكون خيِّرا من تلقاء نفسه.

فى الطريق إلى ســمرقند :

أثناء مرورنا من "قان "، هجمنا على "كشــتود "، ونحن نفكر فى احتمال أن يكون فى قلعتها رجُل للأوزبك. لكننا وجدنا القلعة مخربة وخاوية على عروشها. فجاوزنا المكان (٨٢ب)، ووصلنا إلى ساحل ماء "كُهك "، فعبرنا جسر

ذلك الماء من أمام "يارى "، وأرسلنا الأمراء الذين تحت قيادة "قاسم بـك"، للهجوم على قلعة "رباط خوجــه" والاستيلاء عليها، ثم غادرنا "يـارى" وعبرنا جبل "شُنقارخانه "[٤٧٦] ووصلنا "يار ييـــلاق ". أما الأمراء الذين ذهبوا إلى ربـاط خوجـه، فقد شعر بهم أهل القلعة وهم يضعون السلم على جدارها، فانسحبوا بسرعة، ورجعوا بدون أن يتمكنوا من أخذها.

كان "قُنْـبُر علـىَ" فى "سـنكزار"، فجاء إلينا وتقابلنا. كما أرسـل "ابو القاسم كُهبَر" و "ابراهيم تَرْخان" خيرة رجالهما لينضموا إلينا، وأظهروا لنا مظاهرالصداقة والتبعية.

وصلنا إلى قلعة "اسفيدك " من قرى "يار ييلاق". وكان "شَيْبانى خـان" آنذاك، يقيم بجوار "خوجه ديدار"، وقد جمع ثلاثة أو أربعة آلاف من الأوزبـك، وعدد كبير من الفرسان الحليين. كان (شَيْبانى خان) قد أعطى إدارة سَــمَرْقَنْد إلى "جان وفا ميرزا " فكان موجودا داخل قلعتها مع خمسمائة أوستمائة رجل. بينما استقر حمزة سلطان و "مهدى سلطان " مع رجالهما بالقرب من سَــمَرْقَنْد عند دغل بودانـــه. وكان عدد رجالنا بخيرهم وشرّهم مائتين أربعين رجلا.

(١٨٣أ) فتشاورت مع كل الأمراء وقررنا الآتى : "إنه لم يمض وقت طويل على استيلاء "شَيْبانى خان " على سَمَرْقَنْد، ولم تتعلق قلوب أهلها به إلى الآن، كما أنه لم يتعلق بهم. وإذا كنا نرغب فى القيام بشيىء، فيمكننا أن نقوم به الآن. فإذا وضعنا السلالم، وهجمنا على القلعة واستولينا عليها، فإن أهلها سيكونون إلى

---

[٤٧٦] شُنقارخانه، جبل يقع بين يارى وياربيلاق. ومعنى بيت الصقور.

جانبنا. وماذا يمكننا أن نفعل غير هذا؟، حتى وإن لم يساعدوننا، فليس هناك احتمال لأن يقاتلونا من أجل **الأوزبك**. وبعد أن نتمكن من الاستيلاء على **سَمَرْقَنْد**، لن يكون إلا ما قدره الله ".

إسترداد بابُر لسمرقند :

إتخذنا قرارنا بهذا، وتحركنا من "**يار يَيْلاق**" بعد صلاة الظهر، ومشينا الليل بطوله، فوصلنا "**خان يوردو**" فى منتصف الليل. وفى تلك الليلة، انسحبنا إلى "**خان يوردو**" مباشرة، بدون أن نقترب من القلعة خشية أن يكون الأهالى قد علموا (بأمرنا). ومع طلوع الفجر عبرنا ماء "**كُـهك**"، أسفل قليلا من "**رباط خوجه**"، ورجعنا مرة أخرى إلى "**يار يَيْلاق**".

وذات يوم كنا نجلس فى قلعة "**أسفيدك**" مع بعض الخواص أمثال "**دوست ناصر**" و "**تويان**"[٤٧٧] **كوكلداش**" و "**خان قولى**" و "**كريم داد**" و "**شيخ درويش**" و "**خُسرو كوكلداش**" و "**ميرم ناصر**". وكنا نتكلم فى أمور شتى. فقلتُ: **(٨٣ب)**

" تُرى، إذا شاء الله، متى نأخذ سَمَرْقَنْد ؟ "قال بعضهم : "نأخذها فى الربيع القادم"، وكان الوقت آنذاك خريفا. وقال البعض الآخر : (بعد) شهر، وقال فريق ثالث : (بعد) أربعين يوما، وفريق رابع قال : (بعد) عشرين يوما، وقال "**تويان كوكلداش** ": " نأخذها فى أربعة عشر يوما ". وشاء الله فأخذنا **سَمَرْقَنْد**

---

[٤٧٧] تويان، فى تركستان كان الاصطلاح المغولى "تويان" بمعنى أمير أو بمعنى الكلمة التركية "بك" يطلق حتى زمان تيمور على أفراد الأرستقراطية العسكرية. و. بارتولد، تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، ط١، ص٢٠١.

فى أربعة عشر يوما بالتمام.

بُشرى فتح " ســـمرقند ":

رأيت فى ذلك الوقت رؤيا غريبة. رأيت (فى منامى) مولانا الشيخ عُبَيْـــد الله وقد جاء[478] وخرجتُ لاستقباله. جاء الشيخ وجلس وبسطوا غطاء المائدة أمامه بغير عناية. فضاق الشيخ بهذا. إلا أن "مُلاَّ بابا "[479] نظر ناحيتى وهو يشير (إشارة لها معناها) فأومأت إليه بأننى لستُ السبب (فى هذا) وإنما التقصير ممن وضع الغطاء. وفهم الشيخ (ما أعنيه)، وقبِل عُذرى هذا. ثم وقف على قدميه، وخرجت لأُشيِّعه. وفى فناء ذلك البيت، أمسكنى الشـــيخ من ذراعى الأيمن أو الأيسر، ورفعنى إلى أعلى، فارتفعت إحدى قدماى عن الأرض. فقال الذين حول المائدة : "لقد قضى الشـــيخ المصلحة ". وأخذتُ "سَـــمَرْقَنْد "خلال تلك الأيام المعدودة.

دخول بابُر سمرقند للمرة الثانيـــة :

بعد يوم أو يومين جئنا من قلعة "أسفيدك " إلى قلعة "وِســـمَنْد ". وذات مرة اقتربنا من"سَمَرْقَنْد "، فلما شعروا[480] بنا، انسحبنا، ثم (٨٤أ) توكلنا على الله مرة أخرى وخرجنا من " وِسمَنْد " بذات النية ، هجمنا بسرعة على " سَـمَرْقَنْد " عقب صلاة الظهر وكان معنا الخوجه عبد الكريم. وفى منتصف الليل وصلنا إلى

---

[478] نلاحظ هنا أنه يتكلم عن الشيخ عبيد الله بصيغة الجمع دلالة على الاحترام.

[479] مُلاَّ بابا، هو مُلاَّ بابا البشاغرى، أحد القواد عند بابُر شاه، الترجمة التركية، الملاحق ص٥١٩.

[480] يقصد الأوزبك.

جسر "**ماغاق**" من ناحية الطريق الرئيسي. وأرسلنا أمامنا سبعين أو ثمانين من الفتيان الشجعان ليصعدوا بالسلالم إلى أعلى (القلعة) من أمام "**غارِعاشقان**". ويتوجهوا إلى "**باب فيروزة**"، فيستولون على الباب ثم يرسلون رجلا إلينا.

ذهب هؤلاء الفتية وصعدوا بالسلالم إلى أعلى (القلعة) من أمام "**غارِعاشقان**" دون أن يُشعِرَنّ بهم أحد. وجاءوا إلى باب "**فيروزه**"، وهجموا على "**فاضل ترخان**". ولم يكن فاضل ترخان من أمراء الترخانيين، إنما كان من تجار تُركستان الترخانيين. وقد التحق بخدمة "**شيَبانى خان**" فى تُركستان، وصار مرموقا عنده.

قتل الفتية فاضل ترخان، وعدداً من رجاله، وكسروا مزلاج الباب بالبلطة، وفتحو باب القلعة. فى تلك الأثناء وصلتُ (إلى باب سمرقند) ، ودخلتُ على الفور من "**باب فيروزه**". أما "**ابو القاسم كُهبَر**"، فلم يأت بنفسه، وإنما أرسل أخاه الأصغر **أحمد قاسم** وبرفقته ثلاثين أو أربعين رجلا.

إعتلاء بابُر عرشِ سمرقند للمرة الثانية :

لم يكن فى القلعة أحد من رجال "**ابراهيم ترْخان**"، فدخلتُ المدينة وعندما جلستُ فى الخانقاه، جاء أخ "**ابراهيم ترْخان**" الأصغرمنه واسمه "**أحمد ترخان**"مع عدد من رجاله (٨٤ب)، وكان أهل المدينة مازالوا نائمين. كان أصحاب الحوانيت، ينظرون من حوانيتهم، فيعرفوننى، فتلهج ألسنتهم بالدعاء لى. وبعد فترة قصيرة، علم أهل المدينة بأمر قدومى، وغمر رجالى وأيضا أهل "**سمَرقَند**" سعادة

غربية. فكانوا يقتلون **الأوزبك**، فيقذفونهم بالحجارة فى الشوارع، ويلهبونهم بالسياط مثل الكلاب المسعورة. وقتلوا بهذه الطريقة حوالى أربعمائة أو خمسمائة أوزبكى. وكان "**جان وفا**"[481] والى المدينة موجودا فى أحد منازل "**خوجه يحيى**"، فولى هاربا وذهب إلى "**شَيْبَاق خان**".

دخلت من باب القلعة، واتجهت ناحية المدرسة والخانقاه مباشرة، وجلست فوق قوس الخانقاه. واستمرت المشاحنات والصياح فى كل مكان حتى الصباح. وجاء بعض الباعة وأصحاب الحوانيت سعداء فرحين لمجيئى، وأحضروا معهم كل مافى وسعهم، ولهجت ألسنتهم بالدعاء.

وفى الصباح جاء الخبر بأن **الأوزبك** فى باب "**آهنين**"، حصّنوا ما بين البابين وأن القتال دائر هناك. فركبت الجواد على الفور، وتوجهت مباشرة إلى هناك. كان معى ما يتراوح بين خمسة أو خمسة عشر أو عشرين رجلا، والمدينة آلت إلينا توا، وكل واحد من العوام مشغول فى ناحية بالبحث (عن **الأوزبك**). (185أ) وإلى أن وصلت باب "**آهنين**"، كانوا قد أخرجوا **الأوزبك** من الباب. علم "**شَيْبَاق خان**" بهذا الأمر، فجاء إلى باب "**آهنين**" وهو فى غاية الاضطراب ومعه مابين مائة أو مائتى رجل وأدركهم مع شروق الشمس، واقترب من الباب يتقصى الأمر. وكما ذكرت سلفا كان معى عدد قليل جدا من الرجال. وعندما تبين "**شَيْبَاق خان**" أنه لن يتمكن من إنجاز شىء، لم يستطع البقاء، وانسحب فى الحال.

رجعت من عند باب "**آهنين**"، ونزلت فى "**بستان سراى**" داخل القلعة

---

[481] جان وفا، رجل شيباق خان فى "سمرقند".

(الداخلية). وجاء الأكابر والأشراف وكبار المدينة، وقابلوني وقدموا لي التهنئة.

المقارنة بين بابُر والسلطان حسـين بـايقرا :

كان مُلك "سَمَرقَنْد" في (حوزة) عائلتنا لما يقرب من مائة وأربعين سنة. فجاء أوزبكي غريب وعدو، واستولى عليه. ورد الله إلينا مُلكنا المُغتصب. وعادت إلينا مرة أخرى الولايات التي تعرضت للنهب. وقد أخذ **السلطان حسـين ميرزا** "هـراة" بهجمة كهذه. لكن في نظر العارفين بالأمور وأمام الفاهمين والحايدين، يتجلى أن هناك فرق كبير بين ذلك العمل وهذا الفتح (لعدة أسباب)؛ أولا : أن "**السلطان حسين ميرزا**" كان سلطان كبيرا في السن تمرس بأعمال كثيرة، وخاض تجارب متعددة. ثاني هذه الفروق، أن عدوه **يادكار محمد ناصر ميرزا**، كان فتى غريرا في السابعة عشر أو الثامنة عشر من عمره. (٨٥ب) ثالثها، أن مير **علي ميرآخور**، كان موجودا بين العدو وملما بأوضاعه، فأرسل رجالا إلى **الميرزا**[٤٨٢] وهو في غفلة من أمره يستعديه على العدو. رابعها، أن العدو لم يكن (متحصنا) في قلعة، إنما كان موجودا في "**بـاغِ زاغـان**"، وعندما استولى "**السلطان حسين ميرزا**" على المدينة، كان **يادركار محمد ميرزا** ورجاله غارقين في الشراب حتى أن الحراس الثلاثة الذين كانوا على باب **يادركار محمد ميرزا** في تلك الليلة، كانوا ثملين. خامسها، أن "**السلطان حسين ميرزا**" جاء وعدوه غارق في غفلته واستولى على المدينة.

---

[٤٨٢] يقصد السلطان حسين بايقرا سلطان هراة.

أما أنا فقد أخذت سَـمَرْقَنْد، وكنت في التاسعة عشر من عمري، قليل المراس والخبرة. في حين أن عدوي "شَـيْبَاق خـان" كان رجلا كثير التجارب متمرسا وناضجا. كما أننا لم نتلق أي مساعدة من سَمَرْقَنْد. والواقع أن أهلها كانوا يميلون إلينا ورغم هذا لم يجرؤ أحد منهم على القيام بمد يد العون لنا خوفا من "شَيْبَاق خان". كما أن عدوي كان متحصنا داخل قلعة، فأخذنا القلعة وطردناه منها. وكنا قد جئنا من قبلُ إلى سَمَرْقَنْد وعلم العدو بأمرنا، وعندما جئنا إليها هذه المرة وهي الثانية، قيّضَ الله لنا أن نستولي عليها. والهدف من قولي هذا، ليس الإساءة إلى الآخرين (١٨٦أ)، إنما شرح الواقع كما ذكرت من قبل، كما أن الهدف من كتابة هذا ليس الإعلاء من شأني، إنما ذكر الحقيقة. وقد رتب الشعراء "تاريخا "في هذا الفتح، مازلت أذكر منه هذا البيت:

ذكر العقل تاريخه من جديد، فاعلم أنه فتح بابُر بهادر"[٤٨٣]

بعد أخذ "سَمَرْقَنْد"، بدأت القلاع القريبة من مقاطعات شاودار وسُـغد، في الانضمام إلينا الواحدة تلو الأخرى. وبعض القلاع غادرها ولاتها الأوزبـك من (فرط) الخوف. وبعضها قام أهلها بطرد الأوزبـك وأعلنوا ولائهم لنا. كما قبض (أهل) بعض القلاع على الولاة فيها وقاموا بإغلاق القلاع. في هذه الأثناء جاء "شَيْبَاق خان" والأوزبك التابعون له مع أهاليهم وأفراد عشيرتهم من تُركستان.

كان "شَيْبَاق خان" بجوار خوجه ديدار وعلى آبـاد. فلما رأى أن القلاع

[٤٨٣] البيت مكتوب بالفارسية.
وهذا التاريخ بحساب الجمل يقابل عام ٩٠٦هـ=١٥٠٠م.

قد آلت إلينا على هذا النحو، وأن الأهالى عادوا إلينا، غادر مكانه وتوجه إلى "بُخارا". وبعون الله انتقلت إلينا معظم قلاع "سُغد" و"ميان كال". خلال ثلاثة أو أربعة شهور.

استغل باقى ترخان الفرصة، فجاء ودخل قلعة قارشى. وخرجت "خزار" و "قارشى" من يد الأوزبك. وجاء رجال أبو المحسن ميرزا من مرو واستولوا على "قرا كول"[٤٨٤]. (٨٦ب) وكانت أعمالنا كلها تسير على خير ما يرام.

مولد أول البنات :

بعد خروجى من "أنديجان" وصلت والدتى وجدتى لأمى وأهلى وأقاربى إلى أوراتبة بشق الأنفس. فأرسلنا إليهم رجلا جاء بهم إلى "سَمَرْقَنْد". وخلال هذا الأيام (المعدودة) وضعت زوجتى عائشة سلطان بيكم بنت السلطان محمد ميرزا، أنثى سميتها "فخرُ النساء" وهى أول من أنجبتُ. وكنتُ آنذاك فى التاسعة عشر من عمرى. لكنها انتقلت إلى رحمة الله بعد مولدها بحوالى أربعين يوما.

بعد فتح "سمرقند":

عقب فتح "سَمَرْقَنْد"، أرسلنا الرُسل، ورجال البريد إلى الخانات والسلاطين والأمراء القائمين على طول الحدود والأطراف والجوار، مرة تلو أخرى بغير انقطاع

---

[٤٨٤] قرا كول، يعنى البحيرة السوداء وهى بحيرة تقع فى بخارى فى جنوب غرب مدينة بخارى على بعد ٣٠ كم من الساحل الشمالى لنهر جيحون وتتشكل من المياه الفائضة لنهر زرافشان. انظر شمس الدين سامى قاموس الأعلام، ج٥، ص٣٦٤٣.

لطلب العون منهم. وقد تصرف بعضهم رغم خبرتهم ، بغير أكتراث ولم يقبلوا بسهولة ما طلبته منهم. وبعضهم الآخر أظهر نحوناً وقاحة وحماقة، وتجاهلوا الأمر خوفا على مكانتهم. وبعضهم أرسل لنا مساعدة ؛ لكنها ليست عونا . وسأذكر كل واحد منهم عندما يحين دوره.

مساجلات بابُر الأدبيــة :

عندما أخذت "سَـمَرْقَنْد " في المرة الثانية، كان "علــى شـير بــك " مازال على قيد الحياة. (١٨٧أ) وقد وصلتني ذات مرة. رسالة منه، وأرسلتُ له بدوري رسالة كُتبت على ظهرها بيتًا باللغة التركية. وإلى أن جاء الردّ، نشبت خلافات ومنازعات. ذلك أنه عندما استولى "شَيْبَاق خان " على سَمَرْقَنْد، انضم إليه "المُلاّ بنائي "، فجعله (شَيْبَاق خان) ملازما له بصفة دائمة. فلما فتحنا (سَمَرْقَنْد) جاء إلينا (المُلاّ بنائي) بعد الفتح ببضعة أيام. فارتاب "قاسم بك "في أمره، وسمح له بالذهاب إلى "شهرِسبز ". ولأنه كان رجلا فاضلا ولم يظهر منه ما يدينه، فقد أتينا به مرة ثانية إلى سَمَرْقَنْد. وكان (المُلاّ بنائي) يكتب دائما الغزل والقصيدة. وقد أتحفني بغزل له لحنه من (مقام) النوا[٤٨٥]، وقال في ذلك الوقت أيضا رباعيا (قال فيه) :

لا أملك ما أربيه لآكل منه،

ولا ما أنسجه لأرتديه

---

[٤٨٥] النوا، اسم واحد من المقامات الموسيقية. انظر، الموسوعة العربية الميسرة، ط٢، ١٩٧٢، ص ١٨٥٠/٢.

ومن لا يملك ما يأكله وما يلبسه،

كيف يسعى فى طلب العلم والمعرفة"[486]

وكنت أيضا فى تلك الفترة قد أردد بيتا أو بيتين من الشعر، لكنى لم أكتب غزلا كاملا. لكنى قلت ذات مرة (هذا) الرباعى باللغة التركية"[487]:

إنما أعمالك تبعا لنيتك

وسيأتيك معاشك والفضل

لقد أعطيتك سؤلك من المأكل والملبس،

وسيكتسى جسمك بالرداء ويمتلئ بيتك بالغلال

وقال المُـلا بنائى رباعيا آخر، بقافية أخرى متخذا من قافية المصراع الأخيرلهذا الرباعى رديفا (٨٧ب) (فقال) :

سيكون أميرى سلطان البر والبحر ؛

ويتميز بين الأنام بفضله

فإذا كان كل هذا الإحسان من أجل مُهمَل ؛

فما الأمر إن قلت إنه مُستعمَل"[488]

فى تلك الأثناء جاء الخوجه أبو البركة فراقـــى من "شـــهر ســـبز" إلى

---

[486] البيتان مكتوبان باللغة الفارسية.

[487] كانت اللغة الفارسية هي لغة الأدب في بلاط سلاطين وأمراء التيموريين في ذلك الوقت. وقد أراد بابر أن يحذو حـــذو شاعر الجغتائية الكبير مير علي شير نوائي، وكان معاصرا له فنظم بابر بعض الأشعار باللغة التركية وكذلك كتب وقائعـــه هذه بهذه اللغة وذلك لكي يعضد دعوة نوائي في تقوية مكانة اللغة التركية كلغة أدبية إلى جانب اللغة الفارسية. انظـــر، علي أكبر شهابي، روابط أدبي ايران وهند، اسفند ماه، ص ٢٧، ٣٠، ٣١. وأيضا،
Kemal Eraslan, I.A.T.D.V.c.8, çağatay Edebiyatı.s.168 .

[488] أغفلت الترجمة الفارسية ذكر هذا الرباعي، انظرالترجمة الفارسية، ص٥٥.

"سَمَرْقَنْد "، وقال : "كان الأولى به أن ينظم الرباعى على نفس تلك القافية وذلك الرديف " ونظم هذا الرباعى :

سيُسأل الدهر عمن ظلمه،

وسيأمر السلطان رفيع المكان بالصفح عن ذنبه

أيها الساقى إذا لم يملئ الكأس بكل ما سكبت،

فسيملأه هذا الدهر الذى لا ينسكب"[489].

ضياع قراكول وقلعة دبوســــى :

هذا الشتاء (من عام ٩٠٦ هـ) كانت أمورنا فى تقدم جيد، بينما كان أمر شَيْبَاق فى انحسار. أثناء هذا وقع حادث أو اثنان أفسدا عملنا بعض الشيء. أولاها : أن أولئك القادمين من "مـــرو" الذين أخذوا "قراكـــول " عجزوا عن المقاومة، وبذلك انتقلت "قراكول " مرة أخرى إلى الأوزبـــك . أما الحادث الآخر فكان أخذ "شَيْبَاق خان " قلعة دبوسى بالقوة وإعماله السيف فى كل أهلها أثناء وجود لمحمد ترخان الأخ الصغير لـ "ابراهيم تَرْخَــــان " فيها. وحدث كل ذلك بعدما كنا قد جمعنا العسكر وأعددنا العُدة.

عندما فتحتُ "سَـــمَرْقَنْد "، كان معى مائتين وأربعين رجلا مـــن المجربين. (١٨٨أ) وتزايد عددهم خلال خمسة أو ستة أشهر بعون الله لدرجة أننا خضنا حربا فى "سربُل" ضد رجل قوى مثل "شَيْبَاق خان "، سيأتى ذكرها فيما بعد.

---

[489] أغفلت الترجمة الفارسية ذكر هذه الرباعى، انظر الترجمة الفارسية ص٥٥.

جاء رجال من عند **الخان**، و**أيوب بيكجك**، و**قاشقه محمود**، وجاء من **البارنيين** حوالى أربعمائة أو خمسمائة رجل، وقد جاءوا (كلهم) لمد يد العون. كما جاء من عند **جهانكير ميرزا** ، **خليل** الأخ الصغر لتنبل ، ومعه مائة أو مائتى رجل، لمساعدتى. لكن لم يأت أحد قط من عند "**السلطان حسين ميرزا** "، مع إنه سلطان عاقل ومجرّب وخير من يعرف أفعال وأطوار "**شيباق خان** ". كذلك لم يأتِ أحد قط من عند "**بديع الزمان ميرزا** "، أما "**خسرو شاه** فلم يُرسل أحدا، من شدة خوفه. والسبب في ذلك أنه ظهرت منه مساوئ كثيرة تجاه أسرتنا كما ذكرت من قبل، لذلك كان شديد الخوف منا .

محاربة " شيباق خان " فى سربل :

وفي شهر شوال، تحركنا بقصد محاربة "**شيبَاق خان** ". فخرجتُ إلى "بـاغ نو ". وأقمت فيها خمسة أو ستة أيام لجمع الجُند والاستعداد . ثم تحركنا من هناك . وبعد أن استرحنا فىعدة منازل، عبرنا من "**سـربُل** "، وأقمنا معسكر الجيش. أحطنا أطراف المعسكر بالخنادق و الحُفر من كل جانب بصورة مُحكمة. (٨٨ب) وجاء "**شيبَاق خان** " من هناك، ونزل بجوار "**خوجة كاروزن** "[٤٩٠] . وكان بيننا حوالى فرسخ واحد تقريبا . أقمنا فى مكاننا هذا حوالى أربعة أو خمسة أيام. كان رجالنا ورجال عدونا يأتون يوميا من هنا وهناك ويتراشقون بالسهام . وذات يوم جاء رجُل العدو بحشد كبير نسبيا ، ودارت بيننا الحرب بشدة. لكن لم يظفر فيها

---

[٤٩٠] **خوجة كاروزن**، جاءت فى الترجمة الفارسية "كازرون"، انظر الترجمة الفارسية ص٥٥.

أحد الجانبين بشيء أكثر من الطرف الآخر. وعاد حوالى الفوج من رجالنا بسرعة ودخلوا الخندق، وردد بعضهم أن هؤلاء هم فوج سَيِّدى قرة بك. والواقع أن سَيِّدى قرة بك كان رجلا عند كلمته لكن سيفه كان ضعيفا بعض الشيء.

وفى تلك الأيام قام "شَيْبَاق خان" بغارة ليلية (علينا)، وكانت المنطقة المحيطة بالجند محكمة ومحصنة بمانع الأشجار والخندق. فجاء "شَيْبَاق خان" ولم يستطع أن يفعل شيئا قط؛ سوى أنهم صاحوا من خارج الخندق وأطلقوا بضع سهام ثم انسحبوا.

كنت أريد التعجيل بالحرب، وكان "قَنْبَر على" متحمسا أيضا. كان باقى ترخان قد نزل إلى "كَش" ومعه حوالى ألف أو ألفين من الرجال المسلحين، وكان سينضم إلينا ليوم أو يومين. كذلك جاء سيد محمد ميرزا دوغلات للمساعدة من عند خالى الخان ونزل إلى "ديول" ومعه ألف أو ألف وخمسمائة رجل (١٨٩أ) وكان موجودا على مسافة أربعة فراسخ و سينضم إلينا عند الصباح. فلما كان الوضع على هذا النحو، عَجَّلنا بالقتال وتحاربنا :

" إن من يتهوّر ويبادر بإعمال سيفه، يتجرّع الندم جزاء فعله "[٤٩١]

وكان سبب حماستى (للقتال) أن فى يوم الحرب كان نجم الزُهرة فى الوسط. فإذا انقضى ذلك اليوم سيصبح نجم الزُهرة خلف العدو لمدة ثلاثة عشر أو أربعة عشر يوما. لكن هذه الملاحظات كانت عجلة فى غير مكانها ولا لزوم لها.

---

[٤٩١] البيت مكتوب باللغة الفارسية، وهو لسعدى الشيرازى

هزيمة بابُر أمام شَيْبَاق خــــان :

ذات الصباح تسلحنا للقتال وألبسنا الجياد الدروع، ونظمنا صفوف الميمنة والميسرة والقلب، وصفوفَ المقدمة وتحركنا (وكان تنظيمنا على النحو التالى):

فى الميمنة ؛ ابراهيم سارو، وابراهيم جانى، وابو القاسم كُــهبَر، وبعض الأمراء الآخرين. وفى الميسرة ؛ محمد مزيد تَرخان، وابراهيم تَرخان، ومن أمراء "سَمَرْقَنْد" سلطان حسن أرغون، وقره بارلاس بيرأحمد، وخواجة حسين. وفى القلب ؛ "قاسم بك" وبعض الخواص المقربين، وفى المقدمة ؛ قُنبُرعلى السلاّخ، وبنده على، وخواجة على، وميرشاه قوجين، وسَيّدى قاسم أشيك أغا، وحالدار الأخ الأصغر لبنده على، وحيدربن قوج قاسم بك. وجعلنا بقية الفتيان الشجعان والخواص فى جناح المقدمة. وتحركنا فى هيئة صفوف، وخرج لنا العدو من تلك الناحية فى صفوف أيضا، (٨٩ب) وكانت ميمنته تضم محمـــود سلطان وجانى بك سلطان وتيمور سلطان، وفى الميسرة "حمزة ســـلطان" و "مـــهدى سلطان" وبعض السلاطين الآخرين.

ولما تقاربت الصفوف سارت مقدمة ميمنة جيش العدو لتلتف من ورائنا، فاستدرتُ ناحيتهم. فصارت مقدمة جيشنا التى تضم فتياننا الشجعان وكلهم من أصحاب الخبرة ممن يجيدون استخدام السيف، عن يميننا، وبذلك انكشفت الصفوف أمامنا. ورغم هذا أخذنا نضغط على المركز بضرب الرجال الذين تقدموامنهم ودفعِهم إلى الرجوع. وبلغ الأمر حدًا أن بعض الكبار من رجال شَيْبَاق، وكبار السن منهم قالوا له : "لابد من السير فقد مضى وقت الوقوف". لكنه رغم هذا ظل فى

مكانه. وهزمت ميمنة العدو ميسرتنا. والتفت من خلفنا وعندما أصبح جناح المقدمة أيضا عن يميننا أصبحت مقدمتنا مكشوفة. وبدأ العدو فى الضغط من الأمام والخلف وإطلاق السهام علينا. ولم يكن لجنود المُغول الذين جاءوا لمساعدتنا، أى قدرة على القتال بل تركوا الحرب وبدأوا فى نهب جنودنا وإسقاطهم من فوق الجياد. ولم يحدث هذا هذه المرة فقط، إنما هو دأب هؤلاء المُغول المشؤومين. (١٩٠) فإذا انتصر الجيش أخذوا الغنيمة، وإذا انهزم هذا الجيش نهبوا رجاله ليحصلوا على الغنيمة. ورغم أن أعداءنا هاجمونا بشدة عدة مرات، فقد تصدّينالهم فى كل مرة. وضغطوا علينا من الأمام، كماجاء الذين التفوا من ورائنا ليبدأوا فى إطلاق السهام على الفوج، وشددوا الضغط من الأمام ومن الخلف، حتى زلزلوا رجالنا بعض الشيء.

كانت حركة الالتفاف هذه مهارة كبيرة يمتاز بها الأوزبك فى معاركهم. فلا تكون الحرب عندهم أبدا بغير التفاف. ومن خطط الحرب أيضا عندهم أن يطلق كل الأمراء والجنود الذين فى المقدمة والمؤخرة السهام دفعة واحدة، ثم يرجعوا مدبرين بسرعة، ثم يعودوا فينقضوا مرة أخرى دفعة واحدة.

إنصراف رجال بابُر من حولـــه :

بقى معى عشر أو خمسة عشر رجلا. وكان نهر "كُـهك" قريبا. وصلت طليعة الميمنة إلى النهر وتقدمنا نحن أيضا فى اتجاهه. وكان الوقت أوان انحسار ماء "كُهك". فلما وصلنا إلى النهر، خضنا فيه بدروعنا. واجتزنا ه سيرا إلى أكثر من

منتصفه. وكان الجزء المتبقى (من النهر) عميقًا. فعبرنا ونحن نسوق الجياد المدرعة لمسافة رمية سهم. فلما عبرنا الماء نزعنا عنها دروعها. وعندما عبرنا إلى الطرف الشمالى من الماء، ونجونا من تعقب العدو لنا. (٩٠ب) لكننا وجدنا هذا المغـول المشئومين؛ هؤلاء الذين أسقطوا رجالنا المشتتين ونهبوهم. كان هؤلاء المغـول هـم الذين أغاروا على "ابراهيـم ترخـان" ومجموعة محاربين آخرين، وأسقطوهم من على جيادهم وقتلوهم. جئنا من الطرف الشمالى من نهر "كـوهك" وعبرنا من جوار "قلبه". دخلناها من "باب شـهزاده"[٤٩٢] بين الصلاتين وتوجهت إلى القلعة (الداخلية).

مات فى هذه المعركة أمراء كبار وفتيان شجعان ورجال كثيرون. والغريب فى الأمر أنه قتل فى هذه الحرب ثلاثة من الأمراء الكبار اسم كل منهم إبراهيم، هم: "ابراهيم ترخان" و "ابراهيم سارو" و "ابراهيم جانى". كما قتل فيها أيضا ابو القاسم كهبر، وخداى بردى توغجى، وهو الابن الأكبر لـ "قاسم بك"، وخليل الأخ الأصغر للسلطان أحمد تنبل المار ذكره. وهرب أيضا فريق من الرجال فى شتى الاتجاهات ومن بين هؤلاء (الهاربين) "محمد مزيـد ترخـان"، الذى ذهب إلى "خسرو شاه" فى ناحية "حِصار" و"قوندوز". و"قنبر على". السلاخ المغولى وهو من أمرائنا الذين حظوا برعايتنا بشكل زائد. والذى نال منا رعاية كبيرة، إلا أنه لم يخلص لنا فى وقت كهذا، فقد أخذ أهله من "سـمرقند"، وذهب بهم إلى "خسرو شاه" (٩١أ) كما ذهب إلى اوراتيبـه بعض الخواص والفتية مثل

---

[٤٩٢] باب شهزاده، بمعنى باب الأمير.

كريمداد خداى دار التركمانى، وجانكه كوكلداش، ومولى بابا بشاغرى . وفى ذلك الوقت لم يكن "مُلاَّ بابا " فى خدمتنا، إنما كان ضيفا علينا . كما أن بعضهم دخل سَمَرْقَنْد معنا ، ومن بين هؤلاء شيريم طغايى ورجاله.

قرار بابُر الدفاع عن سمرقند :

تشاورنا فى الأمر، ورأينا أن نختار إما الحياة أو الموت داخل قلعة "سَمَرْقَنْد". وقررنا تحصين القلعة. ومع أن أمى وأخواتى الصغيرات كن بداخلها، فقد أخرج شيريم طغايى أهله ورجاله من المدينة وأرسلهم إلى اوزاتيبه، وبقى فى القلعة مع عدد (محدود) من رجاله. وليست هذه المرة فقط ، إنما دائما تصدر منه مثل هذه الخِفة والجحود فى مثل هذه المواقف الصعبة.

فى صباح اليوم التالى، دَعَوْنا "خوجه أبو المكارم "، و "قاسم بك "، وكل الأمراء والخواص والفتيان الذين يمكن أن يشتركوا فى المشورة. فتشاورنا، وقررنا تحصين القلعة والحرب حتى الموت أو (تكتب لنا) الحياة بداخلها. وكنتُ و "قاسم بك " والخواص والفتية الأكفاء، (بمثابة) قوات احتياطية. لهذا أقمنا خيمة بيضاء فى وسط المدينة، فوق سطح مدرسة أُولُغ بك ميرزا (٩١ب) وأقمتُ (هناك) وحددنا المواقع لبقية الأمراء والفتيان على سور القلعة وعند الأبواب والأطراف.

وبعد يومين أو ثلاثة، جاء "شَيْبَاق خان " ونزل على مقربة من القلعة. وكان العوام يتجمعون من الأحياء والقرى أفواجا فيقيمون الصلاة، ثم يأتون إلى باب

المدرسة، ويخرجون للقتال. وكان "شيباق خان " يتصدى لهؤلاء (العوام)، ولكنه لم يجرؤ على الاقتراب من القلعة. ومرّت عدة أيام على هذا الشكل، فاستمد هؤلاء العامة الذين لم يسبق لأحدهم أن قاتل أو حتى جُرح في قتال بسيف أو سهم، الشجاعة من هذا الوضع، وبدأوا في الخروج إلى مسافة أبعد. وعندما أراد الفتية المخضرمون، أن يمنعوهم من الخروج الذي لا طائل من ورائه، كانوا قد بدأوا في الطعان (بالفعل).

وذات يوم هجم "شيباق خان " على ناحية "باب آهنيـــــن "، فما كان من هؤلاء العامة الشجعان، إلا أن خرجوا له بمنتهى الجرأة وذهبوا بعيدا مثلما يحدث في كل مرة. فأرسلتُ في أثرهم فرقة من الفرسان وبعض الفتيان، وأرسلت جماعة الكوكلداش، و"توبان كوكلداش "، و"قول نزارطغايي "، و"مزيـــدا" وكلهم من الخواص المقربين، وكثيرين غيرهم، إلى "اشتركردن" وهناك تقدم واحد أو اثنان من الأوزبك (١٩٢أ) بجواديهما نحو هؤلاء الرجال، وشهرا سيوفهما وتبارزا مع "قـــول نزار ". ثم ترجّل الأوزبك عن جيادهم، وأبعدوا العامة من أهل المدينة، ثم هجموا وضغطوا على باب آهنين. وكان قوج بـــك وميرشـــاه قوجيـــن عند مسجد خضرخوجه. وأبعد الأوزبك هؤلاء العامة المشاة، ثم تقدم فرسان مقدمة العدو وساروا في اتجاه مسجد خضرخوجه فخرج لهم قوج بك، والتحم معهم وأبلى بلاءً حسنا. ووقف الناس كلهم يرقبون ما يدور، بينما واصل الهاربون فرارهم. وفات أوان إطلاق السهام والمقاومة. وكنت وبعض الموجودين إلى جواري نطلق السهام من فوق الباب. وحالت السهام التي كانت تصوب عليهم من أعلى، دون تقدم الأوزبـــك

إلى أبعد من مسجد خضر خوجه، فانسحبوا .

دفاع بابر عن قلعة سمرقند :

كنا كل ليلة طوال فترة الحصار، نجوب فوق جدران القلعة. وكنت أجوبها و"قاسم بك" أو أحد أمرائنا أو أحد خواصنا . ويمكن السير بالحصان فوق الجدار في المسافة من "باب فيروزه " إلى "باب شهزاده" ويكون السير على الأقدام في الأماكن الأخرى. (٩٢ب) وكان البعض يجوب أسوار القلعة كلها سيرا على الأقدام، فتستغرق المرة الواحدة الليل كله، وتنتهي مع شروق الشمس"[٤٩٣] .

وذات يوم هاجم "شيبَاق خان " من المسافة بين "باب آهنين " و"باب شهزاده". وكنت قد أخذت احتياطي وجئت إلى هذا المكان لأن الحرب ستبدأ من هنا . ولم نخشى شيئا (يحدث) من ناحية "باب كزورستان " . وفي ذلك اليوم أطلقت سهما من فوق "باب شهزاده " فأصاب جواد "قائد مائة " (من جند العدو) فمات على الفور. ثم شددوا وطأة الهجوم في هذه الناحية حتى وصلوا إلى أسفل جدار (القلعة) في ناحية "اشتركردن " . وبينما نحن مشغولون بالقتال في هنا ؛ غفلنا تماما عن تلك الناحية[٤٩٤]، وكان العدو قد أعد خمسة أو ستة وعشرين سلما، كل واحد منها يسمح بصعود شخصين أو ثلاثة دفعة واحدة. وخبأ سبعمائة أو ثمانمائة، من الفتيان القائمين على هذه السلالم في مخبأ بين "باب كزورستان" و"باب

---

[٤٩٣] يذكر ياقوت الحموي في وصف سمرقند أن (استدارة حائطها اثنا عشر فرسخا. ولها اثنا عشر بابا من الباب إلى الباب فرسخ ـ حوالي ٥كم ـ وعلى أعلى السور آزاج وأبرجه للحرب والأبواب الاثنا عشر من حديد. وبين كل بابين منزل للنوّاب وقيل عنها المدينة المحفوظة) انظر، معجم البلدان، ج٥، ص١٢١.

[٤٩٤] يقصد ناحية باب كزورستان.

سوزنكران " بينما هاجم (**شَيْبَاق خان**) بنفسه من الناحية الأخرى. وفى الفترة التى خلا فيها مركز القيادة وانشغل الجنود كلهم بالقتال معه فى هذه الناحية ، خرج هؤلاء المختبئون من مخابئهم (٩٣أ) أمام فناء **محمد مزيـــد ترخـــان**، وهو مكان قيادة **محمد قولى قوجين** وعدد من الأمراء وكانوا كلهم موجودين فى فناء "**محمـــد مزيد تَرخان** ". وكان **باب سوزنكران** هو مركز قيادة **قرة بَـــرلاس**، أما **بـــاب كازورستان**، فكان مقر **شيريم طاغابى** وإخوته كبارا وصغارا **وقتلـــق خوجـــه كوكلداش**. ولما كانت الحرب دائرة فى الجانب الآخر من القلعة، فلم يعلم أحد من هؤلاء الذين فى مركز القيادة شيئًا عنها، وتفرق رجالهم وعادوا إلى منازلهم و إلى الأسواق لقضاء حاجياتهم. ولم يبق فى أماكنهم سوى أمراء مركز القيادة وبعض العامة. وتصدى **قوج بك**، و**محمد قولى قوجين**، و**شاه صوفى**، وعدد آخر من الفتيان لذلك الهجوم بقوة. وصعد بعض رجال العدو فوق جدار القلعة، بينما البعض الآخر فى سبيله للصعود، فأدركهم هؤلاء الأربعة المشار إليهم وضربوهم وأنزلوهم من فوق الجدار وأجبروهم على الهرب. وقد أبلى **قوج بـــك** بلاءً حسنا فى هذا مما أسعده. واشترك أثناء هذا الحصار، مرتين فى أعمال جيدة. وظل **قـــره بَـــرلاس** وحده فى مركز القيادة "سوزنكران" (٩٣ب). وصمد هو أيضا بشكل جيد. كما صمد أيضا **قتليـــق خواجـــة كوكلتـــاش مـــيرزا** فى مركز قيادتـه فى باب "**كازورســـتان**" ومعهم عدد قليل من الرجال، فأطلقوا السهام من كوّة فى جدار القلعة. وذات مرة خرج "**قاســـم بـــك** " على رأس مجموعة من الفتيان، من **بـــاب سوزنكران**. وطارد **الأوزبك** حتى "**خواجة كفشير** ". وقبضوا على عدد منهم

وقطع رؤوسهم ثم رجع.

المعاناة من الحصـــار :

كان الوقت آنذاك زمن حصاد المحاصيل. فلم يتمكن أحد من جمع محصوله[٤٩٥]. وطالت أيام الحصار، عاني الناس خلالها معاناة شديدة وبلغ الأمر حدا أن الفقراء والمساكين أكلوا لحم الكلاب والحمير. كما نفد علف الجياد فكانوا يقدمون لها ورق الشجر لتأكله. أثناء ذلك تبين لنا بالتجربة أن ورق شجر التوت وشجرة الدرداء أفضل من ورق سائر الأشجار. فكانوا يجمعون الأشجار الجافة ويبلون نشارتها في الماء ويقدمونها علفا للجياد.

لم يقترب "شَيْبَاق خان" من القلعة لمدة ثلاثة أو أربعة شهور. إنما كان يحوم حولها من بعيد. وذات ليلة في ساعة غير متوقعة قبيل منتصف الليل، جاءوا إلى "باب فيروزه" ودقوا طبول الحرب وأطلقوا صيحاتها. وكنت آنذاك ما زلت في المدرسة[٤٩٦] (٩٤أ) فأحدثوا فزعا واضطرابا زائدا. وصاروا يفعلون هذا كل ليلة فيدقون الطبول ويطلقون صيحات الحرب ويحدثون جلبة.

عدم وصول مساعدة لبـــابُر :

أرسلنا السفراء والرجال مرارا إلى الأطراف والجوار، دون جدوى، فلم تلق

---

[٤٩٥] السبب في عدم تمكن الأهالي من جمع المحصول هو أن الأراضي التي يزرعون فيها تكون دائما خارج أسوار القلاع التي تحيط بالمدن، و كان شيباق خان قد حاصر مدينة سَمَرْقَنْد قبل أن يتمكن الأهالي من جمع المحصول، وبالتالي لم يستطيعوا الخروج من المدينة لجمعه.

[٤٩٦] يقصد مدرسة أولُغ بك في وسط "سَمَرْقَنْد"

من أحدهم مساعدة أو عونا . فأولئك الذين امتنعوا عن مساعدتنا في أوقات القوة والرخاء، كيف لهم أن يساعدونا في هذا الوقت العصيب.

كان من غير الممكن، التوقف عن الدفاع عن القلعة انتظارا لمساعدتهم. والمثل يقول : لتحصين القلعة لابد من رأس وذراعين وساقين. الرأس هو القائد، والذراعان هما العون والمساعدة التي تصل من هنا وهناك، والساقان هما ماء القلعة ومؤنتها ". كنا ننتظر العون والمساعدة من الأطراف والجوار بينما كل واحد منهم في وادٍ. فسلطان شجاع ومحنك مثل "**السلطان حسين ميرزا** " لم يقدم لنا أي مساعدة، بل لم يرسل لنا سفيرا ليشد من أزرنا وهي مساعدة معنوية. بينما أرسل **كمال الدين حسين كازركهي** سفيرا إلى "**شيباق خان** "، أثناء محاصرته لنا .

تحركات تنبـــــل :

جاء **تنبل** من "**أنديجان** " إلى "**بيشكنت** "[497]، وخرج **الخان وأحمد بك** ومن معه للتصدي له. وتقابلوا ناحية حديقة "**لكلكان**"[498] (٩٤ب) و"**تورلك**"، ثم انصرفوا بدون أن تحدث حرب بالمعنى الحقيقي. **فالسلطان محمود خان** ليس رجل حرب، ولا يفقه شيئا في الفروسية. وعندما تقابل مع **تنبل**، بدرت منه أقوال وأفعال تنم عن خوفه. أما **أحمد بك** فكان جِلفا[499] لكنه شجاع وصادق، فتكلم بطريقة خشنة قائلا: كيف لتنبل هذا أن يكون رجلا، وتخافون منه كل هذا الخوف

---

[497] بيشكنت، في "سمرقند".

[498] لكلكان، حديقة في "سمرقند"

[499] جاءت في النص الجغتاي "ترك كيشي"، والإعداد التركي الحديث له ترجمها "قبا" بمعنى جلف، ص٩٨، كما وردت في الترجمة الإنجليزية unpolished..ص ١٤٥ بما يفيد أن كلمة تركي في النص تعني جلف.

والوجل. إذا كانت عيونكم تفزع منـه، فاربطوا أعينكم، وسـيروا إليـه وتصـدوا له"[٥٠٠].

*****



---

[٥٠٠] جاءت ترجمة هذه الجملة في الترجمة الإنجليزية لها ترجمة إجمالية للمعنى فقالت:"إذا كنتم خائفين من النظر إليه، فاربطوا أعينكم قبل أن تخرجوا لمواجهته". انظر: الترجمة الإنجليزية ص ١٤٥.

وقائع سنة سبع وتسعمائة[501]

طالت فترة الحصار، ولم تصلنا بعد المؤونة والطعام والعون والمدد من أي مكان. وبدأ الناس والجُند في مغادرة القلعة والهرب منها، واحدا تلو الآخر، بعد أن ملأهم اليأس. وجاء "شَيْبَاق خـان" وهو يعلم تماما حال أهل القلعة وعجزهم، ونزل بجوار "غارِ عاشقان". وخرجت أنا أيضا إلى منازل ملك محمد ميرزا، لمقابلته في "كوى بايان". وفي تلك الأيام أيضا جاء أوزون حسن ومعه عشرة أو خمسة عشر رجلا من رجال خوجه حسين، ودخل القلعة. وكما ذكرنا من قبل (١٩٥أ) أنه كان سبب الوقيعة بيني وبين جهانكير ميرزا والسبب في خروجنا من "سمَرْقَنْد". وكان دخول القلعة هذه المرة بعد عملا جسورا.

الصلح مع "شَيْبَاق خـان":

اشتدت الأزمة واستبد الضيق بالجُند وأهل المدينة. وبدأ رجالي المقربون وأصحاب المكانة يفرُّون قفزا من فوق السور. كما هرب أحد أمرائنا المشهورين وقدامى العاملين معنا وهو ويْس شيخ ومعه ويْس لاغرى. واستبد اليأس بي وبمن معي. وقطعنا الأمل في وصول أي مدد من أي مكان، ونفد القدر الضئيل الذي في حوزتنا من المؤن والغذاء، قبل أن نتلقى أي مؤونة أو مدداً من أحد. وبينما الوضع على هذا النحو، أبدى "شَيْبَاق خـان" الرغبة في

---

[501] هذا التاريخ يقابل عامي ١٥٠١-١٥٠٢م.

الصلح. ولو كان لدينا أدنى أمل في تلقى مدد أو معونة من أحد، لما التفتنا إلى طلبه هذا، لكنها الضرورة. وعقدنا الصلح معه"[٥٠٢].

مغادرة بابُر سـمرقند :

خرجنا من "بـاب شـيخ زاده "[٥٠٣] بعد انقضاء جزئين[٥٠٤] من الليل واصطحبت معى السيدة والدتى وسيدتين أخريين هما السيدة **بيجكـا خليفـة**، والأخرى **مينكليك كوكلـداش**. وأثناء خروجنا هذه المرة وقعت أختى الكبرى **خانزاده بيكم** في يد "**شَيْبَاق خان**"[٥٠٥].

في ليلة مظلمة اختلط علينا الأمر عند أنهار سُغد الكبرى، وضللنا الطريق. وتمكنا من اجتياز "**خوجه ديـدار** " بمنتهى الصعوبة. وعند الصباح وفى وقت

---

[٥٠٢] يقول منجم باشي في ذكر خروج بابُر من سَمَرْقَنْد أثناء محاصرة شيباق خان له (كان بسَمَرْقَنْد قحط شـديد لا يتمكن العسكر منه الاقامة فيها، فعدا شيبك إلى محاصرتها فهرب بابُر إلى تاشكند) بما يفيد أن بابُر خرج من سَمَرْقَنْد هاربـا منها وليس بناء على مصالحة مع شيباق خان، انظر منجم باشي،جامع الدول، ورقه ٢٧٣ب. كما يذكر فامبرى في هـذا الصدد أن بابُر عندما وجد نفسه"أشبه بمعزول في حصونه المهجورة، هنالك اتخذ سبيله هربا في الليل ففلت من بوابه شـيخ زاده ونجا بحياته بعد مخاطرات أسرت فيها أخته الكبرى خوانزاده بيكم". فامبرى، نفس المرجع، ص٣٠٧.

[٥٠٣] باب شيخ زاده، بمعنى باب ابن الشيخ.

[٥٠٤] جاءت في الترجمة التركية : "وفى منتصف الليل"ص ٩٩ .وكذلك في الترجمة الإنجليزية ص١٤٧ . وقد ذكـر بـابُر أن اليوم في بلاد الهند يُقَسَّم إلى ثمانية أجزاء أربعة لليل وأربعة للنهار كل جزء منها يسمى پهر، وبذلك يكون الجزء الواحـد من اليوم يساوى ثلاث ساعات انظر"بابُر نامه ص٢٨٩].

[٥٠٥] من غير المتصور أن تقع خوانزاده أخت بابُر في يد شيباق فيأخذها، إذا كان خروج بابُر من سَمَرْقَنْد قد حدث بنـاء على مصالحة بينه وبين شيباق خان وبما يدعم هذا التصور أن محمد حيدر دوغلات صاحب تاريخ رشيدى وابن خالـة بابُر، يقول في هذه النقطة "كان بابُر أثناء حصار سَمَرْقَنْد قد زوّج أخته خوانزاده بيكم لشيباق خان فداء لنفسه، وقد سُرّ شيباق خان لهذا، وبعد ذلك خشى أن تؤذيه لمصلحة أخيها فطلقها وزوجها إلى أحد سادات الأوزبك. فلما قُتِل زوجها هـذا في حرب مرو التى دارت بين الأوزبك والشاه اسماعيل الصفوى، ووقعت البيكم اسيرة في أيدى التركمان، فلما عرف الشاه اسماعيل، أنها أخت بابُر شاه، أكرمها وأعادها إلى بابُر مع رُسله وحمّلها بأنواع الهدايا والإنعامات. انظر، محمـد حيـدر جورجان دوغلات، تاريخ رشيدى، طبع هارفارد، ١٩٩٦، ص٢٧٠.

السُّنَّة [٥٠٦] (٩٥ب) تسلقنا جبل "قاربوغ "[٥٠٧] من أسفل قرية "جودك كينتـــى"، ثم اتجهنا شمالا فى اتجاه "إيلان أوتى "[٥٠٨]. وأثناء الطريق تسابقتُ مع "قَنْبَر علـــى" و"قاسم بـــك ". فلما تقدم جوادى، التفت ورائى لأراهما، إنفك حزام السرج والتفّ، فوقعتُ فى الأرض على رأسى. والواقع أننى نهضتُ على الفور وركبت الجواد، لكنى لم أستطع أن أسترد نفسى حتى المساء. وكانت الدنيا وما جرى من أحداث، تبدو أمام عينى كالحلم أو الخيال. وفى المساء فى وقت صلاة العصر، نزلنا إلى "إيلان أوتى" وذبحنا حصانا وشوينا لحمه. ووصلنا قرية "خليليـــة" قبيل الصباح، ومنها ذهبنا إلى "ديزك "[٥٠٩]. وكان فيها آنذاك طاهر دُلداى ابن حـــافظ محمد بك دُلداى. وكانت عامرة بأنواع اللحوم المشحمة وأنواع الخبز والبطيخ اللذيذ والعنب الجيد، فتغير حالنا من الضيق إلى الرخاء، ومن التعب إلى الراحة.

تخلصنا من الخوف والضيق، ووجدنا الراحة،

وجدنا حياة جديدة ودنيا جديدة

وزالت من القلب رهبة الموت (٩٦أ)، ومن الناس وطأة الجوع. ولم نكن قد لقينا فى حياتنا مثل هذه الراحة. ولم نعرف مثل هذا الرخاء، فما ألذ الرخاء بعد الشدة، وما أجمل الراحة بعد التعب. وقد استمتعنا بهذه اللذة أربع أو خمس مرات،

---

[٥٠٦] يقصد صلاة الضحى.

[٥٠٧] قاربوغ، جبل فى "سمَرْقَنْد".

[٥٠٨] إيلان أوتى، فى "سمَرْقَنْد".

[٥٠٩] ديزك، من ملحقات "سمَرْقَنْد" قال الإصطخرى عنها إنها "مدينة فى السهل لها رباطات وخانات وماء ينبع من عـــين وهى كثيرة الزرع والبساتين والمياه". الإصطخرى، ص١٨٣.

كانت هذه هى المرة الأولى منها . فقد أحسسنا بالراحة والرخاء ونجونا من بلاء العدو ووطأة الجوع"[٥١٠].

إسترحنا فى "ديزك " ثلاثة أو أربعة أيام، تحركنا بعدها إلى اوراتيبه . وعلى طرف جزء من هذا الطريق، كانت "بشـاركار " . وسبق لى أن أقمت فيها لفترة. لذلك توقفت هناك لأتفرج عليها . وفى قلعتها تقابلت مع "آطـــون" الذى سبق أن التحق بخدمة السيدة والدتى لفترة طويلة . وقد بقى فى "سَمَرْقَنْد" هذه المرة[٥١١] لأنه لم يجد دابة تحمله . وتقصيت منه عن الأحوال فعلمت أنه جاء من سَمَرْقَنْد إلى هنا سيرا على الأقدام .

ذهاب بابُر إلى دهكــت :

ونحن فى اوراتيبه، أبلغونى ووالدتى بوفاة أختها الصغرى السيدة خوب نكار، وكذلك بوفاة جدتى لأبى فى "آندجان " . (٩٦ب) ومنذ وفاة جدى الخـــان"[٥١٢]، لم تلتقى والدتى بأمها، وأخواتها وأخواتها الأصغر منها، وهم شاه بيكـــم والسلطان محمود خان والسيدة سلطان نكار خان والسيدة دولت سلطان خـــان . ودامت هذه الفرقة مدة ثلاثة عشر أو أربعة عشر عاما . وقد ذَهَبْتُ إلى تاشْكَنْد لرؤيتهم .

تشاورت مع محمد حسين ميرزا، وقررت قضاء الشتاء فى المكان المسمى

---

[٥١٠] غريب شعور بابُر هنا بمثل هذا الرخاء والراحة خاصة وأنه اضطر إلى التخلى عن سَمَرْقَنْد عاصمة التيموريين والـــتى قاتل من أجلها كثيرا، وتركها مجبرا إلى شيباق خان الذى قضى على الدولة التيمورية فى وأولى حسب تصـــورى أن يكـــون حزينا لضياعها من يده.

[٥١١] يقصد عندما غادرها هذه المرة.

[٥١٢] هكذا جاءت فى النص الجغتائى "خان بابام"، والمقصود هو يونس خان وكانت وفاته سنة ٨٩٢هـــ لكنها جـــاءت فى الترجمة التركية "خانى الخان"، ص ١٠٠ .

"دهكت" من قرى اوراتيبه. وتركنا متاعنا فيها، ثم تحركت بعد عدة أيام إلى تاشكند لمقابلة شاه بيكم وخالى الخان وبقية أقاربى. أقمت هناك عدة أيام التقيت فيها مع شاه بيكم وخالى الخان. كما جاءت أيضا من "سمرقند" خالتى مهر نكار خانم"[513] وهى شقيقة أمى الكبرى. وقد مرضت السيدة والدتى مرضا شديدا هدد حياتها.

كان مولانا "خوجه كا خوجه" قد غادر "سمرقند" وأقام فى "فركت"[514]. فذهبت إليه هناك وقابلته. وكنت آمل أن يظهر لى خالى الخان مظاهر الرعاية والاهتمام، بأن يعطينى ولاية أو قضاء. ووعدونى باوراتيبه، لكن محمد حسين ميرزا (١٩٧أ) لم يفعل. ولم أستطع تفسير سبب امتناعه عن ذلك، أهى أنانية منه، أم أنها بإيحاء ممن فوقه. وبعد أن قضيت معه عدة أيام ذهبت إلى دهكت.

و دهكت واحدة من القرى الواقعة فى سفح جبل اوراتيبه، فى سفح جبل كبير. وبمجرد اجتياز هذا الجبل تبدأ ولاية "مسيخا"[515]. وأهلها من السارت"[516] الحقيقيين ويسكنون القرى. لكنهم مثل الترك يربون قطعان الخيل والغنم. وأظن أن فى دهكت أربعين ألف رأس من الغنم. ونزلنا فى بيوت أهل هذه القرية، ونزلت أنا فى بيت عمدتها وكان الرجل يناهز الستين أو السبعين من عمره. وأمه ما زالت على قيد الحياة. وكانت عجوزا طاعنة فى السن؛ فى الحادى عشر بعد المائة من عمرها.

---

[513] مهر نكار خانم، كانت زوجة لشيباق خان ثم طلقت منه ليتزوج من أختها خانزاده بيجم التى أخذها عند خروج بابر من سمرقند. انظر بابر نامه ص ٩٥أ.

[514] فركت، اسم مكان فى فرغانه شمال جبل كندير.

[515] مسيخا، ولاية جنوب غرب "سمرقند" وهى الوادى العلوى لزر افشان.

[516] جاء فى الترجمة الفارسية أن أهلها تاجيك.

وقد اشترك أحد أقاربها فى حملة **تيمور بـك** عندما دخل بلاد **الـهند**"[٥١٧] . وهم يذكرونهم ويقصون أخبارهم. ويوجد فى **دهكـت** وحدها اليوم ستة وتسعون من أحفاد هذه المرأة وأحفاد أحفادها ذكورا وإناثا . ويبلغ عدد الأحياء منهم والأموات مائتى شخص. وأحد أحفاد أحفادها فى الخامسة أو السادسة والعشرين من عمره. وهو شاب ذو لحية حالكة السواد .

كنت أثناء وجودى فى **دهكـت** أتجول دائما سيرا على الأقدام لأتفرج على الجبال المحيطة بها والمجاورة لها . وكثيرا ما كنت أتجول وأنا حافى القدمين (٩٧ب) ومن فرط سيرى حافى القدمين اخشوشنت قدماى وبلغت من الصلابة حدا لا تفرقه عن صلابة الجبال والحجارة. وذات يوم أثناء إحدى هذه الجولات، فيما بين صلاة المغرب والعشاء رأيت رجلا يسحب ثورا ويمر به من طريق ضيق، فسألته : "ترى إلى أين يؤدى هذا الطريق؟ "فأجاب :" اتبع الثور، وسر وراءه حتى تتبين إلى أين سيؤدى الطريق ". فعلق **خواجة أسد الله** على هذا مازحا بقوله : "وماذا تفعل إذا ضل الثور الطريق ! ! !".

استأذن بعض الفرسان فى الذهاب إلى **أندجان** لعدم قدرتهم على الاشتراك معنا فى الهجمات هذا الشتاء . فقال "**قاسم بـك** " بإصرار :"ما دام هؤلاء الرجال سيذهبون إلى هناك، إرسل معهم شيئا من ملابسك الخاصة إلى "**جهانكير ميرزا**" . فأرسلت غطاء رأسى السمورى. فأعاد القول مرة أخرى وبإصرار : "ألا ترسل شيئا آخر إلى **تنبل** " . والواقع لم أكن راضيا لكننى بناء على إلحاح "**قاسـم بـك**

---

[٥١٧] دخل تيمور دهلى سنة ٨٠١ هـ = ١٣٩٨م.

"أخذت السيف العريض الكبير الذى اصطنعه نويان كوكلداش لنفسه فى "سَمَرْقَنْد"، وأرسلته إلى تنبل. وهو السيف الذى أصابنى فى رأسى وسيأتى ذكر هذا فى وقائع السنة التالية.

بعد عدة أيام، جاءت جدتى (لأمى) السيدة ايسن دولت بيكم (١٩٨أ) التى أقامت فى "سَمَرْقَنْد" عندما خرجت منها ومعها متاعها وعائلتها وعدد قليل من الأتباع الجياع"[٥١٨].

التحرك لمحاربة شَيْباق خان :

وفى منتصف هذا الشتاء اجتاز "شَيْباق خان" ماء "خُجَنْد" المتجمد وهاجم شاهرُخِيَّه وجوار بيشكيلت. فلما علمنا بهذا، تحركنا لملاقاتهم دون النظر إلى قلة عددنا. وسرنا من أمام "هشت يك" فى اتجاه القرى الواقعة أسفل خُجَنْد وكانت البرودة قارسة. ولم تهدأ رياح "هادرويش" طوال وجودنا هناك بل كثيرا ما هبت شديدة وبلغت البرودة القارسة حداً أن مات حوالى ثلاثة رجال خلال يومين أو ثلاثة متأثرين بها وحدث أن أصابنى ما يستوجب الاغتسال وكانت شواطئ الماء قد تجمَّدت تماما بينما ظل وسطه بغير تجمد بتأثير قوة جريان الماء فدخلتُ فى هذا الماء الجارى واغتسلت، وغطستُ فيه ستة عشر مرة. وقد أثَّرت فىَّ برودة الماء تأثيرا كبيرا.

عبرنا ماء خُجَنْد من فوق الثلج من عند خاصلار ووصلنا بيشكينت فى

---

[٥١٨] كلمة الجياع أغفلتها الترجمة التركية لكنها وردت فى الجغتائى على شكل "آج" وقد وردت بمعنى الجياع أيضا فى الترجمة الإنجليزية ص ١٥١.

منتصف الليل. وكان "شَيْبَاق خان" قد أغار على شاهرُخيَّه ثم انسحب.

موت نويان كوكلداش :

كانت بيشكينت أثناء ذلك في يد عبد المنان بن المولى حيدر. وكان للمولى ابنٌ آخر أصغر من هذا اسمه مؤمن، عديم الاكتراث لا ترجى منه فائدة، وقد زارني أثناء وجودي في "سَمَرْقَنْد" وأبديتُ له رعاية فائقة. ولا أعرف إن كان نويان كوكلداش قد أساء معاملته في سَمَرْقَنْد (أم لا)، (٩٨ب) فملأته هذه المعاملة غير اللائقة بغضا. وعندما علمنا بعودة مهاجمي الأوزبك أرسلنا رجلا إلى الخان ثم غادرنا بيشكينت وأقمنا لمدة ثلاثة أو أربعة أيام في قرى آهنكران. ودعا مؤمن ابن المولى حيدر، نويان كوكلداش وأحمد قاسم وآخرين إلى وليمة طعام بناء على تعارفهما السابق في سَمَرْقَنْد. وكانوا في بيشكينت عندما غادرتُها. وأقام لهم مؤمن هذه المأدبة على حافةِ جرفٍ هاوٍ. ونزلنا نحن بإحدى قرى آهنكران اسمها "سام سيرك"[19].

وفي الصباح علمنا بوفاة نويان كوكلداش على أثر سقوطه من على شفا الجرف الهاو وهو ثمل. وذهب "خاك نزار" خال نويان وعدة أشخاص للبحث عن جثمانه حيث سقط. وعثروا على جثته ودفنوها في بيشكنت ورجعوا. وقد عثروا على جثته أسفل المكان الذي أقيمت فيه المأدبة، والذي يرتفع عن الأرض بمقدار رمية سهم. وجال بخاطر البعض أن مؤمن لم ينسَ ثأره منذ أيام سَمَرْقَنْد، وأنه فعل

[19] سام سيرك، قرية في فرغانه ذلك ان وادي آهنكران في فرغانه، انظر، بابر نامه ص ٤ ٥ب..

هذا بنويـان عمدا، ولا أحد يعرف حقيقة الأمر. وقد تأثرتُ بهذا تأثرا عجيبا وقليلا ما أتأثر بموت أحد بمثل هذا التأثر فلم أكف عن البكاء لمدة أسبوع أو عشرة أيام (١٩٩أ) وقد أرخ لوفاته بحساب الجُمَّل بعبارة "توفى نويان". وبعد بضعة أيام رجعتُ إلى "دهكت "[٥٢٠].

مع حلول الصيف علمنا بسير "شَيْباق خان" إلى اوراتيبه. ولأن دهكـــت أرض منبسطة فقد صعدنا جبال مسيخا عبر طريق "آب بوردن" وهذه القرية هى أكثر قرى مسيخا انخفاضا. ويوجد أسفل منها قليلا، عين ماء[٥٢١] وعلى رأسها قبر. والطرف العلوى من عين الماء هذه يتبع مسيخا، أما الطرف السفلى فيتبع بلكار. وقد حفرت على رأس عين الماء فوق الحجر الذي على حافتها، هذه الأبيات الثلاثة"[٥٢٢]:

سمعت أن جمشيد قد كتب العبارة التالية على حجر برأس عين ماء

فى عين الماء هذه عاش قبلنا أناس كثيرون ثم ذهبوا فى طرفة عين.

وقد ملكنا العالم بالقوة والقدرة لكننا لم نستطع أن نحمله معنا إلى القبر"[٥٢٣].

والحفر على مثل هذا الحجر وكتابة الشعر وأشياء أخرى أمر معتاد فى تلك المناطق الجبلية.

---

[٥٢٠] هذه الجملة الأخيرة غير موجودة فى الترجمة الإنجليزية، انظر الترجمة الإنجليزية ص ١٥٢..

[٥٢١] جاءت فى الترجمة الإنجليزية "جدول ماء يتدفق ماؤه إلى أسفل إلى زر فشان"، انظر الترجمة الإنجليزية ص ١٥٢.

[٥٢٢] هذه هي الترجمة الحرفية للجملة كما جاءت فى النص الجغتائي والتركي، وقد ترجمت إجمالا بالمعنى فى الترجمة الإنجليزيـة على النحو التالى: "كان هناك قبر على رأس عين الماء. فاتخذت حجرا على جانب من رأس عين الماء شكّلته وحفرت عليـــه هذه الأبيات الثلاثة". انظر الترجمة الإنجليزية ص ١٥٢. وقد اختلف على المترجمة الإنجليزية قراءة كلمة "قـــازيب" الـــتى وردت فى النص الأصلي وهى بمعنى حفرتُ، وقرأتها كما أشارت هى "قاتريب" وترجمتها كما ذَكَرْتُ هى shaped. ومعناها فى المعجم، شكّل أو صوّر أو صاغ.

[٥٢٣] الأبيات باللغة الفارسية وهي لسعدى الشيرازى.

أثناء وجودنا فى مسيخا، جاء الشاعر "مُلاّ هَجَرى "من حِصار ولحق بنا وقد قلت هذا المطلع فى تلك الأيام :

مهما اجتهدت فى الرسم فأنت أجمل منه

يقولون إن الروح فداؤك لكنك بلا شك أغلى من الروح.

كان "شَيْبَاق خان" قادما إلى أطراف اوراتيبه وما حولها، لكنه تراجع لاضطراب بعض أموره. وأثناء وجوده فوق اوراتيبه (٩٩ب) تركت عائلتى فى مسيخا، واجتزت ممر "آب بوردن"، بدون أن أعبأ بقلة رجالى عددا وعدة. وواصلنا الليل بالنهار حتى لا تفوتنا الفرصة. ووصلنا إلى جوار دهكت. لكن "شَيْبَاق خان "رجع بسرعة. ورجعنا مرة أخرى إلى مسيخا عبر الممر. وجال بخاطرى أنه "من العبث السير من جبل إلى آخر بلا عمل، ولا قدرة، ولا ولاية أو مأوى. فلنذهب إلى الخان فى "تاشكند". ولم يوافقنى "قاسم بك" فى هذا الرأى. وحدث كما ذكرت من قبل، أن قتل "قاسم بك" ثلاثة أو أربعة من المُغول فى "قرا بولاق"[٥٢٤]، لكى يحفظ النظام وليكونوا عبرة للآخرين. وأغلب الظن أنه تردد فى الذهاب إلى هناك لهذا السبب. وحاولتُ إقناعه برأيى، لكن دون جدوى. وعبرنا ممر "آب بُردن"، وتوجهنا إلى الخان فى تاشكند.

عندما نشاق تَنْبَل الجُند إلى وادي آهنكران، اتفق بعض الجُند فيما بينهم على أن ينقضوا على تَنْبَل. وهم : محمد دوغلت المشهور باسم محمد الحصارى، وأخوه الأصغر السلطان حسين دوغلت و"قُنْبُر على". فلما علم تَنْبَل بأمرهم، لم

---

[٥٢٤] عن هذه الواقعة، انظر، بابر نامه، ورقة ٣٩ب.

يصبروا على البقاء هناك، وولوا هاربين إلى الخان.

ذهاب بابُر إلى الخان في تاشكَنْد :

وصادف يوم وصولنا شاهرُخيِّه، شهر الأضحى (ذى الحجة) لكننى لم أتوقف هناك وذهبت إلى الخان فى تاشكَنْد . وقد قلت رباعية فى القافية المعتادة لكننى كنت متردداً بشأنها . وكنت آنذاك لا أدقق كثيرا فى فن الشعر (١٠٠أ) وكان الخان رجلا سليم الذوق ويقول الشعر . والواقع أن ما وقفت فيه من الشعر ليس بالكثير. وقد عرضت على الخان ترددى بنظم هذه الرباعية. لكن لم أظفر منه بجواب قطعى بالشكل الذى يهفو إليه قلبى. على أية حال كانوا قليلا ما يدققون فى فن الشعر.

وتلك الرباعية هى :

كما أن الإنسان، لا يتذكر الإنسان فى المحنة

فإن قلب الإنسان فى الغربة لا يشعر بالسعادة

وقلبى فى هذه الغربة لم يشعر أبدا بالسعادة،

فالإنسان لا يسعد فى الغربة

وعلمت بعد ذلك أن فى اللغة التركية تتبادل حروف التاء والدال، والغين والقاف والكاف تبعا لمقتضى القافية.

استعداد الخان للحرب ضد تَنْبَل :

بعد عدة أيام، جاء تَنْبَل إلى أوراتبة. فلما علم الخان بهذا، خرج على رأس

الجُند من تاشكَنْد. وعندما وصلوا بين "بيشـــكينت" و "ســـام ســـيرك" نظموا صفوف جناحى الميمنة والميسرة تنظيما جيدا. وفتحوا الطــوغ[٥٢٥] وفق عــادة المُغول. وترجل الخان من فوق جواده. وغرس أحد المُغـــول أمام الخـــان تسعة طوغات وأمسك فى يده قطعة قماش بيضاء طويلة مربوطة بعظمة ساق ثور أمامية. كما ربط إلى أسفل قليلا ثلاث قطع طويلة من القماش بطرف طوغات ثلاثة ومرَّ بها أسفل صارى الطــوغ، ووطأ الخان بقدمه على طرف إحدى هذه القطع الثلاثة، وأنا على طرف القطعة الثانية المربوطة بأحد الطوغات كما داس السلـــطان محمد خانيكـه على طرف القطعة الثالثة (١٠٠ب) وأمسك ذلك المغولى فى يده عظمة ساق الثور الأمامية المربوطة وقال أشياء بالمغولية وهو يشير وينظر إلى الطوغ. وكان الخان وكل الواقفين فى الأطراف يشربون القميز[٥٢٦] على الطــوغ بينما الأبواق والطبول تعزف نغمة واحدة. وأطلق الجُند المصطفون وكل الموجودين صيحة الحرب سويا وكرروها ثلاث مرات. وكان الجنود يجوبون حولنا فوق الجبال ويطلقون صيحة الحرب. وهذه النظم التى وضعها جنكيزخـــان للمغول[٥٢٧]، ما زالت مرعية

---

[٥٢٥] الطوغ، عبارة عن إشارة تشبه العلم مصنوعة من ذيل الخيل تربط فى عمودمذهب الطرف. وله اعتبار كبـــير عند المغول وهو إشارة الخان عندهم. وكان مستعمل أيضا لدى الأتراك والصينيين. ويتناسب عدد الطوغات مع المكانة تناسبا طرديا وأكثرها تسع طوغات. انظر، محمد زكي باك الين، قاموس المصطلحات التاريخية العثمانية، ج٣، ص٥٢٢/١.

[٥٢٦] القميز أو خمر اللبن نوع من الشراب مصنوع من لبن الخيل شائع الاستعمال بين التتار، وطريقة صنعـــه أن توضـــع ألبان الأفراس فى قراب، ثم تخض بشدة، وتترك حتى تختمر فتصبح صالحة للشراب. انظر فؤاد عبد المعطى الصياد، تـــاريخ المغول، القاهرة ١٩٨٠، ص ٣٣١.

[٥٢٧] كان للمغول قبل جنكيز خان آداب وتقاليد ولكنها لم تكن مدونة. فلما جاء جنكيزخان، أعاد النظر فى هذه العادات، وردّ بعضها وقبل بعضها، وأضاف إليها بعض الأحكام والقواعدن وجعل لها صبغة رسمية، وأمر أن تـــدوّن تلـــك النظـــم والأحكام بالخط الأويغورى، وأن يحتفظ بها فى خزائن أمراء المغول. وقد أطلق على كل حكم من هذه الأحكام والقواعـــد اسم "ياسا". انظر، فؤاد عبد المعطى الصياد، تاريخ المغول، القاهرة ١٩٨٠، ص ٣٣٨ وما بعدها.

حتى الآن كما وضعها .

واصطفت أجنحة الميمنة والميسرة والقلب كل في مكانه كما كان يفعل آباؤهم ووقف على رأس جناحي اليمين والشمال أصحاب المكانة الأرفع. ودار خلاف بين قبائل **جيراس وبكجيك** حول رئاسة جناح الميمنة وكان أمير مقاطعة جيراس آنذاك ، **قاشقه محمد** فتى جسورا . وكان **أيوب يعقوب** أمير مقاطعة "**بكجك**" المشهورة باسم المقاطعة. وتنازعا حول تولي الرئاسة وشهرا سيوفهما . وفي النهاية تقرر أن يتولى أحدهما رئاسة حلقة الصيد ويتولى الآخر رئاسة الصفوف. وفي صباح اليوم التالي أقاموا حلقة الصيد بجوار "**سلم سيراك**"[٥٢٨] ونزلوا إلى حدائق "**توراك**"[٥٢٩] (١٠١أ) وفي ذلك اليوم وذلك المكان أكملت أول غزل كامل لي هو :

لم أجد حبيبا مخلصا سوى حبيبي

ولم أجد محرما لأسراري سوى قلبي .

وهذا الغزل عبارة عن ستة أبيات وقد كتبت كل الغزليات بعد ذلك على هذا الترتيب.

قطعنا الطريق منزلا تلو الآخر حتى بلغنا حافة ماء "**خُجَنْد**". وذات يوم عبرنا الماء بغرض النزهة وأعددنا الطعام وتركنا الفتية والغلمان يمرحون. وفي ذلك اليوم سرقوا المشبك الذهبي الذي أضعه في حزامي. وفي الصباح التالي هرب **خسان قولى بيان والسلطان محمد وِيْس**. وانضما إلى **تنبل**. فظن الجميع أنهما السارقان

[٥٢٨] سلم سيراك، إحدى قرى آهنكران في جنوب تاشكند.

[٥٢٩] توراك، حدائق جنوب تاشكند بجوار لكلكان.

لكن لم نتحقق من هذا . وأعطينا الإذن إلى أحمد قاسم كُهبَر ليذهب إلى اوراتيبـــه فلم يرجع هو أيضا من هناك وانضم إلى تنْبل .

*****



وقائع سنة ثمان وتسعمائة[530]

كانت تحرك الخــان[531] هذه المرة بغير فائدة. فقد ذهب ورجع بدون أن يستولى على القلعة أو يحاصر العدو. وعانيت كثيرا أثناء وجودى فى تاشكند من الجور والفقر. فلا ولاية ولا أمل فى الحصول على ولاية. كما انفض عنى أغلب رجالى. وأعجز العوز من ظلوا بجانبى ومنعهم من مواصلة السير معى. وكنت عندما أقصد باب خالى الخان، أصطحب معي واحدا أو اثنين من رجالى، وأفضّل أن يكونا من ذوى القربى وليس من الأغراب. (١٠١ب) وعندما أنصرف من عنده وأذهب إلى شساه بيكسم، أدخل عندها كما أدخل بيتى؛ عارى الرأس، حافى القدمين.

رغبة بابُر فى الرحيل إلى خطــاى :

فى نهاية الأمر سئمنا هذا القلق وهذا الشتات، وحدثتني نفسى "أن مغادرتى لهذا المكان، خير لى من العيش وسط هذه المشاكل. كما أن ذهابى إلى حيث ستحملني قدماي، أفضل من الشكوى والعوز لدى الخــان ". فقررتُ الذهاب إلى "خطــاى ". وعزمتُ على الذهاب بمفردي. وكانت لدى منذ الصغر رغبة فى الذهاب إلى هناك. لكن لم يتيسر لى ذلك بسبب السلطنة وبسبب أقاربى. وها هى

---

[530] هذا التاريخ يقابل عامى ١٥٠٢-١٥٠٣م

[531] يقصد السلطان محمود خان.

ذا السلطنة وقد ضاعت مني، وذهبت أمي إلى أمها وأخيها الأصغر، ولم يعد هناك ما يحول دون ارتحالي، كما انتهت المشاغل. وأعربتُ عن رغبتي هذه بواسطة خوجه أبو المكارم وعرضتها عليه على النحو التالي :

"إن ظهور عدو مثل شـيبانى، خطره على الترك والمغول سواء، وهو أمر يستحق النظر واتخاذ التدابير اللازمة قبل أن يستحكم الأمر ويتفاقم الخطر، ولاسيما وأن الحكمة تقول :

أطفئ النار اليوم إن استطعت، لأن النار إذا اشتد أوارها أحرقت الدنيا

ولا تمكن عدوك من جذب قوسه، مادام بإمكانك أن تقتله بسهم واحد"[٥٣٢].

وخالي الخان الكبير[٥٣٣] لم يلتق بأخيه الخان الصغير[٥٣٤] منذ حوالي أربع أو خمس وعشرين سنة كذلك أنا لم ألتق به أبدا. ترى هل يسمحون لي بالذهاب لرؤية خالي الخان الصغير هذا والوساطة لديه وبذل الجهد ليأتي (معي) إلى هنا ؟ ".

وكنت أظن إنني إذا تمكنت من التعلل بهذه الحجة ومغادرة المكان (١٠٢أ) فلن يكون هناك مانع أو خوف من ذهابي إلى "مغولستان " و"طرفان"[٥٣٥]، ولأصبح زمام أمري في يدي.

لم يكن أحد يعلم بما عقدت عليه النية، وتكتمت الأمر فلم يعرف به أحد، فالافصاح به لأمي أمر صعب وكذلك رجالي الذين آزروني كبارا وصغارا

---

[٥٣٢] الأبيات وردت باللغة الفارسية وهي لسعدي الشيرازي.

[٥٣٣] يقصد السلطان محمود خان.

[٥٣٤] يقصد السلطان أحمد خان.

[٥٣٥] طرفان، مكان في شرق تركستان.

وشاركونى المعاناة كلها وهم مفعمون بالآمال. لم يكن فى الإفصاح لهم بما أنويه ما يسعدهم.

عندما نقل **خوجه عبد الكريم**، رغبتى هذه إلى خالى **الخان** و"**الشاه بيكم**"وافقا، لكن جال بخاطرهما أننى أريد الإذن بالذهاب لأننى لم أجد الاهتمام اللائق واعتبراها مسألة تتعلق بالشرف ولذا تباطآ قليلا فى الإذن لى بالذهاب.

مجيئ السلطان أحمد خان إلى تاشكند :

فى هذه الأثناء جاء رجل من عند خالى **الخان الصغير** يعلن خبر مجيئه بنفسه وهكذا لم يتحقق ما عقدت عليه العزم. وجاء رجل آخر وأعلن أن الخال الصغير على وشك الوصول. وحرصنا جميعا أن نكون فى استقباله، فخرجت الشاه **بيكم** وأخوات خالى ؛ **سلطان نكار خانم ودولت سلطان خانم** وأنا **والسلطان محمد خانيكه وميرزاخان** لاستقباله.

لقاء بابر بخاله السلطان أحمد خان للمرة الأولى :

تقع قرية "**يغا** "وعدد من القرى الأخرى بين **تاشكند** و"**سيرام** " وفيها قبر "**إبراهيم أتا** "و "**اسحق أتا** ". وقد خرجت حتى هذه القرية لاستقبال خالى **الخان الصغير** لأننا لم نكن نعرف موعد مجيئه على وجه الدقة (١٠٢ب). فقد ركبت جوادي بسرعة وبغير روية وانطلقت به. وفجأة رأيت أمامى **الخان الصغير**، فاقتربت منه حيث يقف وترجلت عن جوادى وقد عرفنى بمجرد نزولى من على ظهر الجواد. وبدا عليه الضيق، فغالبا أنه كان ينوى الجلوس فى مكان ما ومقابلتى بشكل رسمى. لكننى اقتربت وترجلت من فوق الجواد. ولم يكن المكان

مساعدا ولا الوقت يسمح بالانحناء له باحترام، لذا فقد ضاق صدره. وعلى الفور أمر ابنيه السلطان سعيد خان وبابا خان سلطان بالترجل من فوق الجياد ومقابلتي والانحناء لي باحترام. ولم يكن بصحبة الخان من أبنائه سوى هذين الأميرين وكانا في الثالثة عشر والرابعة عشر من عمرهما. تقابلتُ معهما ثم ركبنا الجياد إلى شاه بيكم. وقد أقمنا هناك ودار الحديث حتى منتصف الليل عن كل ما جرى وسبب حدوثه.

هدايا السلطان أحمد خـان لبـابُر :

في صباح اليوم التالي أنعم على الخان الصغـير، وحسب العادات المغولية، بطاقم كامل من الملابس من الرأس إلى القدم، كما أعطاني حزامه، وجواد خاص مُسَرَّج. كان الطاقم عبارة عن غطاء رأس مغولي موشى، والملابس كانت من الأطلس الصيني الموشى أيضا. كذلك الحزام كان حزاما صينيا وقد علقت في طرفه الأيسر ثلاث أو أربع وحدات من العنبر تشبه الكيس الذي تعلقه النساء في رقبتهن كذلك في الطرف الأيمن ثلاث أو أربع وحدات أخرى تشبهها، وقد تم تجهيزها كلها حسب الأصول القديمة ثم تحركوا من هناك في اتجاه تاشكند. (١٠٣أ)

لقاء الأخـوان :

خرج خالي الخـان الكبـير من تاشـكند لمسافة ثلاثة أو أربعة فراسخ ليكون في استقبال أخيه وأقام الخيام. وكان الخان الصغير قادما في مواجهته فلما اقترب منه دار خلف الخان عن يساره ثم ترجل عن الجواد أمامه وبينما هو يتقدم نحو الخان الكبير انحنى تسع مرات تعظيما له إلى أن بلغ المكان الذي سيتقابلان فيه وعندما اقترب، نهض الخان الكبير من مكانه لاستقباله، وكان يجلس على الأرض.

فتعانقا برهة، ولدى رجوعهما إلى مكان الجلوس انحنى **الخان الصغير** تسع مرات تعظيما كما انحنى مرات كثيرة وهو يقدم الهدايا (لأخيه الكبير **السلطان محمود خان**) .

كان رجال **الخان الصغير** يلبسون حسب عادة **المغول** تماما . كانوا يضعون أغطية الرأس بالشكل المغولى وملابسهم من الأطلس الصينى وموشاة وكنانة السهام من الجلد الأخضر الفاخر بالشكل المغولى، وسروجهم وجيادهم المغولية كان مزينة بشكل لم أر مثله من قبل. ورجال **الخان الصغير** ليسوا كثرة، وإنما يزيد عددهم عن الألف ويقل عن الألفين قليلا.

كان خالى **الخان الصغير** رجلا غريب الأطوار، شجاعا، متحكما فى سيفه، يعتز بالسيف أكثر من أى سلاح آخر. وكان يقول : إن إصابة دبوس ذو اللسان، والدبوس، والدبوس الصغير، والبلطة الصغيرة، والبلطة، كلها تصيب الرجل فى موضع واحد، أما إصابة السيف فإنها تشجه نصفين من الرأس إلى القدم. وكان لا يفارق سيفه البتار أبدا . فيعلقه فى خصره أو يحمله فى يده. (١٠٣ب) ولأنه تربى بعيدا، فقد كان قرويا، ويبدو خشنا فى حديثه.

وكما ذكرت، جئت مع خالى **الخان الصغير**، فى زينة بالشكل المغولى. وكان خوجه أبو المكارم برفقة خالى **الخان الكبير** . فلم يعرفنى، وسأل قائلا : "أى سلطان هذا ؟ "، فأخبروه، فعرفنى.

خروج بابر مع الخانين ضد تنبل :

بمجرد وصولنا إلى تاشكند، تحرك (الخانان)ضد السلطان أحمد تنبل وساقا

الجُند إلى "أندجان" عبر طريق ممر "كنديرلك". وعندما وصلا إلى وادى "آهنكران" تقدمت عنهم مع خالى الخان الصغير. وبعد اجتياز الممر، تقابل الخانان بجوار "زبرقان وكرنان" ليوم واحد. وقدّرا القوات التى معهما بحوالى ثلاثين ألفا تقريبا. وبدأت الأخبار تتوارد إلينا ممن سبقونا عن جمع تنبل أيضا لجنوده، وأنه متوجه إلى "أخسى". وتبادل الخانان الرأى وقررا أن أعبر ماء "خُجَنْد" بعدد من الجُند، وأتجه إلى أُوش وأُوزكَنْد، ثم أقوم بحركة التفاف من الخلف. بناء على هذا القرار، قام كل من أيوب بيكجك وفرقته[٥٣٦] وجان حسين البارانى والبارانيين ومحمد الحصارى دوغلت، والسلطان حسين دوغلت، والسلطان احمد ميرزا دوغلت بأنفسهم ومن غير فرقة الدوغلتيين، و"قنبر على" وصاريق باش ميرزا ايتارجى، قاموا (كلهم) بتنظيم الجند للحرب وانضموا إلى.

إنفصلنا عن الخانين فى كرنان وعبرنا ماء "خجند" على ظهر أطواف من عند "سقان"، واجتزنا ضاحية خوقان سيرا من عند رباط جوبان.(١٠٤أ) واستولينا على "قبا"، ومن فوق ضاحية "آلآى لق"، توجهنا بسرعة إلى اوش وفى وقت السحر هاجمنا قلعتها بغتة، فسلم أهلها المدينة لنا بدون مقاومة. ولا شك أن أهل الولاية كانوا يميلون لنا كثيرا، لكنهم لم يجدوا لهذا سبيلا بسبب خوفهم من تنبل، فضلا عن وجودنا فى مكان بعيد عنهم. وعندما أصبحت اوش لنا، انضم إلينا كل سكان السهول والجبال التى فى شرق وجنوب "اندجان".

---

[٥٣٦] استخدمت لفظ الفرقة هنا للدلالة على كلمة "تومان" التى استخدمها بابر. وكلمة تومان تعنى "عشرة آلاف" وتعنى أيضا الفرقة، قاموس تركى، ص ١/٤٥٤.

انضمام الأهالى إلى بـسابر :

كانت هناك قلعة جيدة على حدود اوزكند العاصمة العريقة لولاية فرغانــه . فأرسل أهلها رجلا من عندهم تعبيرا عن قبولهم التبعية لنا، وخضعوا لحكمنا . وبعد بضعة أيام، ضرب أهل مرغيـنـان ولاتهم وطردوهـم وأصبحـوا تابعين لى. كما انضمت كل القلاع الموجودة ناحية "اندجـان " من ماء "خجنـــد "، باستثناء "اندجان" . وبالرغم من كل هذه الفوضى، لم ينخدع تنبـــل أو يتأثر بكل ما جرى، وحصن مكانه بحفر الخنادق، ووضع الأشجار[٥٣٧] فى طريق الخائن، وأقام بفرسانه ومشاته فى المسافة بين "اخسى " و"كرنان" ، وجرت بينهما هناك عدة اشتباكات لكن لم يتضح أيهما الغالب وأيهما المغلوب.

ولأن أهالى وقلاع وولايات "اندجان "(١٠٤ب) أصبحوا تابعين لى، كان من الطبيعى أن تكون لدى أهل "اندجـان " الرغبة فى التبعية لى، لكنهم لم يجدوا لذلك وسيلة. وذات ليلة اقتربنا من "اندجـان" وفكرنا فى إرسال رجل للتفاوض مع "الخوجه "والأشراف، ليسمحوا لنا بدخول القلعة (خلسة) من ناحية ما . وتحركنا من "اوش " بهذه النية. وفى منتصف الليل وصلنا أمام "جيل دخـتران" وأصبحنا على مسافة فرسخ من "اندجان "، فأرسلنا "قنبر علـــى " وبعض الفتيان الآخرين قبلنا . وكانوا سيدخلون رجلا إلى القلعة سرا، ويتكلمون مع الخوجه والأشراف.

هجوم رجال تنبل على بـــابر :

كنا ننتظر الأمراء الذين أرسلناهم، ونحن على ظهور الخيل،وكان النعاس

---

[٥٣٧] يقصد وضع معوقات من الأشجار.

يداعب جفون البعض، بينما استغرق البعض الآخر في نوم عميق. وفى الجزء الثالث من الليل، سمعنا فجأة صوت الطبل وصيحات الحرب، وإذ بجنودنا الغافلين منهم والنائمين، يسارعون بالهروب بدون أن يعرفوا إن كان العدو قليلا أو كثيرا، بل أنهم (من شدة اضطرابهم) هربوا حتى بدون أن ينظروا إلى بعضهم البعض. لم يكن أمامى متسع من الوقت لجمعهم مرة ثانية، فتقدمت ناحية العدو ومعى "**ميرشاه قوجين** " و "**باباشيرزاد** " و "**دوست ناصر** "، بينما واصل بقية الجند الفرار، باستثنائنا نحن الأربعة. وتقدمنا لمسافة قصيرة ، لحق بنا رجال العدو وأخذوا يمطروننا بالسهام ويطلقون الصيحات. وإذ بى أجد أحدهم ويدعى **قاشقه**، محشورا بجانبى، فرميت جواده بسهم، فتدحرج على الأرض فى الحال. وبدا العدو وكأنه يتراجع لمسافة محدودة. (١٠٥أ) فقال الرجال الثلاثة الذين معى : "غير واضح فى ظلمة الليل، ما إذا كان العدو قليل العدد أم كثير. لقد ذهب كل جنودنا، فكيف يمكن أن ننال من العدو ونحن عبارة عن أربعة أشخاص فقط؟ فلنذهب (الآن) ونجمع جندنا الذين تفرقوا، ثم نعيد الكرة ". ولحقنا برجالنا على الفور. لكننالم نستطع أن نعيدهم مهما ضربناهم بالسياط، ومهما حاولنا معهم،. فرجعنا نحن الأربعة مرة أخرى، وأطلقنا السهام واستطعنا أن نوقفهم قليلا . ولأن العدو أدرك فى المرتين أننا لانزيد عن ثلاثة أو أربعة رجال فقد عاد جنوده لتعقب رجالنا واستمروا في ضربهم. وأعدت الكرة ثلاث أو أربع مرات فألحق بجنودى ، ولا يعودوا (معى)، فأرجع مرة أخرى أنا ورجالى الثلاثة، وأطلق السهام، وأحيط

بالعدو. وتعقب رجلان أو ثلاثة الجند لمسافة فرسخ[٥٣٨]، حتى وصلوا إلى التلال التى فى مواجهة "بشامون " و"خرابوك "[٥٣٩]. وعندما وصلنا إلى الربوة، برز أمامنا مبشر محمد على. فقلت : " إن عدد هؤلاء الرجال قليل، فلنتوقف ونستدير ونطلق نحوهم الجياد وفعلنا؛ وكما جاءوا بسرعة، إذ بهم يتوقفون مكانهم بسرعة.

تجمع الجند المتفرقون من هنا وهناك. وكان بعض الفتيان الشجعان قد انصرفوا أثناء هذا التشتت، وذهبوا إلى "اوش "مباشرة. وحدث ذلك على النحو التالى : بعض المغول التابعين لفرقة "أيوب بكجيك "، انفصلوا عنا فى "اوش " واتجهوا إلى جوار "اندجان " للسلب والنهب. فلما سمعوا صوت رجالنا، تقدموا خفية يطلبون كلمة السر. وكان للسر كلمتين مختلفتين (١٠٥ب)، إحداهما كلمة سر خاصة بكل قبيلة. وكلمة السر عند بعض القبائل، على سبيل المثال، كلمة "دوردانه " ولدى البعض الآخر "توقتاى "، وللآخرين "لولودر ". أما كلمة السر الثانية فيعرفها كل الجنود. وتستخدم هذه الكلمة فى موقع القتال. ومن اكتمال الكلمتين معا، تكون كلمة السر. فعندما يتقابل الجند أثناء القتال، ينطق أحدهم كلمة، فينطق الآخر الكلمة الثانية. وهكذا يميزون الصديق من العدو. ويعرف الجندى زميله من عدوه. وفى هذه الحرب كانت كلمة السر المتفق عليها هى كلمتى "تاشكند" و "سيرام ". فإذا قال أحدهم تاشكند قال الآخر سيرام ، وإذا قيلت سيرام، كان الرد تاشكند.

---

[٥٣٨] جاءت فى الترجمة الإنجليزية : "تبعونا لمسافة فرسخين أو ثلاثة "، بدلا من عبارة : "وجاء رجلان أو ثلاثة......فرسخ". انظر الترجمة الإنجليزية ص ١٦٣. وجاءت فى الترجمة الفارسية : " تبعوا رجالى لمسافة ثلاثة فراسخ "انظر، الترجمة الفارسية ص٦٦.

[٥٣٩] جاءت فى الترجمة الفارسية قراتوق وبشامون، انظر الترجمة الفارسية ص٦٦.

وهذه المرة كان **خوجه محمد** على متقدما قليلا بجنده، والمغول مقبلين وهم يرددون كلمة "**تاشكند تاشكند**" وكان خوجه محمد على من السـارت ،ومن فرط حماسه وانفعاله، ردد بدوره كلمة "**تاشكند تاشكند**"، فظن **المغول** أنه من العدو، فأطلقوا صيحة الحرب ودقوا الطبول وأطلقوا السهام. وبسبب هذا الخطأ تفرق شملنا ولم نحقق خطتنا، ورجعنا مرة أخرى ووصلنا إلى **اوش**.

بعد خمسة أو ستة أيام، ، انهزم **تنبل** ورفاقه بسبب استعادتى السيطرة على الجبل والسهل والقلاع ، وبدأ جنوده فى الفرار إلى الجبال والسهول ثلاثا ورباعا . وقال بعض الذين جاءوا منهم "إن عمل **تنبل** بدأ يفشل، وأنه بالتأكيد سينسحب مهزوما خلال ثلاثة أو أربعة أيام " . عندما علمنا بهذا الخبر، تحركنا للهجوم على "**اندجان**"، وكان السلطان "**محمد كلبك** " الأخ الأصغر **لتنبل**، فى قلعتها . فتقدمنا عبر طريق "**توتلق** " . وفى وقت صلاة الظهر، أرسلنا المهاجمين إلى "**خاكسان** " عند الطريق الجنوبى من "**اندجان** "(١٠٦أ)، وسرت فى أعقابهم، فوصلت إلى سفح " **بشته عيش** " الذى فى طرف "**خاكان** ". وأبلغنا جند الاستطلاع أن **السلطان محمد كلبك** خرج مع رجاله إلى خارج الحى والرياض، قاصدا سفح "**بشته عيش**". ولم يكن المغيرون قد تجمعوا بعد . فتحركت على الفور ناحيته دون اكتراث بعدم تجمع المغيرين.وكان عدد رجال "**محمد كلبك**" يزيد عن الخمسمائة .وواقع الأمر أن عدد رجالنا كان يزيد عن رجاله لكنهم تفرقوا للغزو. وعندما تقابلنا كنا مثله فى العدد . وتوجهنا نحو العدو مباشرة بأقصى سرعة قبل أن نفكر فى انتظام الصفوف. فلما اقتربنا، لم يستطع المقاومة ؛ فقط نوح بسيفه مرة أو مرتين، ثم سارع بالفرار .

وتعقّبنا رجاله إلى مقربة من "باب الخاقان" وهم يتساقطون من فوق خيولهم.

انهزم العدو. وعندما وصلنا إلى "خوجه كته" على مشارف الحى، كان الوقت مساء. وكنت عاقدا النية على مواصلة السير بأقصى سرعة نحو الباب. لكن "ناصر بك" و "قنبر علي" والد دوست بك، وهما من الأمراء كبار السن المجربين، قالا: " الوقت الآن متأخر. والاقتراب من القلعة فى ظلمة الليل فيه من عدم الحيطة ما فيه. فلنتراجع قليلا، وننزل (هناك). فما الذى يمكنهم عمله إلى الصباح ؟! إنهم لا محالة سيسلمون القلعة على أى حال". وامتثالا لرأى هؤلاء الأمراء المجربين، انسحبنا ونحن على مشارف الحى (١٠٦ب). رغم أن تقدمنا إلى الباب كان يعنى أن نأخذ القلعة بلا أدنى شك.

هجوم تنبل :

فى وقت صلاة العشاء، عبرنا ماء "خاكان" ونزلنا بجوار قرية رباط روزق"[٥٤٠].

ورغم علمنا بهزيمة تنبل، وأنه فى طريقه إلى "اندجان" فقد غفلنا(عن الأمر) بسبب عدم خبرتنا. وبدلا من أن ننزل عند حافة ماء آمن مثل ماء خاكان، عبرنا النهر،نزلنا إلى مكان منبسط بجوار قرية "رباط روزق". ونمنا بدون أن نترك جندي طليعة أو مراقبا. ومع بزوغ الفجر، بينما الجند يغطون فى النوم اللذيذ، جاء قنبر على مسرعا وهو يصيح قائلا: "جاء الأعداء، انهضوا" ومضى بغير توقف. وكنت دائما حتى فى أوقات الأمان أنام من غير أن أخلع ملابسى. وبمجرد أن نهضت، ربطت

[٥٤٠] رباط روزق، قرية بجوار ماء خاكان فى فرغانه.

السيف وحملت كنانة السهام، وامتطيت جوادا على الفور. ولم يجد التوغجي وقتا لربط التوغ في الصاري، فأخذه في يده وركب جواده وانطلقنا ناحية العدو.

كنا عند تحركنا حوالي عشرة أو خمسة عشر رجلا. وقد لحقنا بمهاجمي العدو على مسافة رمية سهم. وكان معي عندئذ عشرة رجال. فأطلقنا السهام وقبضنا على رجلهم الذي في المقدمة وواصلنا طريقنا وتعقبناهم لمسافة رمية سهم أخرى، حتى وصلنا إلى نقطة تمركزهم.

كان السلطان **أحمد تنبل** يقف ثابتا في مكانه مع حوالي مائة من رجاله. (١٠٧أ) فتقدم عن الصف أحد رجاله وقال: "هيا اضرب. اضرب". وانتحى معظم رجاله جانبا وكأنهم يحدثون أنفسهم: "أنهرب أم نقف!!". في هذه الأثناء كان معي ثلاثة رجال هم؛ **دوست ناصر وميرزا على كوكلداش، وكريمداد خداي داد التركماني**. فأطلقت السهم الوحيد الذي في الوتر على خوذة **تنبل**. ووضعت يدي مرة أخرى في الكنانة فخرج منها سهم مقوس ذو تلوين أخضر كان خالي الخان قد أعطاني إياه. ولم أرغب في إطلاقه. وإلى أن أعدته في مكانه كان قد مضى من الوقت ما يسمح بإطلاق سهم وربما سهمين. وجذبت سهما آخر في على وتر القوس وتقدت قليلا، بينما رجالي الثلاث يقفون ورائي بمسافة قصيرة كان **تنبل** هو أحد الرجلين اللذين يقفان أمامي فتقدم إلى الأمام. وكان يفصل بيننا طريق كبير. فدخلت الطريق من جانب ودخل هو من الجانب الآخر، والتقينا بحيث أصبح جانبنا الأيمن ناحية العدو، وجانب تنبل الأيمن ناحيتنا.

كان تنبل في كامل سلاحه كما أن حصانه كان مدرعا. أما أنا فلم يكن معي

سوى كنانة السهام وسيفى. وأطلقت السهم الذى كان فى يدى، فاخترق درعه وبلغ كنانة سهامه. فإذا بهم والوضع كذلك يطلقون سهما أصاب ساقى الأيمن. وكنت أضع خوذة فوق رأسى. فضرب تنبل رأسى بسيفه. فأصابنى دوار من جراء هذه الضربة، (١٠٧ب) ومع ذلك ظلت الخوذة سليمة لم تصب بسوء. لكن الضربة أصابت رأسى بجرح لا يستهان به. ولم أكن قد أخرجت سيفى من غمده ولم يتبق وقت لإخراجه ووجدت نفسى وحيدا وسط حشد من العدو. ولم يكن هذا الوقت المنتظر، فأدرت سرج الجواد. وضرب بسيفه ثانية فأصاب سهامى[٥٤١]. وتراجعت إلى الخلف سبع أو ثمان خطوات، فلحق بى ثلاث من المشاة، وانقض تنبل بسيفه على دوست ناصر، وظلوا يتعقبوننا لمسافة رمية سهم. حتى بلغنا ماء "خاكان" وهو نهر كبير وعميق لا يمكن عبوره من أى مكان (سوى الجسر) وشاء الله لنا أن نصل إلى جسر النهر مباشرة. وكان جواد "دوست ناصر" به وهن فسقط أثناء عبور النهر. فأركبناه جوادا آخر، واتخذنا طريقنا إلى اوش من فوق التل الواقع بين "خرابوك " و "فرغانه". وأثناء صعودنا التل لحق بنا مزيد طغايى وكان مصابا بسهم فى ساقه السليمة أسفل الركبة مباشرة، فقد ثقبها السهم ولم يخترقها. لكنه عانى معاناة كبيرة حتى وصلنا إلى اوش. وكان خيرة رجالنا يتساقطون فى هذه النزاعات. فقد سقط فيها ناصر بك ومحمد على مبشر وخوجه محمد على وخسرو كوكلداش ونعمان جهره. كما أصيب عدد لا يستهان به من الفرسان.

---

[٥٤١] يقصد كنانة السهام.

انتزاع " اندجان " من بابر وإعطائها إلـى الخــان الصغـير :

جاء الخانان بجنودهما من خلف تنبل حتى وصلا بالقرب من "**اندجان**". نزل **الخان الكبير** في البستان المسمى "**قوش تيكيرملن**". وهو بستان جدتي **إيسن دولت بيكم**. ويقع بجوار مرعى **الخان الكبير** (١٠٠٨أ). ونزل الخان الصغير قريبا من تكية "**بابا توكل**"[٤٢]. وبعد يومين جئت من اوش وقابلت **الخان الكبير** في "**قوش تيكيرمن**" وكان قد أعطى إلى **الخان الصغير**، المناطق التي كانت تحت ولايتي في ذلك الوقت. واعتذر لي بقوله: "إن عدوك **شيباق** يتقدم للاستيلاء على "**سمرقند**"، ولهذا السبب استدعينا **الخان الصغير** من مكانه المتناهي البعد. ولا مكان هنا يلجأ إليه، فولاياته بعيدة، ولابد أن نعطي له الولايات التي في الطرف الجنوبي من ماء "**خجند**" وعلى رأسها "**اندجـان**" لتكون مستقرا له. ووعدني بإعطائي الولايات التي في الطرف الشمالي من ماء **خجند** وعلى رأسها "**اخســي**". وبعد انتهاء مهمة هذا المكان، سار الخانان وأخذا ولاية **سمرقند** أيضا، ومعها الولايات التي وعداني بها. بعد ذلك كادت **فرغانه** كلها أن تصبح **للخان الصغير**. على أي حال كان كلامه هذا بهدف خداعي. وبعد كل هذا، لم يتضح لي ما ستصير إليه الأمور، وبسبب قلة حيلتي رضيت بالأمر الواقع طوعا أو كرها.

رفض بابر التخلي عن الخــان :

خرجت من لقاء **الخان الكبير**. وأثناء ذهابي لمقابلة **الخان الصغير**، اقترب مني "**قنبر علي بسك**" المشهور بالسلاخ، وقال: "أرأيت، لقد جردوك اليوم من

---

[٤٢] بابا توكل، اسم حي بجوار "اندجان".

ولايتك، ولن تظفر بشيء مع هذين الخانين. (١٠٨ب) إن اوش ومرغينان واوزكند والولايات التى أصبحت تحت إدارتكم، كلها وأهلها الآن طوع أمركم. فلتقصد اوش فورا، وتدخلها وتغلق القلاع وترسل رسولا إلى السلطان أحمد تنبل وتتصالح معه، وتضرب المغول وتطردهم. وتقتسم الولايات مع أخيك". فقلت له : "إن هذا غير ممكن. فالخانان أقرب أقاربى، وخدمتهما أفضل عندى من السلطنة على "تنبل". فلما تبين أن كلامه لى بغير جدوى، إعتراه الخجل واستدار راجعا .

ذهبت لمقابلة خالى الخان الصغير. وكان عند مقابلتنا الأولى لا يعلم شيئا عنى. لهذا لم ينزل عن جواده وقابلنى بانحنائة خفيفة. أما هذه المرة، فما أن اقتربت منه، حتى حث الخطى، وخرج من جنب أوتاد الخيمة لمقابلتى. وكنت أمشى بصعوبة وأتكىء على عصا بسبب جرح السهم الذى أصاب ساقى. فأقبل على واستقبلنى وأمسك بيدى وقال : "ياأخى، لقد كنت بطلا"، ثم ساعدنى وصحبنى إلى الخيمة.

كانت الخيمة صغيرة بعض الشيء. ولأنه تربى وكبر بعيدا (عن الحضر)، فقد كانت الخيمة ومكان الجلوس فيها عاريين من التكلف، مثلما فى خيام القازاق. وفيها الشمام والبطيخ وكل أطقم الفرسان.

خرجت من لقاء الخان الصغير وتوجهت إلى مقر إقامتى، وأرسل لى الخان جراحه المغولى واسمه "اتكه بخش" للعناية بجرحى. والمغول يطلقون على الجراح الماهر اسم "بخش". وقد كان جراحا حاذقا. فكان يداوى مخ الإنسان وإن خرج من موضعه (١٠٩أ). ويضع دواء يشبه المرهم فوق بعض الجروح، كما

يصف لبعضها الآخر دواء يؤكل. وقد أمر بحرق المبضع للجرح الذى فى ساقى[٥٤٣] ولم يضع الفتيل. وذات مرة أطعمنى شيئا يشبه الجذر. وقد حكوا عنه إنه ذات مرة انكسرت عظمة دقيقة فى ساق احدهم، وتمزق مكانها تماما بمقدار أربعة أصابع وصار مهترئا. فشق اللحم وأخرج العظام تماما، ووضع مكانها دواء على هيئة التراب، فقام هذا الدواء مقام العظام. وقالوا أشياء كثيرة بهذه الغرابة وكلها تثير العجب. وقد عجز الجراحون فى الولاية عن القيام بمثل هذه العلاجات.

توجس "قنبر على" مما قاله وملأه الخوف، فهرب بعد ثلاثة أو أربعة أيام، وذهب إلى "أندجان". وبعد عدة أيام اتفق الخانان وأرسلا أيوب بيكجيك والتابعين له وجان حسن بايرين وأتباعه البايرينيين، إلى "أخسى"، وجعلا صغير باش ميرزا أميرا للجند، وضموا إلى حوالى ألفى رجل. وكان الشيخ بايزيد شقيق تنبل الصغير، فى "أخسى"، و"شهباز قارلق"[٥٤٤] فى "كاسان". فى هذه الأثناء جاء شهباز وأقام أمام قلعة "نوكند"، فعبرنا ماء "خجند" من أمام "بيجراتا"[٥٤٥] لنهجم عليه هناك. وقبيل الصباح، ونحن على مقربة من "نوكند"(١٠٩ب) قال الأمراء: "من المؤكد أن الرجل شعر بقدومنا. وهجومنا عليه فى ضوء النهار أفضل من أن يهزمنا". وأبطأنا السير قليلا، دون أن نجد أثرا لشهباز. فلما اقتربنا من نوكند،

---

[٥٤٣] جاءت فى الترجمة الإنجليزية "ربط ساقي برباط" ص١٦٩. وجاءت فى الترجمة التركية "أمر بدهان بوجقاق "انظر، الترجمة التركية ص ١١٥، فالكلمة فى الجغتائية "بوجقاق ياقماق ني" ترجمت فى التركية buckak sürmemi. وترجمت فى الفارسية "بوجاق را فرسود" انظر، الترجمة الفارسية ص ٦٩ بمعنى أحرق البوجقاق. وكلمة ياقماق فى القاموس الجغتائي يعنى إحراق أو إشعال انظر سيد أفندى البخارى، القاموس الجغتائي العثماني. وقد ترجمناها على هذا النحو اجتهادا على ضوء كلمة إحراق على اعتبار أن الكي بالمبضع كان من أساليب العلاج المعمول بها قديما.

[٥٤٤] شهباز قارلق، أحد رجال تنبل.

[٥٤٥] بيجراتا، مكان معبر على نهر خجند، وهو الجزء الواقع من نهر سرداريا فى فرغانه.

شعر بنا الرجل، ولاذ بالفرار إلى داخل القلعة. وكثيرا ما حدثت أمور مشابهة لهذا. فقد كانوا يضيعون الفرص لظنهم أن العدو قد علم بأمرهم. والتجارب إنما تكون بمثل هذه المواقف. ويقولون : "عندما يأتى الأمر إلى بابك، خذه بجد واهتمام ولا تتوان. فالندم لن يجدى بعد فوات الفرصة". وعند بزوغ الفجر، وقعت مناوشة صغيرة عند طرف القلعة، لكن حربا بمعنى الكلمة لم تحدث بيننا.

تحركنا بعد ذلك من **نوكند** فى اتجاه الجبل عند طرف **بشخواران**، لشن هجوم هناك. فعلم **شهباز قارلق** بالأمر، واغتنم الفرصة وغادر "**نوكند**" ولاذ بالفرار إلى **كاسان**، فرجعنا إلى "**نوكند**" ثانية وأقمنا بها.

فى هذه الأيام شن الجند عدة غارات على الأطراف والجوار. وأغاروا مرة على قرى "**اخسى**" وأخرى على **كاسان**. وخرجوا لمحاربة **شهباز** وابن اوزون حسن ويدعى **ميريم**، وهزموهما، ومات **ميريم** هذا هناك.

وقلعة "**باب**"، واحدة من قلاع "**اخسى**" المنيعة. وقد أغلقها أهلها وأرسلوا رسولا إلينا. فأرسلنا إليهم **سيد قاسم** وبعض الفتية (١١٠أ). فعبروا النهر أمام قرى الطرف العلوى من "**اخسى**" ودخلوا القلعة. وبعد بضعة أيام وقع حادث غريب. ذلك أن **إبراهيم جانيق طغايى** و**أحمد قاسم كسهبر** و**قاسم ختيكه أرغون** و**الشيخ بايزيد**، كانوا فى "**اخسى**" فى تلك الأثناء. فأمدهم **تنبل** بمائتين من الفتية الشجعان وأرسلهم ذات ليلة إلى قلعة باب ليباغتوها. ولم يكن **سيد قاسم** قد اتخذ أسباب الحيطة الكافية، وغشيته الغفلة. فوصل هؤلاء إلى القلعة وتسلقوا السلم الخشبى وصعدوا إلى القلعة وسيطروا على بابها وأنزلوا جسر الخندق. ودخل

القلعة حوالى سبعون أو ثمانون من الفرسان المسلحين تسليحا جيدا . فلما شعر سيد قاسم بالأمر، خرج بلباس النوم مع خمسة أو ستة رجال ليطلقوا عليهم السهام، واستطاعوا أن يخرجوهم من القلعة. وقطع سيد قاسم رؤوس عدد من الرجال وأرسلهم. والواقع أن مثل هذه الغفلة، عيب كبير وتقصير فى القيادة. لكن ما قام به عدد قليل من الرجال، وضربهم عدد كبير من الرجال المسلحين والانتصار عليهم وإخراجهم من القلعة، يعتبر أيضا شجاعة كبيرة.

أثناء ذلك إنشغل الخانان بمحاصرة قلعة "اندجان "، وتصدى أهلها لهم ومنعوهم من الاقتراب منها . وخرج لهم الفرسان وقاتلوهم. وأظهر الشيخ بايزيد الموجود فى "اخسى " ميلا ناحيتنا . وأرسل رسولا إلينا وألح فى طلبنا وكان سبب هذه الرغبة، هو إبعادنا عن الخانين بشتى الحيل(١٠١ب). وكان من المستحيل أن يصمد الخانان إذا تخلينا عنهم. وكان طلب بايزيد لنا بموافقة أخيه الأكبر تنبل. وكان انفصالى عن الخانين والاتفاق مع هؤلاء أمر مستحيل بالنسبة لى. فعرضت رغبة بايزيد على الخانين. وكان رأيهم أن نذهب إلى هناك ونقبض على الشيخ بايزيد بأى صورة من الصور. ومثل هذا الخداع ليس من عاداتنا وتقاليدنا، خاصة وأن بيننا عهدا مقطوعا . فكيف لنا أن ننقض العهد بهذه الصورة. وجال بخاطرى أننا إذا استطعنا أن ندخل "اخسى " بأى وسيلة، عندئذ يكون أمامنا إما قطع الصلة بين الشيخ بايزيد وتنبل، فينضم إلينا ، أو ينقلب علينا وعندئذ نستولى على "اخسى " وهى منطقة مناسبة لنا . و أرسلنا بدورنا رسولا إليه. وأبدى الشيخ بايزيد رغبته فى عقد ميثاق معنا وطلب أن نذهب إلى "اخسى "، فذهبنا . وخرج لاقائنا

ومعه أخى الصغير **ناصرميرزا**، وصحبنا إلى قلعة "اخســـى"، وخصص لى مكانا ومقاما فى تكايا والدى فى القلعة الخارجية.

إنسحاب المغول من " اندجـــان ":

كان **تنبل** قد أرسل أخاه **بيك تيلبه** إلى "**شــيباق خـــان** "، ليبلغه طاعته، ويسأله المجيء. وفى تلك الأثناء تسلمنا الرسالة التى تعلن مجيء "**شيباق خـــان**". وما أن علم الخانان بمجيئه، حتى تزلزلا ولم يثبتا فى مكانهما من فرط الخوف، وغادرا "**اندجان** ". وكان **الخان الصغير** مشهورا بعدله والتزامه بالإسلام، لكن **المغـــول** الذين تركهم فى القلاع التى أصبحت تحت إدارته مثل **اوش ومرغينـــان**، أساؤوا معاملة الأهالى فى المناطق التى تصدت لهم، (١١١أ) لهذا ما أن غادر الخانان "**اندجان** "، حتى انقض أهالى **اوش ومرغينـــان** على أولئك **المغــول** الذين فى القلاع ونهبوهم وضربوهم وأخرجوهم منها.

أما الخانان فلم يعبرا ماء "**خجند** "، وإنما سلكا طريق **مرغينان وكند بـــادم**، وعبرا النهر عند **خجند**. وجاء **تنبل** إلى **مرغينان** فى أعقاب الخانين. وكنا نحن فى هذا الوضع نشعر بالقلق. فليست لدينا الثقة الكاملة فى هؤلاء حتى نبقى، كما أننا لا نستحسن الخروج من هنا ما لم تكن هناك ضرورة.

وذات صباح، هرب **جهانكير ميرزا** من عند **تنبل** إلى **مرغينـــان**، ثم جاء إلينا[٥٤٦] وكنت فى الحمام. فجاء إلى **الميرزا**، وقابلته هناك. وفى تلك اللحظة دخل علينا **الشيخ بايزيد** مضطربا وخائفا. فقال **الميرزا وإبراهيم بـــك** :" لابد من

---

[٥٤٦] يقصد ل "اخسى".

القبض على الشيخ بايزيد والاستيلاء على القلعة". والواقع كان هذا هو التصرف السليم لكنى ذكرت لهما" أن بيننا ميثاق، فكيف ننقضه؟ ".

عاد الشيخ بايزيد إلى القلعة. وكان من الضرورى أن نترك رجلا عند الجسر، لكننا لم نفعل هذا أيضا بسبب الإهمال الناتج عن عدم التجربة. ومع طلوع الفجر، جاء تنبل بألفين أو ثلاثة آلاف من الرجال مسلحين، وعبروا الجسر ودخلوا القلعة. ولم يكن معى سوى عدد محدود من الجند، ذلك لأننى بعد المجيء إلى "اخسى"، أرسلت بعض رجالى إلى القلاع وبعضهم إلى مختلف أطراف الولاية لجمع الضرائب، وظل معى فى "اَخسِى" مائة رجل ونيف. (١١١ب) فركبت جوادى ومعى الرجل، وانشغلت بتفقد الفئة على رؤوس الأزقة، والاستعداد للحرب، وأثناء ذلك جاء الشيخ بايزيد وقنبر على ومحمد دوست من عند تنبل على وجه السرعة، للتفاوض معى بشأن عقد الصلح. فتركتُ فئة الحرب فى أماكنهم، ونزلت للحديث معهم عند قبر والدى، كما استدعيت جهانكيرميرزا إلى هناك.

رجع محمد دوست على الفور، بينما جاء الشيخ بايزيد و"قنبر على بك". ونحن على وشك بدء مشاورات الصلح فى ردهة الديوان، الواقع فى الطرف الجنوبى من المقبرة، قرر جهانكيرميرزا وإبراهيم جانبوق القبض عليهما، فمال جهانكيرميرزا على أذنى وقال: " لابد من القبض عليهما ". فقلت: " لا تخافا من شيء فقد مضى وقت القبض عليهما. ولننظر ربما يمكننا عن طريق الصلح أن نبلور الأمر على صورة ما. "فقد كانوا أكثر منا عددا ونحن أقل منهم بكثير. فضلا عن أنهم داخل القلعة، بينما نحن بقواتنا المحدودة هذه موجودون فى الحصن

الخارجي. وكان **الشيخ بايزيد** و " **قنبر علي** " حاضرين هذه المشاورات.

فنظر **جهانكيرميرزا** ناحية **إبراهيم بك** وأشار إليه بترك هذا (الذي اتفقا عليه).

لكني لا أعرف هل فعل هذه الحركة نتيجة سوء فهم أم نوع من التجاهل، فقد قام على الفور وقبض على **الشيخ بايزيد**. وانقض كل الفتية الموجودون على الجانبين وقبضوا عليهما .(١١٢أ) وهكذا قضى الأمر. وسلمنا الرجلين إلى أحد الأشخاص، وركبنا جيادنا للقتال.

خروج بابر من "الخسي ":

كانت أحد أطراف المدينة موكلة إلى **جهانكيرميرزا**، وكان قليل الرجال، فخصصت له بعضا من رجالي ليكونوا تحت إمرته، وتفقدت مكانه أولا وحددت مواقع الرجال في كل أماكن القتال ثم رجعت.

وفي مكان مستو في وسط المدينة كنا قد تركنا عددا من الفتية، فهجم عليهم جمع غفير من الفرسان والمشاة، أطاحوا بهم وحاصروهم في أحد الأزقة. وقد وصلت أثناء ذلك وما أن رأوني مقبلا بحصاني، حتى لاذوا بالفرار بدون مقاومة، فطردتهم من الزقاق إلى مكان مستو، وقد أصابوا ساق حصاني بسهم أثناء هجومي عليهم بالسيف. فمال الحصان وألقى بي على الأرض وسط الأعداء تماما. فنهضت في الحال وأطلقت سهما، وأقبل "**صاحب قدم كاهل**"[٥٤٧] بجواد هزيل ترجل عنه وتركه لي. فركبته وتركت الرجل مكاني وذهبت إلى رأس زقاق آخر. فلما رأى سلطان **محمد ويس** ضعف جوادي، ترجل عن جواده وتركه لي فركبته. في

[٥٤٧] **صاحب قدم كاهل**، أحد رجال بابر.

هذه الأثناء جاء "قنبر علي" بك"[٥٤٨] بن "قاسم بك" جريحا من عند جهانكير ميرزا وقال: "لقد ظلوا يضغطون على جهانكير ميرزا (١١٢ب) حتى أخرجوه من مكانه، وترك المدينة "فارتبكنا لذلك. كما جاء في هذه الأثناء سيد قاسم من قلعة "باب "وكان بجبنه في غير أوانه. فقد كان من الخير في مثل هذا الوقت أن تظل قلعة منيعة كهذه تحت أيدينا. وسألت إبراهيم بك: "ماذا عسانا أن نفعل الآن ؟". وكانت به بعض الجراح فلم يحسن الرد. ولا أعرف أكان هذا بسبب الجراح أم بسبب الخوف. ففكرت لحظة ثم قلت: "لنعبر الجسر ثم نكسره ونذهب ناحية "اندجان". وقد أحسن بابا شيرزاد[٥٤٩] التصرف في هذا الموقف فقد قال: "لنصعد ونضغط على الباب بالقوة". وأخذنا برأيه ومشينا ناحية الباب. كذلك قال: "خواجة ميرميران"[٥٥٠] كلمات شجاعة في ذلك الوقت. وأثناء سيرنا بين الأزقة تحارب "سيد قاسم" و "دوست ناصر" ضد "باقي خسير"، وكنت و "إبراهيم بك" و "ميرزا قلي كوكلداش" متقدمين بعض الشيء. فلما وصلنا أمام الباب وجدنا الشيخ بايزيد وقد ارتدى خرقة فوق قميصه وبصحبته ثلاثة أو أربعة فرسان وكانوا على وشك الدخول من الباب. فأخرجت سهما من كنانتي وأطلقته عليه فأحسنت تصويبه وأصبته في عنقه. فدخل من الباب مفزوعا ولاذ بالفرار من الزقاق المؤدي إلى الجانب الأيمن، وتعقبناه. وسدد ميرزا قولي كوكلداش دبوسا فأصاب أحد المشاة (١١٣أ) ولما دخل ميرزا قولي رأى أحد المشاة وقد صوب

---

[٥٤٨] قنبر علي بك هذا غير "قنبر علي" السلاخ المغولي الذي قبض عليه مع بايزيد. انظر، بابر نامه، ورقة ١١١ب.

[٥٤٩] بابا شيرزاد، أحد رجال بابر.

[٥٥٠] خواجة ميرميران، أحد رجال بابر.

قوسه ناحية إبراهيم بك، فأسرع إبراهيم بك بالدخول وهو يصيح "هاى هاى" فتركه يمر وأطلق ذلك الرجل سهما أصابنى فى إبطى من مسافة قريبة فقطع طبقتين من الدرع. ونجا إبراهيم بك بنفسه وأنا فى أعقابه. أثناء ذلك كان أحد المشاة يهرب من فوق الجدار فأطلقت سهما أصاب غطاء رأسه، فأخذه السهم إلى حافة الجدار وثبته هناك. وظل الغطاء معلقا هناك فلف شال عمامته على ذراعه وهرب. ومر فارس آخر من جانبى هاربا فى اتجاه نفس الزقاق الذى هرب إليه الشيخ بـــايزيد فضربته بسيفى على رأسه من الخلف فمال فوق حصانه وكاد أن يقع لولا أنه اتكأ على حائط الزقاق ونجا بصعوبة. وطاردنا الفرسان والمشاة الموجودين عند الباب وسيطرنا عليهم. لقد فات وقت تدبر الأمر، فالقلعة بها ألفان أو ثلاثة آلاف رجل بأسلحتهم مقابل مائة أو مائتين فقط خارجها. وجهانكير ميرزا مطرود من القلعة توا وقد خرج معه نصف رجالنا. ورغم قوة موقف عدونا، فقد وقفنا عند باب القلعة بسبب قلة خبرتنا وأرسلنا رجلا إلى جهانكيرميرزا يبلغه أن يأتى إن كان فى مكان قريب، لنعاود الكرة. لكن الموقف الآن تجاوز هذه المرحلة، فقال إبراهيم بـك: "إن جوادى غير سليم" ولا أدرى أكان جواده ضعيفا أم جريحا. فنزل رجل من رجال محمد على مبشر اسمه سليمان من فوق جواده بدون طلب من أحد (١١٣ب) وقدمه إلى إبراهيم بك وكان هذا تصرفا جسورا منه.

أثناء وقوفنا عند الباب أظهر كيجيك على حاكم "كـول"[٥٥١]، شجاعة فائقة وكان آنذاك يعمل فى خدمة السلطان محمد ويـس. وقد تحرك مرتين بشكل جيد

---

[٥٥١] تقول السيدة بفريدج فى الترجمة الإنجليزية: إن بابر يعنى بهذا حاكم كول الآن أى فى زمن كتابة هذا الكتاب وكـــان على كيجيك هذا فى كول بعد فتح الهند، انظر الترجمة الإنجليزية ص ١/١٧٦. كول هى قرية فى ناحية عليكره فى الهند.

في اوش .

وقفنا بالباب ننتظر عودة الرجل الذى أرسلناه إلى الميرزا. وعاد الرجل وأبلغنا أن الميرزا مضى منذ فترة. أما وقد فات وقت الانتظار فقد انصرفنا بدورنا . فقد كان وقوفنا كل هذا الوقت بلا جدوى. وكان معنا حوالى عشرين أو ثلاثين رجلا. وبعد أن خرجنا إلى الطريق، لحق بنا رجال كثيرون مدربون، وانضموا إلينا . وفى اللحظة التى عبرنا فيها جسر الخندق، وصل أحد رجال العدو[٥٥٢] إلى طرف جسر الخندق من ناحية المدين. فصاح بنده علي بك[٥٥٣] جد حمزة بن "قاسم بك " لأمه، قائلا لإبراهيم بك : "كنت دائما متعاليا وعنيدا. قف وتعال نتبارز بالسيف ". وكان إبراهيم بك بجانبي، فقال : "ولما لا تأتى أنت". وإذ بالرجل المتهور، فى مثل هذا الوقت من الهزيمة، يتمسك بعناده. وهل هذا وقت العناد ! . ومشينا بأقصى سرعة فالوقت لا يسمح بالانتظار. ورجل العدو وراءنا وقد أطلق عنان جواده، ورجالنا يتساقطون واحدا تلو الآخر. وبينما نجتاز المكان المسمي كنبدجمن، على مسافة شرعى من "اخسى "، نادى إبراهيم بك، فنظرت ورائى (١١٤أ). واقترب مني "خان قولى بيان قولى "، قائلا : "أهذا وقت الرجوع !". وأمسك بعنان جوادى وسرنا إلى الأمام. ووصلنا إلى "سنك " وكان أغلب رجالى قد تساقطوا . وتقع سنك على مسافة شرعيان من "اخسى ". فلما تجاوزناها، لم نجد رجل العدو وراءنا، فاتجهنا لأعلى بمحاذاة ماء سنك.

كان كل ما تبقى معى من الرجال ثمانية أشخاص، هم : دوست ناصر،

---

[٥٥٢] يقصد أحد رجال تنبل والشيخ بايزيد.

[٥٥٣] بنده علي بك، هو ابن حيدر كوكلداش أحد أمراء السلطان محمود خان.

وقنبر على وقاسم بك، وخان قولى بيان قولى، وميرزا قولـــى كوكلـــداش، وشاهم ناصر، وعبد القدوس سيد قره[٥٥٤]، وخوجه خـــاص وأنا ثامنهم. كان الطريق المؤدى إلى أعلى هذا الماء جيدا. وكان الوادى بعيدا ومعزولا عن الطريق الرئيسى. وسلكنا هذا الوادى إلى أعلى جاعلين الماء عن يميننا. ووصلنا مرة أخرى إلى واد غير ذى ماء، ومع صلاة العصر خرجنا إلى أرض مستوية. وبدت لنا فى الأفق ظلمة بعيدة. فتركت رفاقى وصعدت التل سيرا على قدمى لأستطلع الأمر من فوق التل. وصعد ورائى بعض الفرسان. لم يكن فى الوقت متسع لنتأكد أهم قلة أم كثرة. وركبنا جيادنا وانطلقنا. كانوا حوالى عشرين أو خمسة وعشرين رجلا يأتون فى أعقابنا. ونحن كما ذكرت من قبل كنا ثمانية فقط. ولوكنا قد تبينا أنهم بهذا العدد فقط لقاتلناهم بشكل جيد. لكننا تصورنا أن هؤلاء هم طليعة الجند التى تعقبنا (١١٤ب)، وأن البقية آتية من ورائهم. ولهذا سارعنا بالابتعاد. فجنود العدو الهارب حتى وإن كانوا كثرة لا يمكنهم الصمود أمام من يتعقبهم وإن كانو قلة. لا سيما وأنهم قالوا: "يكفى العدو المهزوم، صيحة واحدة". وقال خان قولى: "إن لم نفعل ما سأقول، سنقع جميعا فى قبضتهم. سنتخير اثنين من الجياد الجيدة، تسرع أنت وقولى كوكلداش بهما، ربما تكتب لكما النجاة".

لم يكن رأيه هذا شيئا. ربما يمكن الخلاص بهذه الطريقة، مادام القتال لم يشتعل. لكن ليس من الخير ترك أحد الخواص وسط الأعداء بدون جواد. وفى النهاية قررنا البقاء جميعا واحدا تلو الآخر. وكان الحصان الذى أمتطيه قد وهن، فتخلى لى

---

[٥٥٤] عبد القدوس سيد قره، هو عبد القدوس كهبر بن سيد قره.

"قولى" عن جواده وتبادله معى، فركبت جواده بخفة، وركب هو جوادى.

فى هذه الأثناء تخلف وراءنا شاهم ناصر، وعبد القدوس سيدى قـــره، وخان قولى. لم يكن الوقت يسمح بالمساعدة أو الحماية. فقد كنا ننطلق بأقصى سرعة. ومن لا يحث السير بجواده يتخلف فى المؤخرة. كذلك جرح جواد دوسـست بك وتأخر وراءنا. وبدأ الحصان الذى أمتطيه يظهر عليه الوهن فتخلى لى "قنـبر على" عن جواده فركبته وركب هو جوادى وتأخر عنا. وكان "خوجه خسـى"*** أعرجا. فانسحب فى اتجاه التلال. وبقيت أنا وميرزا قولى كوكلتـاش فقط. ولم يعد الحصان قادر على الجرى. (١١٥أ) ومع هذا كنا منطلقين بسرعة. وأخذ الوهن يظهر على جواد ميرزا قولى أيضا. فقلت له: "لا أستطيع أن أتركك هنا (وحدك) وأمضى، هيا سر معى، فإما نموت معا أو نحيا معا"، وسرت بما يناسبه لفترة. بعدها قال ميرزا قولـــى: "لقد أنهكت قوى حصانى، ولا يمكنه السير. دعنى وامض أنت حتى لا نقع فى أيديهم". وكان قوله هذا شديد الوطأة على نفسى. وتركت ميرزا قولى أيضا ورائى. وواصلت السير وحيدا. وظهر أمامى اثنان من الأعداء أحدهما اسمه "بابا سـيرامى" والآخر "بنـده علـى". واقتربا منى. ورأيت جوادى منهك القوى وما زال أمامنا مسافة فرسخ تقريبا لنبلغ الجبل. ورأيت أمامى كومة من الحجارة، وفكرت لحظة: "إن الحصان مجهد وما زال الجبل بعيدا. أين المفر!! ما زال فى كنانتى حوالى عشرين سهما. فلأقاتل من خلف كومة الحجارة هذه، حتى تنفد سهامى". ثم جال بخاطرى بعد ذلك: "لعلنى أستطيع بلوغ الجبل.

*** جاءت فى الترجمة الإنجليزية "خوجه حسين" انظر، الترجمة الإنجليزية ص ١٧٨، وكذلك فى الترجمة الفارسية ص٧٣.

وبعد ذلك أربط بعض السهام حول خصري وأتسلق الجبل". كنت شديد الثقة في خفة حركتي. فأسرعت في السير وأنا عاقد العزم على هذا. ولم يعد حصاني قادرا على الجري بسرعة، وأصبح الرجلان على مسافة رمية سهم، ولم أستطع إهدار السهم، ولم أطلقه (١١٥ب). وتخوفا أيضا فلم يقتربا أكثر من هذا، وهكذا أصبحا يسيران خلفي. واقتربت من الجبل مع غروب الشمس. وفجأة قالا : "إلى أين نحن سينتهي بنا المطاف! لقد قبضوا على جهانكير ميرزا. كما أن ناصر ميرزا في يدهم". واضطربت لهذه الكلمات. لأننا إذا وقعنا كلنا في قبضتهم فسيكون الخطب جللا.

واصلت السير في اتجاه الجبل دون أن أجيبهما. قطعت من الطريق شوطا بعيدا، إذ بهما يناديان على مرة أخرى، وتكلما هذه المرة بطريقة أفضل من السابقة، فنزلا عن جواديهما، ونادیا، وأنا أواصل السير بدون أن أعير كلامهما أذنا صاغية.

كنت أسير في اتجاه أعلى الوادي وواصلت السير حتى صلاة العشاء. وفي النهاية وصلت إلى صخرة كبيرة في حجم البيت. سرت من جانب الصخرة، بدا بعد ذلك جرف عميق. وعجز الحصان عن السير، ونزلا بدورهما عن جواديهما. وأخذا يتكلمان معي بشكل مناسب، وأكثر احتراما وتقديرا. فقالا : "إنها ظلمة الليل. ولا طريق أمامنا. إلى أين نحن ذاهبون : وأقسما بقولهما: "إن السلطان أحمد بك[٥٥٦] سيبوءك مقام السلطنة". فقلت : "إن قلبي غير مطمئن لكلامكما. والذهاب إلى هناك أمر مستحيل بالنسبة لي. إذا كنتما تنويان أن تقدما لي خدمة في

---

[٥٥٦] يقصد السلطان أحمد تبل

موضعها،(١١٦أ) وأكافئكما عليها لسنوات، إرشداني إلى الطريق المؤدي إلى الخانين. وسأوفي لكما أجركما رعاية وإحسانا يفوق ما تأملان فيه. وإلا فارجعا من حيث أتيتما، ولا شأن لكما بي، وهذه أيضا خدمة طيبة". فقالا: "ليتنا لم نأت. أما وقد أتينا فكيف نتركك هنا ونمضي". فقلت: "مادام الأمر كذلك فاقسما لي أنكما صادقان". فأقسما بالقرآن قسما مغلظا. واطمأنت نفسي. وأرشداني إلى طريق يمر من خلف الوادي قريبا منه. فقلت لهما: "تقدماني إلى الطريق". ورغم أنهما أقسما لي، لكن ثقتي فيهما لم تكن كاملة. وسارا أمامي. وطال الطريق لمسافة فرسخ أو اثنين، ووصلنا إلى نهر صغير، فقلت: "يبدو أنه ليس طريق الوادي الرحيب". ولم يتوقعا هذا التساؤل، فقالا: "الطريق الآخر ما زال بعيدا أمامنا". لكنه كان طريق الوادي الرحيب. فقد خدعاني وأخفيا الأمر عني. وسرنا حتى منتصف الليل، ووصلنا مرة أخرى إلى ماء. وعندئذ قالا: "لقد اختلط الأمر علينا، ويبدو أننا تجاوزنا طريق الوادي الرحيب". فقلت: "إذا كان الأمر كذلك، فماذا عسانا أن نفعل!". قالا: "إن طريق غوا [557] أمامنا وهو قريب من هنا. وبه نصل إلى "فركت" (١١٦ب)، وسلكنا ذلك الطريق. ومشينا فيه حتى الجزء الثالث من الليل. ووصلنا إلى حافة الماء الذي يمر من "غوا"، فقال بابا سيرامي: "إنتظر هنا، سأذهب لأستطلع طريق غوا وأعود". وعاد بعد فترة وقال: "لقد اتجه إلى هذا الطريق بضع رجال تحت قيادة "بوركه" [558]، ولن يمكننا المرور منه" [559]. فلما

---

[557] غوا، في فرغانه.

[558] بوركه، أحد رجال تنبل.

[559] وردت هذه العبارة في الترجمة الإنجليزية على النحو التالي: "بعض الرجال يمضون عبر الطريق تحت قيادة رجل يرتدي غطاء رأس مغولي" ص١٧٩. وأظن أن هذا الاختلاف مرجعه أن الترجمة الإنجليزية تعاملت مع كلمتي بوركه بالخلق

سمعت هذا، ساورني الشك. فما زلنا موجودين داخل الولاية، وأوشك الصباح أن يشرق وما زال مقصدنا بعيدا. فقلت : "لنذهب إلى مكان يمكننا الاختباء فيه أثناء النهار. وعندما يحل المساء نعبر ماء "خجند" على ظهور الخيل. ومن هناك نذهب إلى خجند مباشرة. فقالا : "هناك تل يمكننا الاختباء عنده". وكان "بنده على" واليا على كرنـان، فقال : "إن هذا سيكون أمرا عسيرا بغير طعام لنا ولخيولنا. سأذهب إلى كرنـان وأعود بما يمكن إحضاره". ورجعنا من هناك قاصدين الذهاب مباشرة إلى كرنان. ووقفنا على مسافة فرسخ من كرنان، بينما ذهب بنده على وغاب فترة. وكاد الصبح أن ينجلي، ولم يأت هو بعد. وملأتنا هواجس كثيرة. وحان وقت الفجر. وجاء بنده علـى مهرولا، وأحضر معه ثلاثة أرغفة من الخبز، لكنه لم يأت بعلف للخيل. وأخذ كل واحد منا رغيفا وضعه في عبه، ثم صعدنا التل والخوف يملؤنا. وربطنا جيادنا في أحد الوديان، ثم اتجه كل واحد منا إلى ناحية وارتقى مكانا مرتفعا ليراقب الطريق. وقبيل الظهر (١١٧أ) رأيت أحمد القوشجي ومعه أربعة فرسان في طريقهم من غـوا إلى "اخسـى". وفكرت للحظة أن أناديه وأغريه بالوعود ليترك لنا جيادهم بدلا من جيادنا التي أنهكتها الحرب والضرب ليلا ونهارا، وكادت أن تهلك من الجوع. لكن قلبي لم يطاوعني، لأنني لا يمكن أن أثق فيهم. وقررت ومن معي الآتي : إن هؤلاء الرجال الذين رآهم سيرامي موجودين الليلة في كرنـان. ويمكننا في المساء أن نتسلل إلى هناك ونأخذ جيادهم لتحملنا إلى أي مكان. وعند الظهيرة، لمحنا شيئا يلمع على ظهر

الواردتان في النص الجغتائي على أن كلمة بوركه هي "بورك" بمعنى غطاء رأس، في حين تعامل معها النص التركي على اعتبار أنها اسم لأحد الأشخاص.

جواد . ولم نستطع أن نتبين حقيقته . ثم اتضح أنه **محمد باقر بك**[٥٦٠] . وكان معنا في "اخسي" . وعندما خرجنا منها وذهب كل واحد منا إلى ناحية . جاء **محمد باقر** إلى هنا لكنه كان يسير متخفيا . قال **بنده علي وسيرامي** : "إن الجياد لم تأكل منذ يومين . فلنهبط إلى السهل ونطلقها في العشب لتأكل " . فركبنا الجياد ونزلنا إلى السهل، وأطلقنا الجياد في العشب . وعند صلاة العصر رأينا رجلا على صهوة جواد يصعد التل الذي نختبئ فيه . وعرفته، إنه "**قادر بردي** "وهو كبير منطقة" **غوا** " . فطلبت ممن معي أن ينادوا عليه، ففعلوا . جاء **قادر بردي** والتقيت به . وبعد السؤال عن الأحوال وإبداء مظاهر الاهتمام والإنعام، وبذل المواثيق والوعود، رأينا أن نرسله ليأت لنا بحبل ضخم ومناجل وبلطات وسائر ما يلزم لعبور الماء، وعلف للجياد وما يلزم لطعامنا (١١٧ب) وخيل لتحملنا . واتفقنا أن يأتي إلى نفس المكان وقت صلاة العشاء .

وعند صلاة المغرب، رأينا رجلا على ظهر جواد يعبر من ناحية كرنسان في اتجاه غوا . سألناه من يكون، فأجابنا . واتضح (فيما بعد) أنه كان **محمد باقر** بنفسه . وأنه كان في طريقه من حيث رأيناه وقت الظهيرة إلى مكان آخر ليختبئ فيه . وكان قد غير صورته حتى أنني لم أتعرف عليه رغم أنه كان معي لسنوات طوال . ولو عرفته لانضم إلينا . وكان خيرا لنا . فأسفنا لابتعاده . ولم نستطع البقاء حيث تواعدنا مع **قادر بردي الغواني** .

قال **بنده علي** : "هناك في ضواحي كرنان حدائق خالية . وإذا ذهبنا إليها

---

[٥٦٠] **محمد باقر بك**، أحد أمراء جهانكير ميرزا، ووالد دوست بك أحد رجال بابر.

فلن يخطر ببال أحد قط أننا هناك. عندئذ نذهب ونرسل من يأت لنا "بقادر بردى". وعلى هذا ركبنا جيادنا وانطلقنا حتى وصلنا ضواحى كرنان. كان الوقت شتاء والجو قارص البرودة. وعثرنا على جلد غنم قديم، فلبسته. وجاؤوا بإناء به حساء الذرة، فشربته. وشعرت بعد ذلك براحة كبيرة. وقلت لبنده على : "هل أرسلت أحدا إلى قادربردى ؟". فأجاب : "نعم، لكن أولئك الأنذال تفاهموا معه وأرسلوه بدلا من ذلك إلى تنبل فى "اخسى ".

دخلت بيتا محاطا بالجدران، وأشعلت نارا واستغرقت فى النوم لفترة. وساق الفضول هذين الرجلين فقالا لى مرة أخرى : "لا يمكننا التحرك من هنا قبل تلقى الرد من قادر بردى. وهذا المكان وسط العمران. وتوجد فى الأطراف حدائق خاوية. فإذا ذهبنا إليها (١١٨أ) لن يتوقع أحد وجودنا هناك ". ووافقت أن نذهب بالجياد فى منتصف الليل إلى حديقة فى الأطراف. وكان بابا سيرامى يراقب الطريق فيما حولنا من فوق الجدران. وعند الظهيرة، نزل من عند السور واقترب منى قائلا : "يوسف داروغا "[٥٦١] قادم إلى هنا ". وقد حزنت لهذا، فقلت : "لننتظر لحظة حتى نعرف إن كان يعلم بوجودى هنا أم لا ". فخرج بابا سيرامى وتكلم معه ثم رجع وقال : "يقول يوسف داروغا إنه قابل أحد الجنود المشاة فى باب "اخسى "، قال له أن السلطان (يعنى أنا) موجود فى مكان ما فى كرنان. وقال أيضا لقد أخفيت هذا الجندى المشاه مع ولى خزانجى. وولى هذا كان قد وقع أسيرا فى يدى، وأسرعت بالمجيء إليك هنا بغير علم الأمراء". ولما قال هذا قلت له : "وما

---

[٥٦١] يوسف داروغا، احد رجال تنبل اللذين تآمروا ضد بابر.

قولك أنت ؟ . "قال : "كلهم خدم لكم، ولابد من الذهاب إليهم. وماذا بوسعك أن تفعل غير هذا . إنهم سيبؤونك مقام السلطنة " . فقلت : "كيف أطمئن إليهم بعد كل هذه الحروب والنزاعات" . وبينما نتكلم على هذا النحو، دخل **يوسف (دروغـــا)** وركع أمامي على ركبتيه، وقال : "وما الدافع لأن أخفي شيئًا عنك ؛ **فالسـلطان أحمد بك** [٥٦٢] لا علم له بهذا، لأن **بايزيد** يعلم بأمرك، وقد أرسلني إليك ". فلما قال هذا اعتراني حال غريب. ليس في الدنيا شيء أسوأ من الخوف. فقلت له : "أصدقني القول، إذا كان الأمر غير ما تقول ولو بقدر يسير، يجب علي أن أتوضأ" [٥٦٣]، فأقسم **يوسف (دروغا)** . لكن من ذا الذي يصدق قَسَمه. **(١١٨ب)** وفكرتُ في قلة حيلتي، وغادرتُ المكان إلى ركن الحديقة، وفكرتُ فيما بيني وبين نفسي : "إن الإنسان ميت لا محال حتى وإن امتد به العمر ألف سنة.

إذا بقيت مائة عام أو يوم فإنك سترحل عن هذا القصر

الذي أضاء القلب [٥٦٤]

وارتضيت الموت. ورأيت ماءً ينساب في الحديقة، فتوضأت وصليت ركعتين. واستسلمت لمناجاة الله. وبينما أمني نفسي بالأمنيات، غلبني النعاس فرأيت في منامي **خوجه يعقوب** حفيد مولاي **خوجـــه "عُبَيــد الله" بن "خوجـــه يحيى"**، يمتطي جوادا ذا علامات بيضاء وسوداء . وقد ظهر أمامي وسط جمع غفير

---

٥٦٢ يقصد أحمد تنبل.

٥٦٣ يقصد هنا أن يتهيأ استعدادا للموت.

٥٦٤ البيت مكتوب باللغة بالفارسية .وردت ترجمة هذا البيت في الترجمة الإنجليزية على النحو التالي: إذا عشت لمدة مائة عام أو ألف عام، ففي النهاية لاشيء. وإلى هنا انتهت الترجمة الإنجليزية للجزء الخاص بفرغانه وعلقت المترجمة على هذا بقولها. هنا انتهى النص التركي انظر الترجمة الإنجليزية ص١/٠٢. وهذا مغاير للنص الجغتائي الذي تذكر الســيدة بفريــدج أنها اعتمدت عليه، ويتفق في هذا مع الترجمة الفارسية لبابر نامه، انظر، الترجمة الفارسية ص٧٥.

وقال : " لاتحزن ، فقد أرسلني **خوجه** "**أحرار**" إليك لأبلغك أننا مرسلون لمساعدتك. ولنبوؤك مقام السلطنة. وإن اعترضتك مشكلة في الأرض، فلتستحضرنا أمام عينيك، ولتتذكر أننا هنا على أهبة الاستعداد . والنصر الآن حليفك. إرفع رأسك واستيقظ من نومك ". فاستيقظت مستبشرا وأنا في هذه الحال.

كان **يوسف** بيك ومن معه مازالوا يتناقشون قائلين : "لابد من البحث عن سبيل وتدبير. لابد من إحكام القبضة ". وبينما أستمع كلامهم هذا قلت لهم : "هذا رأيكم، فلننظر ولنر أيكم يمكنه اللحاق بي" وإذ بصوت وقع أقدام جمع غفير من الفرسان يتناهى إلى أسماعنا من خارج الحديقة. (١١٩أ) وظن **يوسف داروغا** أنه صوت رجال مرسلين من عند تنبل، فقال : "لو أتيت معنا للقاء **تنبل**، لكنا في وضع أفضل. أما الآن فقد أرسل كل هؤلاء الرجال للقبض عليك! " فازداد خوفي وأسقط في يدي.

في تلك اللحظة، فتح هؤلاء الفرسان فتحة في الجدار الحديقة القديم دخلوا منها ، فلم يكن لديهم وقت للبحث عن باب الحديقة. ورأيتهم، إنهم "**قوتلوق محمد برلاس** " و"**باباي بركاي** "، ومعهم خمسة عشر أو عشرين رجلا. جاءوا ليلحقوا بي. فلما اقتربوا مني ترجلوا من فوق ظهور الخيل سريعا ، وانحنوا من بعيد احتراما وتعظيما ، وجثوا عند قدمي. وفي تلك اللحظة اعتراني حال غريب. وكأن الله قد نفخ في الروح من جديد . فقلت لأولئك القادمين :"اقبضوا على "**يوسف داروغا**"، وهذين الخائنين اللذين معه. وشدوا وثاقهم "، فسارع الخونة بالفرار. وأمسك رجالي

بواحد منهم وقيدوه وأتوا به. وسألت رجالى : "من أين أنتم قادمون ؟ وكيف علمتم بأمرى ؟ ". قال قوتلوق برلاس : "أثناء فرارنا وخروجنا من "اخصى"، ذهبت - بعد أن فارقتكم - إلى "اندجان ". ووجاء الخانان أيضا إلى هناك. ثم رأيت فى منامي خوجه عبيد الله وقال لى : "إن السلطان بابر موجود فى قرية اسمها كرنان. (١١٩ب) إذهب إليه واحضره وبوؤه مقام السلطنة، فاستبشرت . وكان معى خمسة أو ستة من الرجال بين أخ وابن ، فاقترحت على الخانين أن يضموا لنا عددا من الفتيان لنذهب إلى كرنسان ونعرف حقيقة الأمر. فقال الخانان : نحن أيضا نظن أنه سيذهب إلى هناك. وأمدونى بعشر رجال وقالوا : "اذهبوا إلى هناك وتقصوا حقيقة الأمر وأتوا لنا بالخبر اليقين، أو على الأقل أتوا بخبر عنه". أثناء ذلك قال بابــاى بركارى : سأذهب أنا أيضا للبحث عنه. وكان معه أخوان صغيران. وخرجنا كلنا ، واليوم نكون قد قطعنا مسيرة ثلاثة أيام. والحمد لله أننا التقينا بك" واستطردوا قائلين: "هيا بنا فلنركب الجياد ونأخذ معنا هؤلاء الذين قيدناهم ولنمض. فليس من الخير البقاء هنا . فقد علم تنبل بوجودكم، وعلينا الآن أن نلحق بالخانين ".

وانطلقنا فى الحال إلى ناحية "اندجان ". ولم أكن قد أكلت شيئا منذ يومين. وعند صلاة العصر وجدنا شاة، فنزلنا فى مكان (لنستريح) وأعدوا لنا لحما مشويا. أكلت من اللحم المشوى حتى شعرت بالشبع. ثم استأنفنا سيرنا حثيثا على ظهور الجياد، فقطعنا طريقا طوله خمسة أيام فى يومين وليلة.

خروج بابر إلى خراســــان :

دخلنا "اندجان " . وهناك التقيت بالخانين الكبير والصغير، وتذكرت كل الأيام الماضية. وبقيت مع الخانين مدة أربعة أشهر. واجتمع حولي رجالي الذين تفرقوا فى كل صوب وحدب، (١٢٠أ) وكان عددهم يزيد قليلا على ثلاثمائة رجل. ففكرت قائلا : " إذا كان لابد من العيش ولاية فرغانه بلا أرض وبلا وطن، فلماذا لا أرحل إلى مكان آخر ! !"وخرجت من فرغانه فى شهر المحرم قاصدا "خراسان " .

انتهت وقائع فرغانه

*****



فهرس الأعلام


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المراجع و المصادر :

أولا: مراجع باللغة العربية:

* حسين مجيب المصرى، تاريخ الأدب التركى، ط١،دار الفكرة، القاهرة ١٩٠١.

* زكريا بن محمد بن محمود القزوينى، آثار البلاد وأخبار العباد. بدون تاريخ طبع.

* عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام فى الهند،ط٣، القاهرة ١٩٩٠.

* يحيى داود عباس، سمرقند تاريخها وحضارتها، القاهرة١٩٩٥

*أحمد محمود الساداتى، تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية، وحضارتهم، القاهرة، ١٩٥٧

*أحمد محمود الساداتى، ظهير الدين محمد بابر مؤسس الدولة المغولية فى الهندستان، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٥٤،

*حربى أمين سليمان، المؤرخ الإيرانى الكبير غياث الدين خواندمير كما يبدو فى كتابه دستور الوزراء، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠

*خواد بخش، الحضارة الإسلامية، ترجمة وتعليق، على حسنى الخربوطلى، بدون تاريخ طبع،

*سيد سابق، فقه السنة دار التراث، القاهرة، ج١

*عبد النعيم حسنين، نظامى الكنجوى شاعر الفضيلة عصره وبيئته وشعره، مكتبة

الخانجى، ط١، ١٩٥٤.

*عبد النعيم حسنين، سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية، ط١، القاهرة ١٩٧٠.

*فؤاد عبد المعطى الصياد، المغول فى التاريخ، القاهرة ١٩٨٠

ثانيا: مراجع مترجمة إلى اللغة العربية:

*غوستاف لوبون، حضارات الهند، ط١، ١٩٤٨.

* ارمينيوس فامبرى، تاريخ بخارا، ترجمة أحمد محمود الساداتى القاهرة

* بارتولد، تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨.

* عبد الرشيد إبراهيم، عالم الإسلام، ترجمة أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى، ط١.

* فاسيلى فلاديميروفتسس بارتولد، تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨١.

ثالثا: مصادر مخطوطة باللغة العربية:

* منجم باشى، جامع الدول، مخطوط مودع بمكتبة أسعد أفندى تحت رقم ٢١٠٣

رابعا: مصادر مطبوعة باللغة العربية:

* ابن اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ١٩٦١.

* الشريف الأدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. بدون تاريخ طبع.

* كاتب جلبي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج٢.

خامسا: مراجع باللغة التركية الحديثة:

*AnIl çeÇen, Yürk Devletleri, inkılap kitapevi,Istanbul 1986

* Halis Bıyıktay, Timurlular Zamanında Hindistan Türk Imparatorluğu,Istanbul 1941.

* Hans R. Roemer, Timurlular maddesi,I.A., Istanbul 1979,,c.12

* Y .Hikmet Bayur,Hindistan Tarihi,c .2, Ankara1947

* Yılmaz öztuna, Büyük Türkiye Tarihi,ötüken, Istanbul 1985.

*Bilal Yücel,Bâbür Divânı,Atatürk kültür merkezi yayını,sayı;181,ankara 1995.

سادسا: مراجع مترجمة إلى اللغة التركية:

*Fernand Grenard,Babur, devlet Kitapları, Istanbul 1971.

سابعا: مصادر مترجمة إلى اللغة التركية:

*Gazi Zahirüddin Muhammed Babur,Vekayı, Doğu türkçesiden_çeviren,izahlı indeksi ve notları hazırlayan,Reşit Rahmeti_Arat,önsözü ve tarihi özeti yazan Y.Hikmet Bayur,türk Tarih Kurumu Basımevi,ankara 1943-1946.

*Gülbeden, Hümayunnâme, farçadan çeviren Abdürrab Yelgar,Türk Tarih Kurumu Basımevi,Ankara 1987

ثامنا: مصادر باللغة التركية فى لهجتها الجغتائية :

* ظهير الدين محمد بابر شاه ، بابرنامه ، نشرته السيدة أ.س. بفريدج نشرا مصورا عن نسخة حيدر آباد، فى لندن ١٩٠٥.

تاسعا: مراجع باللغة الفارسية:

*حسن پيرنيا ، تاريخ ايران از آغاز تا انقراض ساسانيان، از انتشارات كتبخانه خيام، بدون تاريخ طبع.

* منوچهر پارسادوست ، شاه اسماعيل اول ، چاپ اول ١٣٧٥ ،

*عبد الحسين نوائى ، شاه اسماعيل صفوى ، اسناد ومكاتبات تاريخى همراه باياد داشتهاى تفصيلى، انتشارات بنياد فرهنگ ايران، (٥٠)، چاپ شد، ١٣٦٧.

عاشرا: مراجع مترجمة إلى اللغة الفارسية:

فاروق سومر ، قراقويونلو، ترجمة وهاب ولى، تهران١٣٦٩

حادى عشر: مصادر باللغة الفارسية :

* بابر نامه موسوم به توزك بابرى وفتوحات بابرى ، نسخة عن الترجمة التى تمت فى عهد أكبر شاه تم نسخها سنة ١٣٠٨هـ وتملكها ميرزا محمد شيرازى ، مودعة بالمكتبة المركزية بجامعة القاهرة تحت رقم ١٢٢٥٠.

* محمد حيدر دوغلات ، تاريخ رشيدى ، طبع هارفارد١٩٩٦

*خواندامير، تاريخ حبيب السير ، كتابفروشى خيام، جاب دوم ١٣٥٣ هجرى شمسى.

ثانى عشر:مراجع باللغة الإنجليزية:

* Edward G . Browne, A Litrary History Of Persia, vol .3,Cambridge,1928

* Stanley Lane - poole,Rulers of India, Babar, Oxford 1899

*Michael Edwardes, A History of India, farrar, Straus and Cuddahy,New York,

ثالث عشر: مصادر مترجمة إلى اللغة الإنجليزية :

* Annetta Susannah Beveridge, BaburÜ Nama (Memoirs of Babur) Translated from the Orriginal Text, Delhi, 1970.

رابع عشر:مصادر مترجمة إلى اللغة الفرنسية :

* Le Livre De BABUR,Memoires du premier Grand Mogol des Indes, presente et traduit du turc

tchagatay par JeanÜ Louis BACQEÜ GRAMMONT,paris 1985.

خامس عشر: القواميس والمعاجم ودوائر المعارف:

١- باللغة العربية:

* الأطلس العربي ، أصدار وزارة التربية والتعليم المصرية ، ط١، سنة ١٩٦٥

*احمد السعيد سليمان، تاريخ الأسر الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، دار المعرف بمصر ١٩٦٩.

*ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان ، ط١، القاهرة ١٩٠٦

*منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان، جمعه ورتبه السيد محمد أمين الخانجي، ط١، القاهرة ١٩٠٧، ج٩.

قاموس الياس،

المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة

٢- باللغة التركية:

*Türk Dianet Vakfi ,Islam Ansilopedisi, Istanbul, 1989:

-M.F.Köprülü,Babur maddesi, I.A., Istanbul, 1979 ., c.2 *

*Faik Reşit Unat, Hicri Tarihleri Milâdi Tarihe Çevirme Kılavuzu, Ankara 1974,s.61.

*Ziya şükün, Farsça- Türkçe Lüğat, Istanbul, 1984,

٣- باللغة العثمانية:

*سليمان أفندي البخاري، لغت جغتاى وتركى عثمانى، استانبول ١٢٩٨هـ.

*شمس الدين سامى ، قاموس الأعلام شمس الدين سامى ، قاموس الأعلام ، تاريخ وجغرافيا لغاتى وتعبير اصطلحه كافة اسماء خاصه يى جامعدر، معارف نظارت جليلة سى طرفندن تقدير وتحسين اولنه رق طبع اولنمشدر، استانبول ١٣٠٦هـ .

*شمس الدين سامى، قاموس تركى،

٤- باللغة الفارسية:

* على أكبر دهخدا، لغت نامه ، جاب سيروس ، تهران ١٣٣٦هجرى شمسى ،

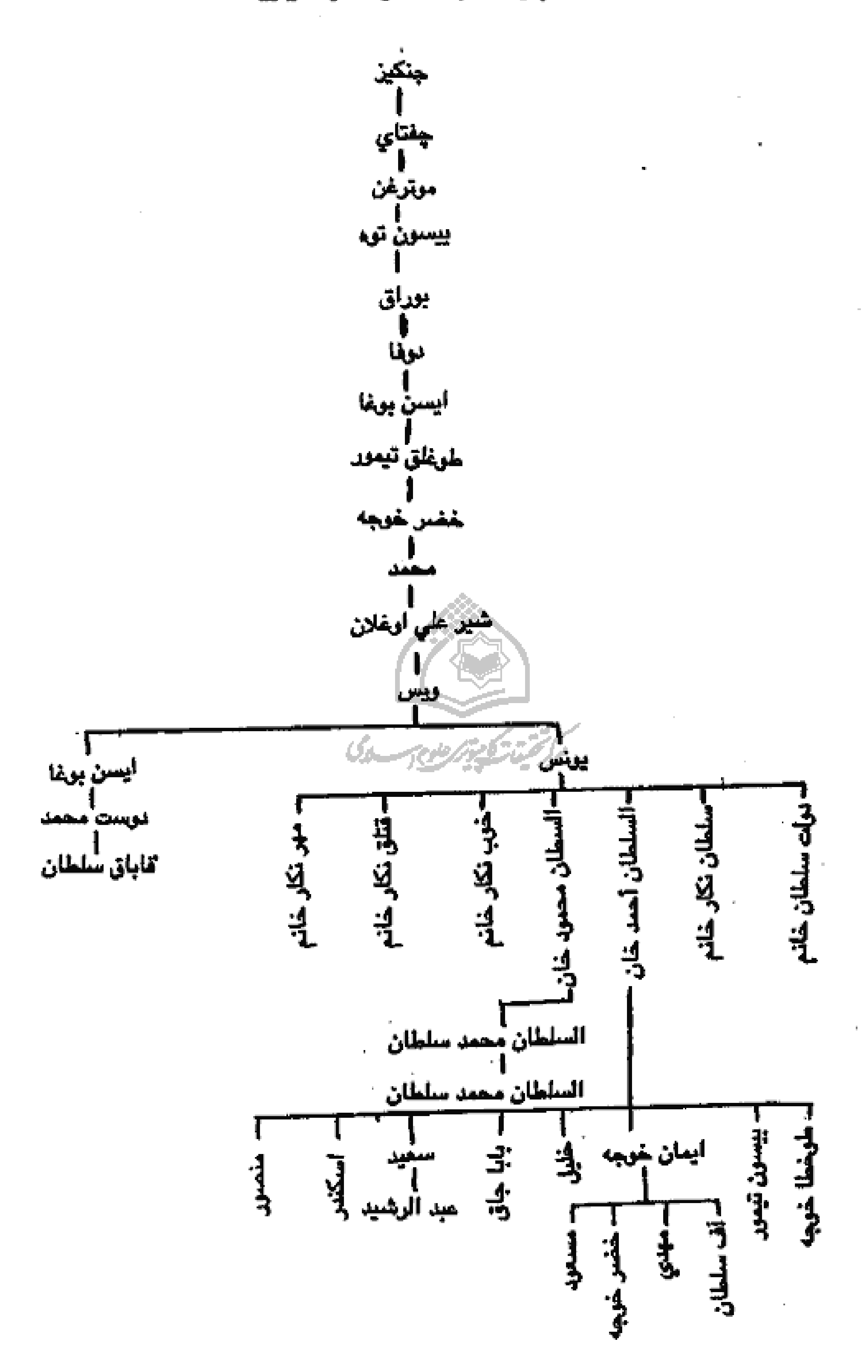
سادس عشر: الرسائل العلمية:

* أحمد محمود الساداتي ، ظهير الدين محمد بابر مؤسس الدولة المغولية في الهندستان ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٥٣- ١٩٥٤

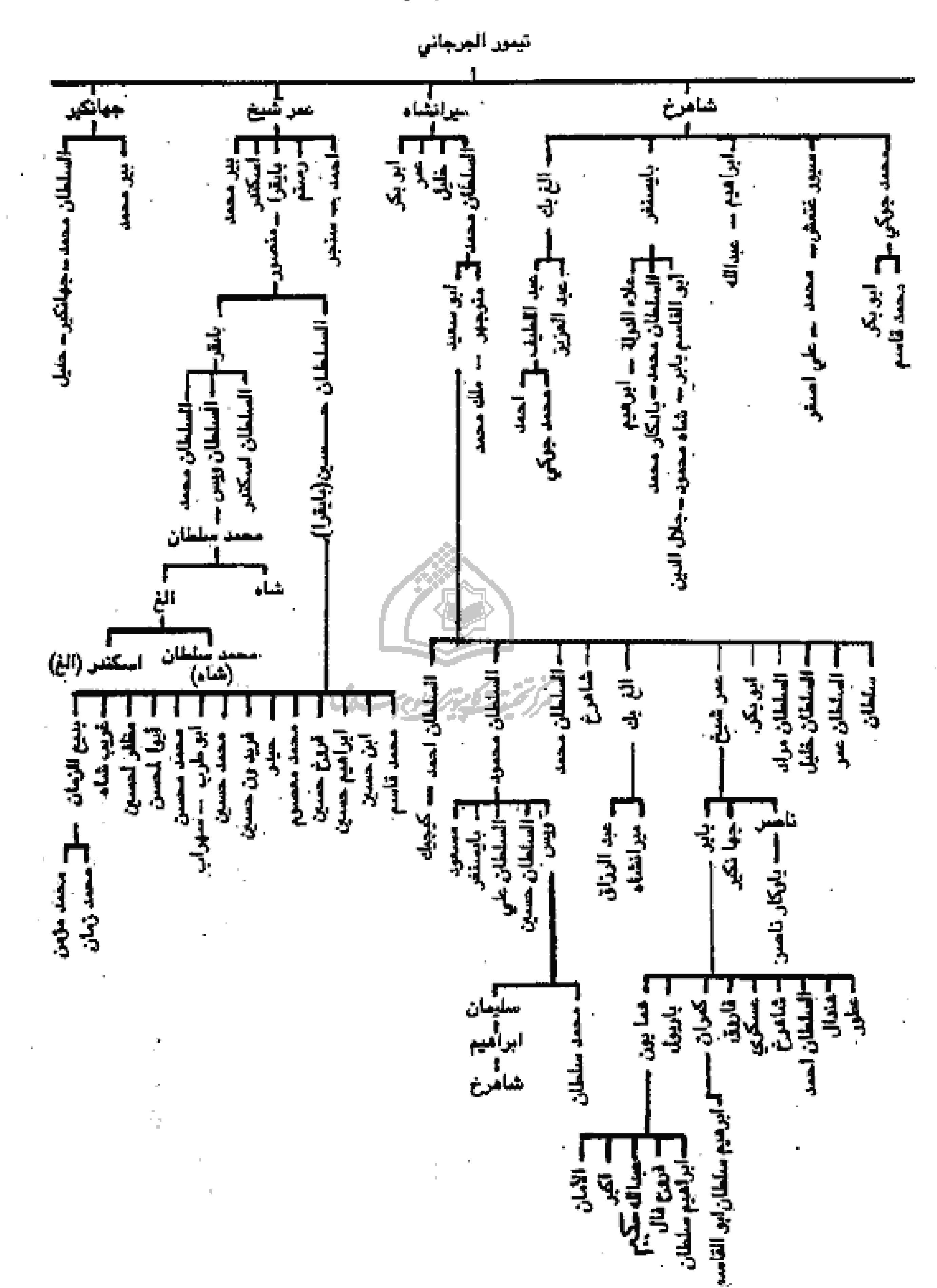
الفهرس

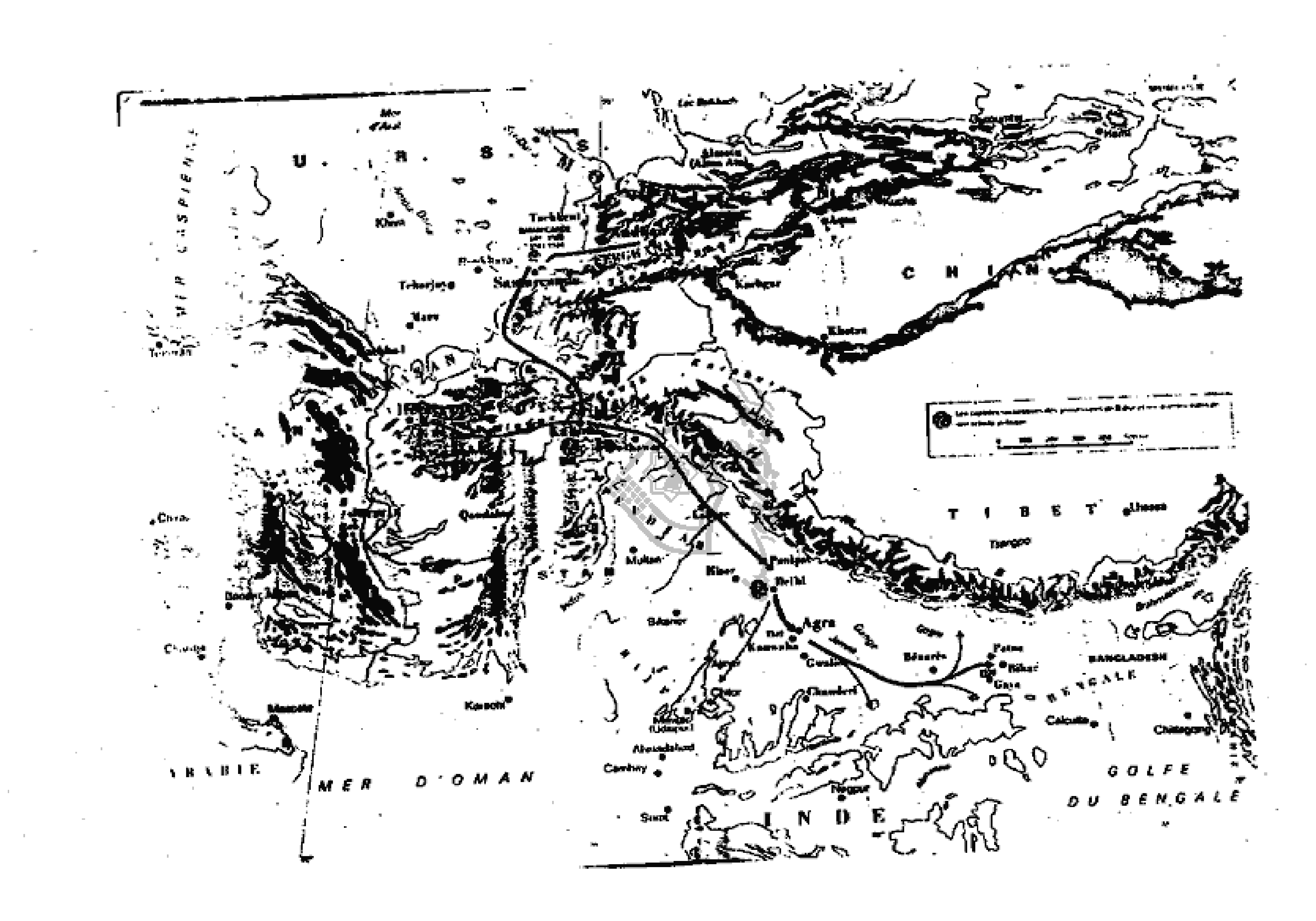


شجرة نسب الاسرة الجنكيزية



شجرة الاسرة التيمورية





MER CASPIENNE
U. R. S. S.
Khiva
Samarcande
Merv
Kashgar
Khotan
CHINE
Qandahar
Multan
Lahore
Panipat
Delhi
Agra
Kanauha
Bénarès
Patna
Bihar
Gaya
TIBET
Lhassa
Tsangpo
BANGLADESH
BENGALE
Calcutta
Chittagong
Ahmadabad
Cambay
Surat
Nagpur
INDE
ARABIE
MER D'OMAN
Karachi
Mascate
GOLFE DU BENGALE